مجلّة

# المسلم المعاصر

السنة التاسعة
العدد ٣٦

شوال
ذو القعدة
ذو الحجة
١٤٠٣ هـ

في هذا العدد :

مجلة

# المسلم المعاصر

مجلة فصلية فكرية
تعالج شؤون الحياة المعاصرة
في ضوء الشريعة الإسلامية

العدد ٣٦

| | |
|---|---|
| شوال ١٤٠٣ هـ | أغسطس ١٩٨٣ م |
| ذو القعدة | سبتمبر |
| ذو الحجة | اكتوبر |

تصدرها
مؤسسة المسلم المعاصر
بيروت - لبنان

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير المسؤول :
الدكتور جمال الدين عطية

مراسلات التحرير :
Dr. Gamal Attia
ISLAMIC BANKING SYSTEM
25, Cote d'Eich -Tel: 474036
1450 LUXEMBOURG

مراسلات التوزيع والاشتراكات :
دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع
ص.ب : ٢٨٥٧ ، الصفاة - الكويت
تلفون : ٤١٤٢٢٠ - برقيا : دار بحوث

ثمن العدد في

| | | | |
|---|---|---|---|
| لبنان | ٧ ليرات | الكويت | ٧٥٠ فلسا |
| الامارات | ١٠ دراهم | البحرين | ١ دينار |
| السعودية | ١٠ ريالات | العراق | ١ دينار |
| سوريا | ٧ ليرات | الأردن | ١ دينار |
| السودان | ٤٠ قرشا | مصر | ٤٠ قرشا |
| تونس | ١ دينار | المغرب | ١٠ دراهم |
| اليمن | ١٠ ريالات | ليبيا | ١ دينار |
| امريكا | ٤ دولارات | انجلترا | ١,٥٠ جنيه |

# محتويات العدد

كلمة التحرير ص



الأبحـاث



حـوار

## خدمات مكتبية



## مؤتمـــرات


بسم الله الرحمن الرحيم




# الإسلام والمدنية

## قضية العلم

**د . أسماعيل راجي الفاروقي**
المعهد العالمي للفكر الإسلامي
بنسلفانيا ـــ الولايات المتحدة

**ترجمة : صلاح الدين حفني**
وزارة التربية ـــ الكويت

إن الوضع الراهن الذي تواجهه الأمة الإسلامية وضع جد خطير إن لم يكن بجديد عليها ، فلقد واجهته الأمة من قبل . فليست المرة الأولى التي تقف فيها أمام التحدي وجها لوجه . ذلك التحدي الذي بلغ من العمر ألف عام، فمنذ بزوغ فجر الإسلام خرج المسلمون الأوائل من الجزيرة العربية لا يحملون معهم من مقومات الحضارة شيئاً اللهم الا الإسلام .

لقد كانوا عزّلا حتى من الحد الأدنى من العلوم الطبيعية ، ومن الفنون والحرف ، وكذلك من الصناعة ، وكانت الأمم من حولهم في قمة ازدهارها وحضارتها .

واجه أجدادنا عملاقين عظيمين ، الأمبراطورية الرومانية : التي قامت على ما ورثته من آثار العصور القديمة بثقافتها وحضارتها . والفرس في الشرق وقد ورثوا بدورهم حضارة عظيمة أساسها علوم الهند وحكمتها .

كلا الأمبراطوريتين قد حققتا ازدهاراً ورخاء أقتصادياً وثقافياً عبر آلاف السنين .

وما أن بدأ المسلمون الأوائل مسيرتهم وظهروا على مسرح التاريخ حتى تصدى لهم هذان العملاقان الفارسي في الشرق والمسيحي في الشمال والغرب .

لقد كان عند هؤلاء المسلمين الأوائل من الأسباب ما يجعلهم يثبتون في هذه المواجهة ولا يصابون بالهلع والذعر فقد كان إيمانهم مطلقاً وثابتاً بأنهم وحدهم الذين يجب أن يؤول الأمر في نهاية المطاف إليهم ، وأنهم جديرون بأن يسودوا العالم بأسره بهذا الدين الجديد ، لقد كان هذا الإيمان فيهم هو الفرق بيننا وبينهم .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، فاليوم نحن نقف على عتبات مستقبل جديد ونواجه عالماً يتقاسمه عملاقان : الغرب الممتد من روسيا إلى أمريكا ممتلكا لأرق ما وصلت إليه العلوم ، مسيطراً على الموارد الطبيعية في العالم . والعملاق الآخر ذلك الذي بدأ يصحو من غفوته في الشرق ألا وهو الصين واليابان والذي يبدو أنه سيعوض ما فاته بما يحققه من تقدم مذهل في شتى المجالات .

ونحن المسلمون في العالم نقف على عتبات هذه الساحة غير مستعدين ليس لهذا فحسب بل وخائفين أيضاً وغير واثقين من أنفسنا ، مختلفين كل الاختلاف عن أسلافنا الأوائل .

منذ أكثر من مائة عام حاولنا أن ندفع بأنفسنا في هذا العالم الجديد ولكن التوفيق لم يحالفنا ولقد بدأت هذه المحاولة على أثر حملة نابليون في الشرق وبعد ذلك بقليل في شبه القارة الهندية . لقد ظننا أن متطلبات دخولنا هذا العالم الجديد هي أن نقلد الغرب ونحذو حذوه ــ فجلسنا جيلا بعد جيل ــ على عتبات أسيادنا في الغرب نأخذ عنهم ونتتلمذ على أيديهم . حقا أن أجدادنا تتلمذوا على أيدي الفرس والرومان وأخذوا عنهم ولكنهم خلال جيل أو جيلين تمكنوا من احراز كل العلوم والفنون بل وتفوقوا على مدرسيهم ، ولكننا في الوقت الحاضر ، وحتى الآن لم نصل في أي مجال من مجالات السعي الانساني إلى المستوى الرفيع الذي وصل إليه الغرب .

لقد بدأت تجربة الأمة الإسلامية في مصر منذ مائتي عام تقريباً ، في ذلك الوقت لم تكن مصر مرتبطة بالغرب في أي مجال من مجالات التعليم والتدريب ، وبدأ المصريون يرسلون بأبنائهم وبناتهم جيلا بعد جيل ليتعلموا ويدرسوا ، وكلما ازداد تقليدهم للغرب كلما ازداد عجزهم عن أحراز تفوق في أي مجال .

وهكذا كان الحال في كافة أنحاء العالم الإسلامي . إننا نتساءل لماذا ينبغي على المسلمين أن يكونوا أتباعاً للغرب في التعليم وفي تطبيق ما يتعلمونه على مشاكل الحياة ؟ لماذا كتب على المسلمين أن يكونوا أدنى من زملائهم الغربيين ؟ هل منح الله الذكاء لهؤلاء وحرمنا نحن المسلمين منه ؟ أم أن العلم والمعرفة وقف على غير المسلمين ؟

الجواب أن المعرفة ليست وقفاً ولا حكراً

على أحد ، فالطبيعة ، والكون وخلق الله جميعاً كتاب مفتوح يستطيع كل أنسان أن يقرأه ... لا بل يجب على كل أنسان أن يقرأه .

والتاريخ أيضا ميدان تنافس مفتوح يستطيع أي أنسان أن يسطر فيه سطوره ويوجه مساره .. ولكننا نتحسر على أولئك الذين لا يستطيعون صنع تاريخ ولا احراز معرفة .. وذلك هو الفرق الأساسي بين أجدادنا المسلمين الأول الذين خرجوا من الجزيرة العربية وبين أجيالنا المعاصرة .

فبينما سبر أجدادنا غور المعرفة التي يملكها غير المسلمين بكل إيمان وثقة إذا بنا نحن نقترب منها بلا إيمان . نذهب إلى الغرب كالمتسولين راضين أن نقتات على فتات موائدهم من العلم والمعرفة . فلم يمكننا الغربيون بطبيعة الحال — من هذه العلوم وحالوا بيننا وبينها بشتى الطرق لأنها مفاتيح قوتهم وتفوقهم . وهذه خطتهم الواضحة لنظل دائماً معتمدين عليهم حتى في استيراد بضائعهم وخدماتهم .

إن الطلبة الذين أرسلوا للدراسة في الغرب خلال المائة عام أو أكثر الماضية قد فشلوا في مهمتهم وذلك لأسباب منها :

أولا : أن الطالب الذي أرسل لم يرسل لأنه الأكثر كفاءة لهذه المهمة من باقي المرشحين وأنما لأن عائلته من الغنى بحيث تستطيع الأنفاق على تعليمه بالخارج أو أن لعائلته من النفوذ ما يضمن له منحة دراسية بالخارج .

ثانيا : أن المبتعث للخارج لم يكن لديه دافع كاف للكد وبذل الجهد وانما كانت لديه فقط الرغبة في التسلق الإجتماعي خلال رحلته الدراسية وكسب عيشه عن سعة بعد عودته .

ثالثا : أن الطالب لا يتعلم أكثر من القواعد النظرية الأساسية للمعرفة ويحصل على درجته العلمية من أساتذته الغربيين لأنه تتلمذ على أيديهم فلابد أن يحكموا عليه بأنه مقبول .

رابعا : يعود إلى وطنه حاصلا على درجة علمية باحثاً في تحسين مركزه الإجتماعي والمادي ، غير محاول تعزيز حصيلته العلمية البسيطة التي حصلها ، شأنه في ذلك شأن الغالبية العظمى من الخريجين في العالم الإسلامي ، وليس من الغريب بعد ذلك أن يكون تلامذتهم أقل الماما منهم وعلى النقيض من الحقائق المحزنة التي ذكرت آنفاً فالتعليم في الخارج للشباب المسلم يجب أن تحكمه المباديء التالية :

أولا : يجب أن تتوافر في المرشح شروط أساسية منها :

الذكاء والكفاءة والاعداد الجيد ، لأن متابعة المعرفة والتفوق ليس بالأمر الهين كما أن

الأغتراب والعيش في ظل ثقافة أجنبية ولغة أجنبية .. مع شعوره المستمر بالأمجاد التاريخية للأمة الإسلامية .. ثم الانبهار بالحياة الغربية التي يعيشها .. كل ذلك يشكل عبئاً ثقيلًا على أعصاب الدارس المسلم .. فقط أصحاب العزائم الصلبة الذين يتمكنون من الصمود والنجاة والقيام بواجبهم لتحقيق الهدف الذي من أجله أرسلوا إلى الخارج .

ثانيا : بعد الاعداد السابق يجب أن يسمح فقط للدارسين الذين تحركهم النظرة الإسلامية للأمور ، بالسفر للدراسة في الخارج .

إن رغبة الأمة الإسلامية في اتقان ألوان المعرفة وتعلم قوانين الطبيعة الأبدية وأدراك سنة الله تعالى في خلقه ، هذه الرغبة يجب أن تتجسد فيهم وتحركهم لبذل أقصى جهد ممكن وشغل حياتهم لتحقيقها .

إن النظرة الإسلامية شرط أساسي وبدونها لا يستطيع الدارس أن يحاول معرفة أكثر من أستاذه وهي أيضا ضرورية لحيازة مفاتيح المعرفة ونقلها إلى وطنه . بل ويدفع بها إلى مستوى أرفع مما وصلت إليه عند الغرب .

إذا أراد الطالب أن ينجز عملا ذا قيمة علمية ما الذي يفرض عليه أن يتفوق على أستاذه ؟ لماذا يفرض على نفسه الأطلاع على كل ما قيل في العلم الذي يبحثه ؟ .. لماذا يحاول تخطي العقبات لتحقيق هدفه ؟... إذا كان أحساسه بالله سبحانه وتعالى يسري في شعوره كما تسري الروح في الجسد ، إذا كان ارضاء الله غايته ... هنا فقط سوف يتجاوز الحدود الطبيعية ويصنع المعجزات .. ولذلك يجب أن يتحلى بالإيمان الصادق ، والأقتناع الراسخ بقضية الإسلام .

ثالثا : آن الدارس المسلم إذا ألزم نفسه بهذا الإيمان وأخذ على نفسه ذلك العهد سوف يعتبر نفسه — في الحقيقة — آخر طالب أضطرت الأمة أن تبعثه للدراسة في الخارج .

إن النظرة الإسلامية سوف تكسب الأهداف أهمية وتجعلها تتضمن بجانب التحصيل العلمي ، محاولة نقل هذا العلم إلى الأمة الإسلامية . والمتطلبات الأساسية

لذلك هي تمكين الدارسين المسلمين من التفوق وذلك بعمل برامج تعليمية مركزة وتجميع المعلومات وتنسيقها وإعادة النظر في منجزات العالم من المعرفة وتنمية هذه المعرفة بمزيد من البحث .

وفي النهاية ، فإن النظرة الإسلامية هي الفيصل بيننا وبين أجدادنا ، وتفسر فشلنا المستمر ونجاحهم المضطرد . لقد حثهم النجاح على بذل المزيد من الجهد للوصول إلى السيادة المطلوبة . وأصابنا الفشل بالأحباط ، ومنع فينا الرغبة في رؤية العلم

ككل : تاريخه ، تطوره ، منهجيته ، مشاكله ، مبادؤه الأساسية ، أهدافه البعيدة ، والآمال المعقودة عليه . ان المعرفة الكاملة بكل ذلك ضرورية للحصول على نظرة شاملة تمكن من ادراك الموضوع وتقييمه وتقدير الوسائل الممكنة للوصول به إلى آفاق أرحب وأهداف أبعد .

إن النظرة الشمولية الناقدة اللازمة لإنجاز أي عمل أو مسعى انساني يجب أن ترتكز ـــ وبوعي ـــ على نظرة أشمل منها لتكون مرجعاً له . وبالنسبة للمسلم لا يوجد أطار يمكن الرجوع إليه أشمل من الإسلام . فنظرة الإسلام تلبي فيه أحتياجاته الأخلاقية ، وتمنحه الدافع ليجهد نفسه ليخدم أهداف أمته كما أنها ترضي فيه رغبة حب المعرفة بتحويل الأسس النظرية للمعرفة إلى فهم ناقد شامل واع في أي حقل من حقول المعرفة .

إن عملية التعلم نفسها سواء كان ميدان المعرفة علم النبات ، أم علم الحيوان ، الفنون الجميلة أم الفلسفة ، وكذلك عملية ادراكها بتأن وصبر لا يمكن تتبعها دون أطار من القيم والأخلاق ، بمعنى آخر بدون المنظور الإسلامي . فالإسلام يعطي المعنى النهائي للحياة وللوجود بأسره ذلك المعنى الذي أدركه أجدادنا من سنة الله في خلقه ومن الوحي ، والذي فهموه من القرآن والسنة . وتشربت به أرواحهم وعقولهم وتحركت به ضمائرهم .

وبخلاف ما نحن عليه الآن ، فقد كان التعليم بالنسبة للسلف الصالح ـــ عندما يهاجرون خارج أوطانهم ـــ واجباً مقدساً ، واجباً دينياً أن يتعلم المسلم وينقل هذا العلم إلى غيره سواء كان قديما أم حديثاً بهدف اعلاء كلمة الله . وبهذا الإيمان الراسخ كانت أهدافهم تتحقق بسهولة ويسر روحياً وعقلياً .

ففي تتبعهم لعلوم الصحة ـــ على سبيل المثال ـــ يستطيع الإنسان أن يتخيل عقولهم تحثهم على التقدم وأحراز النجاح حفاظاً على حياة الأنسان تنفيذاً لأوامر الله في اعمار الكون وفي الحرص على نظافة البدن ولياقته وقوته وبالتالي فقد كان ما يقال عن الطب والعلاج سواء ما قاله الفرس او الرومان أو اليونان أو الهنود ، يقيم من وجهة النظر الإسلامية بحيث تملأ ثغراته بواسطة الأنسان المسلم الذي تعهد بذلك كواجب ديني مقدس .

بهذا النوع الملهم من الشباب المسلم تستطيع دراسة الطب أن تتقدم على عكس ذلك النوع الذي يذهب إلى أمريكا وأوروبا وجل همه الحصول على مركز أجتماعي أفضل ، مثل هذه الأهداف التي تعجز عن دراسة الطب ناهيك عن التقدم به والنهوض بعلومه .

ونفس الشيء يمكن قوله على أي علم آخر ، يجب أن يكون تعلمه له في سبيل

الله . وكل شيء خلقه الله تعالى جدير بجذب أنتباهه وملاحظته وتحليله . ليخدم به هدفاً نبيلًا . كجزء من خلق الله الكبير لأن كل شيء مترابط كل الترابط مع الخلق الكبير مترابط مادياً وبصفة قاطعة ونهائياً ليشكل في النهاية كل لا يتجزأ ووحدة متكاملة وفوق ذلك فإن الإسلام يفرض على المسلم الذي يحرز أي معرفة أن ينقلها إلى أخوانه ، بل ينبغي عليه أن يضعها في أيسر صورة وبطريقة علمية حديثة لكي يستفيد بها كل من يتناولها ، وفي النهاية يجب أن يعدها كمادة تدرس لجيل آخر من طلاب العلم .

هذا الإيمان الذي وجد في أسلافنا مفقود لدينا فماذا نحن فاعلون ازاء ذلك ؟ .. من الواضح أنه لا يوجد عجز في الطاقات العقلية في العالم الإسلامي والذي يفوق تعداده البليون نسمة كما لا يوجد عجز في الخامات ولا الموارد الطبيعية فالعالم الإسلامي يتمتع بأغنى هبات الأرض فقد أنعم الله عليه بالطقس المعتدل ووفرة المياه وسطوع الشمس وكل هذه موارد لها قيمتها .. علاوة على انخفاض الكثافة السكانية في معظم أنحائه إذا أستثنينا ثلاث أجزاء صغيرة منها ، هي بنجلادش وجاوة ودلتا النيل .. ولكن يبدو أننا تنقصنا الرغبة في التقدم واحراز السبق .

إن عقلية المسلم المعاصر يمكن وصفها من الناحية الدينية بنقص الإيمان ، أما من الناحية الإجتماعية فهو يعاني من نوعاً من مركب النقص الضار ، نقص في الثقة بنفسه وفي الثقة بأمته ، بإيمانه ، ممزوجاً بجهل مطبق بتراثه الإسلامي العريق .

عقدة النقص هذه توهن من طاقته وتحبط تطلعاته المستقبلية نحو ملاحقة العالم الحديث . ان سبب المرض يكمن بالدرجة الأولى في مواجهة العالم الحديث بقوة منهارة .

فنحن نرى — على العكس من ذلك — أن القروي البسيط ، الذي عزل نفسه تماماً عن التعامل مع العالم الحديث لا يعاني عقدة النقص التي أشرنا اليها . وهذا يعني أننا كلما ازددنا التصاقاً بالعالم الحديث كلما تضخمت أمراضنا . وليس معنى هذا أن نبحث عن الحل في العزلة . فالعزلة مستحيلة في هذا العالم الذي تظلله شبكات الإعلام الضخمة . ان واجبنا هو أن نواجه هذا الغول المسمى بالمدنية الغربية الحديثة .. نحلله ونفهمه جيداً لنعرف ما هو السبب الذي جعله يبث ذلك الرعب في قلوبنا .

إن أول شيء يتبادر إلى الذهن عند الحديث عن الغرب أو العالم المتحضر هو علمه — فالعلم هو سره الأكبر — أما التكنولوجيا والقوة فهما آثار خارجية لهذا العلم . ولأن الغرب ، أو العالم الحديث يفكر ويعمل بطريقة علمية ، لذلك فهو عالم عظيم . بينما يفكر المسلمون ويعملون بطريقة مختلفة تماماً . ومن هنا فهم في مركز ضعف

وتأخر . والعلم ببساطة هو النظر في الطبيعة أو الخلق والنظر في قوانينها ونظمها لإستثمار عناصرها وقواها لصالح الحاجات البشرية .. والعلم علاوة على ذلك يجب أن يقود إلى التكنولوجيا وهي بالتالي عليها أن تؤدي إلى راحة ورفاهة الجنس البشري .

والملاحظة الأولى هنا هي اعتبارات ربط العلم بالتكنولوجيا .. هل يجب أن يقود العلم إلى التكنولوجيا ؟ هل يجب أن يكون محدداً بالاستعمال التطبيقي أو بالأمل المعقود عليه ؟ ان الاجابة الإسلامية على هذا التساؤل ثابتة وواضحة ... فكل مسلم يدعو « اللهم اني أسألك علماً نافعاً » معبراً عن آماله في المعرفة التي يجب أن تقود إلى النفع البشري . وفي دعاء آخر « اللهم انا نعوذ بك من علم لا ينفع » فالمسلم لا يطلب علماً غير ذي نفع ولا يكن له أي احترام وتقدير .

فإذا أردنا أن نوضح مفهوم هذا الدعاء الذي يردده كل منا يجب أن نقول أن أي بحوث ــ الطبيعة ، الكيمياء ، علم الفضاء والرياضيات ــ يجب أن ترتبط بشيء مفيد فإذا لم يكن ذلك وجب علينا تجنبها .

العلاقة الثانية التي تربط التكنولوجيا بارضاء الحاجات والرغبات البشرية مساوية للأولى :

فمما لاشك فيه أن أرضاء الحاجات البشرية أمر تعني به القوانين الأخلاقية ، تلك القوانين التي لا يمكن أن تستمر الا في حدود القيم والغايات التي حددها الله سبحانه وتعالى .. وأي ارضاء أو انتهاك أو انكار لهذه الاحتياجات يتم بصورة غير منظمة يعتبر انحرافاً عن الغاية من وجود الانسان نفسه .. لذلك فاخضاع ارضاء الرغبات للقوانين الأخلاقية مساو لاخضاع التكنولوجيا ، وفي النهاية لاخضاع العلم نفسه لهذه القوانين . وبذلك نصل إلى نتيجة

حتمية ألا وهي ارتباط ضروري بين العلم والتكنولوجيا وبين الأخلاق ذلك ما يجب أن يكون واضحاً كل الوضوح سواء استفادت منه البشرية أم وجدت فيه شراً . وانكار هذه الصلة هو انكار لحقيقة الدعائين اللذين تعلمناهما من رسول الله ﷺ . فنحن إذا تلونا الدعاء مرة ، فقد وجب علينا أن نأخذه مأخذ الجد وأن نهتم بتطبيقه كل الاهتمام .

ان التقدم من العلم إلى التكنولوجيا ومن التكنولوجيا إلى تحقيق الرغبات الانسانية ومن الأخيرة إلى تحقيق المثل العليا يعتبر هو التسلسل المنطقي الذي رسمه لنا الله سبحانه وتعالى .

لقد خلق الله الانسان لعبادته « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » والعبادة تتضمن خلافة الله في الأرض « **اني جاعل**

في الأرض **خليفة** » والخلافة هي اعمار الأرض « **وجعلناكم خلائف في الأرض لننظر كيف تعملون** » . والاعمار يتضمن بناء الحضارات والمدنيات وهذه بدورها بكل متطلباتها تتضمن العلم والتكنولوجيا لغاية كبرى « لتكون كلمة الله هي العليا » .

وبهذا التسلسل المنطقي يرينا الله سبحانه وتعالى الطريق الصحيح للسعادة وليس هناك طريق آخر ، وعلينا التقيد بأوامر الله بنفس التسلسل لنجني السعادة والا سيكتب علينا الشقاء .

وهنا يفرض السؤال نفسه ... هل نحن اليوم ملتزمون بأوامر الله ؟ هل نحن ملتزمون بالتسلسل المقدر علينا للبحث عن السعادة ؟ أم أننا ندور حول الهدف محاولين اختصار الطريق أملا في الوصول إلى السعادة من أقصر سبيل ؟ .. وهل محاولاتنا في الماضي نجحت أم باءت بالفشل ؟

إن المسلمين اليوم هم آخر من يفكر بطريقة علمية ، ومازالوا يعتمدون على ما ورثوه من خرافات العصور الوسطى البائدة باحثين عن السعادة بطرق تبعد كل البعد عن العلم والتكنولوجيا ، مستعينين في ذلك بالسحر والشعوذة وعلم التنجيم .. وهذه الطرق علاوة على فشلها فهي تمثل نوعا من الكفر . وقد حذر الامام محمد بن عبدالوهاب صاحب الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية من مثل هذه التصرفات لأنها تنسب إلى غير الله تعالى القدرة على تقرير الأحداث وتغيير الأمور ونحن بتوسلنا إليها انما نرتكب نوعاً من الشرك الصريح لأننا بذلك ننسب إلى الله تعالى شركاء في هذا الكون .

وإنه لمن الشرك الصريح الأعتقاد في أن للطبيعة القدرة على التغيير الذاتي دون تدخل في الإرادة الالهية . وحتى لو أفترض أن القوة التي تتدخل ليست الها آخر إذا فماذا يمنع السحر من أن يدعي القدرة على جلب التدخل المطلوب في الإرادة مثل الإرادة الذاتية أو الآلهية والتي ليست من الله تعالى الخالق الأعظم وسيد هذا الكون .

وإذا قيل أن الأرادة الفعالة هي من الله تعالى ولكن يتخذ إليها وسيلة من بعض العباد — كما يدعى بعض الصوفية أنها نوع من كرامات الأولياء . إذا فالتوسل إلى الارادة الالهية لا يعدو أن يكون نوع من صلاة الحاجة التي يستطيع كل أنسان أن يقوم بها . دون وسيط ولا أحد منا نحن البشر يملك أمتيازاً خاصاً ليؤثر به ويصل من خلاله إلى ارادة الله دون سائر البشر . فكل العباد متساوون أمام الله تعالى وهو وحده الذي يستجيب لتوسلاتهم حسب ارادته .

والنتيجة الحتمية هي زيف ادعاءات المشعوذين والمنجمين وكل أولئك الذين يتخطون العلم والتكنولوجيا ويحاولون تحقيق السعادة البشرية بطرق أخرى .

لقد ناقشنا آنفاً ارتباط العلم بالقيم ولقد توصلنا إلى نتيجة أن الإسلام يحض على تحقيق المثل العليا بواسطة العلم والتكنولوجيا . هذه المناقشة قد أشارت إلى فائدة العلم . ومن هنا يمكن تسميتها المناقشة الأخلاقية . ولقد بدأت بتعريف افتراضي للعلم كأختبار للطبيعة في سبيل كشف قوانينها ونماذجها . وتعتبر نفسها باستخدام نتائج العلم بالتحديد « المعرفة بقوانين الطبيعة » . ولقد تركت جانباً دون مساس طبيعة حب المغامرة العلمية . ومعظم المدافعين عن العلم اليوم يؤكدون أن العلم أخلاقي وهو يخضع فقط لقوانينه الخاصة والتي لا تنتمي إلى دين أو مذهب .

يدعي البعض أن النشاط العلمي ذات طبيعة الحادية تنكر وجود الله سبحانه أو تفصل بين العلم والدين على أقل تقدير . وهم يفترضون أن الكون يؤدي وظيفته على أكمل وجه بحركة آلية مجردة . والعلم في نظرهم هدفه كشف الأسباب المادية الفعالة . وهذه مهمة لا يمكن تحقيقها بنجاح خاصة إذا كانت الطبيعة هي مجال البحث ، ولوجود قوى أخرى غيبية غير ملحوظة ولا يمكن قياسها تؤثر في الطبيعة ألا وهي قوة الله سبحانه وتعالى .

إن هذه المناقشة لها حدان من وجهة النظر الإسلامية ، حد نظري وهو الذي يفصل بين الله سبحانه وبين الطبيعة والمعمل العلمي . وحد أخلاقي يصطدم بالمقولة الأفتراضية التي تعتبر الأستفادة من قوانين الطبيعة بواسطة العلم وتنكر وجود الله كلية .

وتستند فكرة العلم اللا ديني على دعامتين آكدهما أو هي من الثانية فالأولى تدعى — بأسم العلم — أن هذا الكون ليس له خالق وأنه وجد وسوف لا ينتهي ، وتؤكد أن فكرة الخلق فكرة غير علمية . ونجيب على هذه المقولة بأن بداية الخلق ونهايته أمر مفروض مسلم به . وطالما أن الأمر لا يمكن اجراء تجارب عليه فكيف يستنتجون النتائج ويسنون عليها قوانين ثم يسمونها قوانين علمية .

والحجة الثانية وهي أوهى من الأولى تحاول اثبات أنها تبحث في محاكاة نماذج الطبيعة من خلال معطيات موجودة . أي في الماديات التي يمكن قياسها وتتجنب الحالات الغيبية ، وتقتفي أثر السبب والمسبب الذاتي في المادة بافتراض غياب تأثير قوة الله سبحانه — هذا على أعتبار أن وجود الله أصلا حالة افتراضية غير مجزوم بها عند العلمانيين — وهؤلاء وضعهم يعادل وضع المنكرين لوجود الله سبحانه .

وردنا على هذه المقولة هو أنها ترتكز على ثلاث دعائم من سوء الفهم :

أولا : أنها تفترض أن الله سبحانه وتعالى

موجود وهو بقوته وارادته وراء وجود الكائنات كلها وحدوث الأحداث . وهذا ما يؤكده الإسلام .

بالمقابل — في ادعائهم — ينبغي على العلم — أو يمكن للعلم — أن يهتم بالبحث عن السبب الروحي في كل الأحداث الطبيعية — وحيث أن الروح ذات طابع معنوي لا مادي إذا فالبحث هنا غير منطقي كمن يبحث عن قطة سوداء في غرفة مظلمة والقطة غير موجودة . إذا فهذا الإدعاء باطل .

إن الإسلام لا ينظر إلى تسبيب الله سبحانه وتعالى للأحداث في الطبيعة على أنه آني أو محصور في التغيرات المادية فقط . ولكن الله سبحانه يؤثر من خلال مسببات وأفعال صادرة منه ، ويتم الحدث بارادة الله نتيجة التقاء عدد غير محدود من الأسباب والمسببات في نقطة محددة من الزمان والمكان . ربما يستطيع العلم ادراك سبب أو أثنين من مسببات حدث ما ولكنه أبداً لا يستطيع شرح أو ادراك كيفية تجمع ذلك الكم من الأسباب لينتج الحدث .
انها ارادة الله .

ثانيا : انها تفترض أن تسبيب الله سبحانه للأسباب لابد وأن يكون له مظهر مادي . وغني عن التوضيح أن أي سلسلة من الأسباب المترابطة لابد وأن تبدأ بسبب رئيسي وجوهري وتسعى إلى غاية لتحققها وكلا الأمرين السبب الأولى والغاية النهائية أمران لا يمكن أخضاعهما للتجارب العملية وهما سنة الله تعالى في خلقه . وإذا غابت عنهم الحكمة من الأسباب والهدف من الغاية فكيف يخلصون إلى نتيجة علمية ؟

ثالثا : النقطة الثالثة في سوء الفهم تعتبر أن الغرض من التغيير الناشيء عن تسلسل الأسباب والمسببات هو نهايتها الحتمية لا أكثر من ذلك .

في الماضي تجاهل العلماء الطبيعة واليوم بدأوا بالتدريج يدركون حقيقتها الواقعة . ذلك الأهمال للطبيعة في الماضي أدى إلى جهلها وذلك أدى إلى نتائج مشئومة وهو ما نسميه اليوم بأختلال التوازن بين الأحياء والبيئة والتي نعزوها إلى الاستغلال غير المسئول وغير المنظم لموارد الطبيعة .

فالطبيعة ما هي الا نظام مركب من الأسباب والمسببات لها غاية محدودة وهذه الغاية بالطبع ليست مادية ولا يمكن قياسها وأخضاعها للحس المادي وبالتالي فالنتائج المترتبة عليها تنطبق عليها نفس المواصفات — لا تحس ولا تقاس كميا .

والعلم غير مجهز ولا قادر على التعامل مع هذه المقولات البديهية القيمية .

كل شيء خلق لسبب وله غاية . قال تعالى « **ربنا ما خلقت هذا باطلا** » وقال أيضاً « **وكل شيء خلقناه بقدر** » ولقد خلق الله الخلق وقدر على كل مخلوق أن يخدم الآخر بطريقة ما ، وسخر العالم بأسره

لخدمة الأنسان وسخر الأنسان لعبادته سبحانه .

هل يستطيع العلم أن يؤدي دوره بدون الأعتراف بوجود الله سبحانه ؟ معظم العلماء تأثروا بالأفكار الغربية الالحادية التي بدأت في القرن السابع عشر وبلغت أوجها في القرن التاسع عشر لقد كان معظمهم — في هذا القرن — يستطيع الاجابة على هذا السؤال بالأثبات . وأولئك الذين أصروا على عنادهم حتى حلول القرن العشرين لم يكونوا أقلية ولقد تعزز موقفهم بالأنجازات العلمية الضخمة في مجال الطبيعيات وعلم الفلك .

واليوم نادراً ما نجد عالماً بارزاً يوافق على هذه النظريات الالحادية . حتى معظم العلماء المسلمين المعاصرين قد تأثروا بهذه النظريات الالحادية ولكنهم حصروها في حدود العلم فقط . وبذلك انقسمت عقولهم إلى قسمين يعمل كل منهما باستقلالية عن الآخر منتجة شخصية معقدة ومنقسمة على نفسها .

ونستطيع الاجابة عن ذلك السؤال « هل يستطيع العلم أن يؤدي دوره بدون الأعتراف بوجود الله سبحانه ؟ » نستطيع أن نجيب بالاثبات إذا كان المقصود هو البحث في الشيء المدرك الحس في الطبيعة والذي له سبب مادي فعال وآثار مادية آنية الحدوث . أي إذا كان من الممكن علمياً احداث السبب والأثر والنتيجة ، مثل هذا الأستقصاء يمكن أن ينجز دون الرجوع إلى مسببات مطلقة أو إلى القيم الافتراضية للغايات والآثار وبغض النظر عن النتيجة سلباً أم إيجابا .

أما إذا كان المقصود بالعلم هو محاولة الأنسان لتفهم البيئة العالمية الشاملة المحيطة به هنا لابد له من نظرة شاملة عامة على الخلق بأسره . لأن العلاقات بين العوامل المختلفة في الطبيعة من عنصرية ونباتية وفضائية تبدو مبتورة إذا أخذ كل منها على حدة ، ولكن بعضاً من نفاذ البصيرة يعتبر أمراً ضروريا ليربط بينها ولتكوين علاقة سببية ويتشكل منها كل لا يتجزأ يعمل في توافق وأنسجام .

لقد دار جدل فلسفي كبير حول امكان أو استحالة قيام العلم دون اعترافه بوجود الله . وكان مدار القضية حول مشكلتين في نظرية أو فلسفة العلوم . فالعلم — مع الأعتراف بوجود الله أو مع أنكاره — يشكل جانباً لاهوتيا لقضيتين غيبيتين :

( ١ ) هل تغد المسببات التجريبية سببا ملائما وكافيا ؟

( ٢ ) هل تعتبر أحداث الطبيعة حقيقة بدون بديهيات أخلاقية ؟

لقد حلت هاتان القضيان من وجهة النظر الإسلامية . فقد تحدى الإمام الغزالي الفلاسفة الذين يقولون بذلك وعلى رأسهم ابن سينا منذ مئات السنين . يقول ابن سينا أن الطبيعة كانت نظاماً محكماً يتكون من

خيوط من الأسباب والمسببات حيث يتبع السبب المسبب بطريقة آلية . هي بداءة من خلق الله ولكن بطريقة تجعلها تسيِّر نفسها بعد ذلك بنفسها ويعتبر أن كل نقطة في الزمان والمكان يتولد منها ذاتياً النقطة أو الحدث التالي .

ونظرية الدفع الذاتي هذه لا تحتاج إلى إله ليسيرها . فالله قد خلق الخلق مرة واحدة واستراح بعد ذلك ليسير الكون نفسه ذاتياً وآليا بعد ذلك ، هذا على حد زعم ابن سينا ومن نحا نحوه . وتصادف أن تكون هذه وجهة نظر علماء الغرب في علاقة السبب بالمسبب في القرن التاسع عشر .

وانبرى الغزالي للدفاع عن الحقيقة متهماً ابن سينا ورفاقه الفلاسفة بالكفر والردة . لأنهم بادعائهم ذلك يمنحون الطبيعة القوة الذاتية لتسير نفسها بنفسها فوضعوا بذلك الطبيعة من حيث قوة الارادة جنباً إلى جنب مع الله سبحانه وتعالى . ان الله تعالى بقوته وبعظمته هو صاحب الارادة في كل الأحداث في هذا الكون فهو يجعل الضوء ينير ، الأمطار تسقط ، الأشجار تنمو ، الدجاجة تبيض ، وهو سبحانه الذي يتحكم في أقدار البشر .

وكل ذلك من أحداث الطبيعة الضرورية وهي أيضاً نتائج حتمية لأسباب ضرورية لا يمكن أن تأتي على غير ما هي عليه .

وهذه المناقشة القيمة تتعلق بخيط واحد هو الشاهد الوحيد لصالحها . هذا الشاهد هو حتمية الأسباب والمسببات ويكمن في الحكم بأنه إذا جاء السبب تبعه الأثر .

ولقد سبر الأمام الغزالي غور هذا الشاهد وأدركه كما أدركه دافيد هيوم « **David Hume** » بعده بما يزيد عن ألف عام .. أن تتابع الأثر عقب السبب مباشرة — وهذا هو كل ما في الشاهد — يؤكد الحتمية السببية .

مثل هذا التتابع لنفس النتيجة بعد نفس السبب ربما يتكرر في الطبيعة وربما يتكرر في التجربة المحكمة أيضاً ولكن التكرار لا يحول التتابع إلى حتمية سببية ، وكما قال جورج سانتايا « **George Santaya** » في كتابه الشكية وإيمان الحيوان « **Skepticism and Animal Faith** » ربما يقنعنا التكرار بما نحن عليه من بساطة وسذاجة بالحتمية ، حيث لا يوجد غير التتابع ، ولكن ليس مثل كلب بافلوف « **Pavlov** » الذي كان مقتنعاً بأن رنين الجرس هو شرط حضور الطعام . أو كالطفل الذي يقنع بأن رنين الجرس هو شرط قيام القطار من المحطة . ولقد عبر الأمام الغزالي عن ذلك أجمل تعبير حيث قال « ليس من الضروري أن يتبع التابع المتبوع » .

إن دحض الغزالي للفلاسفة في « تهافت الفلاسفة » ليقف أثراً باقياً فعالًا في وجه أي ادعاء يدعيه مسلم أو غربي بأن للكون حركة آلية ذاتية .

إن الادعاء الذي أنتشر في القرن التاسع عشر والذي يقول بالسببية الحتمية قد جاء متأخراً ، متجاهلًا مساهمة الغزالي في ذلك الميدان . ولكنه ظهر إلى حيز الوجود بفضل جهود علماء غربيين .

ومنذ آينشتاين « **Einstein** » فتح عالم جديد من الطبيعيات حلت فيه اللا حتمية محل الحتمية .

ولكن ما هي اللاحتمية ؟ أليست هي انكار الحتمية في الطبيعة ؟ أليست هي حقيقة أن الغاية السببية لا تنطوي بالضرورة على غاية أبعد مما يكمن فيها بالفعل ؟ وهذه الغاية ربما يترتب عليها أثر مختلف عما يرافق السبب المعطى عادة . وذلك أن الأثر الناتج عن السبب لم يكن ضرورة حتماً ؟ أليست هي بالتحديد ما نعنيه بتسبيب الله سبحانه للأسباب ؟ عندما نفهم جيداً أن الله تعالى يعمل بقدرته من خلال وسائل ووسائط متعددة ولكن هو سبحانه الذي يجمع هذه الأقدار لتلتقي في نقطة محددة من الزمان والمكان ليتم حدوث أمر معين من أمور لا حصر لها محتملة الحدوث لنفس السبب .

ان الحقيقة لها طرفان ... الخالق والمخلوق ... فإذا عجز المخلوق عن إحداث الحدث والنتيجة بقدرته الذاتية فعليه أن يستلهم القدرة من خارجه أى من الخالق سبحانه وتعالى .

وإذا اعتبرنا أن للحقيقة مجالًا واحداً ألا وهو الطبيعة معنى ذلك أن نعتبر السببية ذات خاصية أدراكية .

ومن جهة أخرى إذا أعتبرنا الحقيقة مؤلفة من ثلاثة أطراف أو أكثر . أحدهم ليس الها وهو المسئول عن أحداث النتيجة والأثر ، هذا الأعتبار معناه أزحام الكون بلا مبرر .

وبغض النظر عما إذا كان العالم في بحثه يستطيع أن يضع أصبعه على القدرة الألهية ويدركها الا أن هناك شيئاً واحداً أكيداً هو أنه لا يستطيع أن يستنفد هذه القدرة .

إن الطبيعة اللانهائية للقدرة الألهية تنعكس على المجال اللانهائي للاحتمالات القابلة للتجمع في أي نقطة من الزمان والمكان وتجعلها سبباً منتجاً للنقطة التالية .

إن العالم يستطيع أن يتحقق من العلاقة الحاسمة لبعض هذه العناصر المحتملة ولكن من غير لمكن ادراك وأستقصاء كل العناصر . ان لانهائية هذه العناصر الفعالة هي أساس نظرية اللاحتمية . ان تمثلهم في عدد لانهائي من المقدرات المحتملة للتأثير في أي نقطة من الزمان والمكان هي أساس رفع نظرية اللاحتمية إلى المستوى الغيبيات وعالم ما وراء الطبيعة .

وهكذا فقد أعيد في النصف الثاني من القرن العشرين بعث الحقيقة التي أسسها الأمام الغزالي منذ ما يزيد عن الألف عام ،

والآن إذا تأكدنا أنه يجب علينا أن نكون عصريين علميين ... سيظهر السؤال التالي :

على أي مذهب سنكون علميين ؟ هل على أساس من ذلك الفكر العتيق البالي للفلاسفة المسلمين في العصور الوسطى والذي أعيد بعثه على أيدي علماء الغرب مع شيء من التعديل في القرن التاسع عشر ؟ أم على أساس أدراك وفهم الأمام الغزالي والذي بعث أيضاً مع قليل من التغيير في النصف الأخير من القرن العشرين ؟

وبكل وضوح سنختار الطريق الثاني — وهو فهم وأدراك الأمام الغزالي . ولكن لكي نكون علميين بهذا المستوى من الحس والأدراك يجب أن نكون مسلمين حقاً . ولسوء الحظ فإن معظم مسلمي العالم مازالوا يعيشون تحت ظلال العصور المظلمة يعتقدون في الطلاسم وشتى ألوان السحر . حتى في جامعاتنا الإسلامية نجد أخواننا المستنيرين بالثقافة يتشدقون بفلسفات القرن التاسع عشر العلمية ، ولا يعيشون عصرهم ولا يؤدون ما عليهم من واجب نحو تعلم أسلوب التفكير العلمي المعاصر في الغرب جاهلين بتراثهم الإسلامي عاجزين عن الاستفادة منه وربطه بالتطورات الحديثة .

الأساس الثاني الذي يرتكز عليه العلم الالحادي هو ادعاء أن الطبيعة ذات خاصية مادية بحتة لدرجة تؤدي إلى أنفصالها تماماً عن علم القيم الأخلاقي . وهذه المناقشة عادة يقدمها العالم أو الملاحظ في صيغة من الأستقلالية عن معطيات الطبيعة . ومهما كان القرار الشخصي للعالم عن القيم الأخلاقية فإن معطيات الطبيعة تبقى كما هي ، وهذا الادعاء يفترض تواجد القيم الأخلاقية في الشخص الملاحظ وينكره في الشيء الملاحظ وعلى هذا الأفتراض يعلن الملاحَظ مجرداً من القيم الأخلاقية ويتجاهلها أن وجدت في الشخص الملاحِظ .

وربما يسأل سائل ما هو أساس ذلك الأفتراض ؟ أليس هو محاولة اختزال حقيقتين متميزتين في حقيقة واحدة ؟ وإذا كان الأفتراض ينكر وجود حقيقتين ويرى واحدة فقط بينما يرى الرأي الآخر أنهما حقيقتان فكيف يمكن حل هذه المشكلة ؟

إن أدعاء الأختزال يعرف في علم الأخلاق والقيم بخداع الطبيعة . وجوهره تطابق الحقيقة الواقعة مع القيمة ، تطابق الرغبة مع المرغوب ، أو تطابق ما هو كائن مع ما ينبغي أن يكون والعكس صحيح .

إنه يسير عكس الفطرة السليمة وضد بعد نظر الغالبية العظمى للجنس البشري التي تجد لهذا السؤال معنى ... وبعد كل تقدير ووصف للحقيقة المادية ، ومهما كانت مستنفدة ، مرغوبة أم غير مرغوبة ، وبغض النظر عما ينبغي أن تكون عليه وحتى لو كانت هذه الحقيقة ملتزمة بما ينبغي أن

تكون عليه أو بمعنى آخر لو كانت كاملة ، لايزال من المهم أن نسأل ما إذا كانت الحقيقة الكاملة ينبغي أن تكون كما هي ؟ .. كاملة .

وهكذا لا توجد نقطة يفقد عندها السؤال مغزاه ، ما هو الشرط الأساسي الضروري للافتراض الذي تفرضه المناقشة ، في الحقيقة إذا طرح السؤال على أساس الطبيعة المادية للأشياء فإن في ذلك تكرارا لا معنى له . أما إذا طرح السؤال على اعتبار أخلاقي فسيتجه الموضوع إلى منحى آخر بعيداً عن الحشو والتكرار .

لم تخطيء الانسانية في طرح مثل هذه الأسئلة بأعتبار الرغبة وما ينبغي أن يكون وقد فعلت ذلك منذ أن بدأت في الوجود . ولقد كان هذا السؤال في الحقيقة هو نقطة الفصل لحياة الانسانية كلها على وجه الأرض ، وعكس ذلك خداع وزيف .

إن افتراض أن الحقيقة قائمة على التجربة فقط هو افتراض يرتكز عليه الشاكّ ، في مناقشاته فقط ، أما في حياته العملية فهو يتصرف طبقاً للقواعد المؤسسة على بعد نظر الجنس البشري بأسره . هو نفسه يسأل أسئلة في المرغوبية وما ينبغي أن يكون في كل لحظة من حياته ، حتى في أدق مناقشاته ضد موقف الإسلام يدحض افتراضه نظراً لأنه يفترض أنه من الأفضل للحقيقة أن تبحث وتعرف فضلا عن أي شيء آخر .

هذا الموقف مثل موقف الشاكّ ابيمندس « **Epimenides** » الذي أدعى أن كل الكريتين كذابون بينما يدحض ادعائه ذلك بحقيقة أنه هو نفسه كان كريتياً .

إن العلم الالحادي ــ أو علم القيم الافتراض كلاهما تمثيل سيء للحقيقة ، لأنه لا يوجد ادراك للحقيقة التجريبية دون أن يصحبه في نفس الوقت ادراك للحقيقة الافتراضية حول نفس الشيء . اننا لا نرى من المعطيات ولا من أحداث الطبيعة الا ما يحتل بعض المواقع في حدود المتوقع والمرغوب فيه . ونحن إذ نتكلم عن العلوم وعن طبيعتها أنما نتكلم في المجرد المطلق . ففي الحياة الواقعية لا يوجد فصل تام بين التجربة والافتراض فهما وجهان لعملة واجدة . وهما وجها الحقيقة . وعلى ذلك فالعلم الألحادي ربما يحظى بقليل من الصحة المحدودة ولكنها ليست مطلقة ولا عامة . وكما أن العلم يعجز عن الوصول بالفرضيات إلى حقيقتها المطلقة فكذلك استنتاجاته التجريبية تتسم بالنقص وعدم الوثوق بها . وهنا مجال الأستقصاء واسع ومهول كالفضاء الخارجي . فالعلماء وهم يسبرون غوره أشبه ما يكونون بمستكشف يسير بليل في غابة وليس معه الا ضوء مصباح صغير . ولقد دفعت العلوم الحديثة ــ مثل الانشطار النووي وعلم الوراثة ــ بالسؤال حول القيمة في المعرفة العلمية إلى حيز الوجود . ومازالت الأنسانية المعاصرة تتطلع إلى اجابة شافية على هذا السؤال ولن تجدها الا في الإسلام .

ملاحظة أخيرة تحتاج إلى تجلية تتعلق بالعلمانية الغربية ، فطبقاً لأقوال العالم الكيميائي جيمس كونانت « **James Conant** » الذي كان رئيساً لجامعة هارفارد أن العلم ليس بحثاً عن الحقيقة في الطبيعة لأنه لا توجد حقيقة في الطبيعة للبحث عنها . ولقد تحرك العلم فيما وراء ذلك الأدعاء الذي يبحث عن قوانين الطبيعة . أنه يعتبر الطبيعة نموذجاً أسس بطريقة ثابتة غير قابلة للتغيير ولكن بطريقة علمية وبالتدريج . فالعلم المعاصر في أمريكا — طبقاً لأقوال كونانت — ليس مهتماً بالبحث عن الحقيقة لأنه لا يوجد مثل هذا الشيء المسمى حقيقة الطبيعة وأنه ليس من الممكن الأقتراب من شيء غير موجود . العلم يتعامل فقط مع الفرضيات الظنية ولا يسأل عما إذا كانت فرضية أصدق من أختها وأنما ينظر إلى أيهما أكثر من الأخرى عطاء لما هو مرغوب ومطلوب .

إن علاقة الفرضيات الظنية بالحقيقة هو مجرد شكل من أشكال الحوار ، ولكن هذه العلاقة لا وجود لها . وعلى العكس من ذلك فإن علاقة التكنولوجيا بثمارها هي العلاقة الحقيقية الوحيدة الموجودة . وذلك ما يجعل من الخطأ التحدث عن الحقيقة على أساس من الفرضيات الظنية . والعلم هو الطريقة التي تبحث بها عن النتائج والثمار . ومن هنا فهو يتحرك من فرضية إلى أخرى بلا تردد حول أقترابهما أو أبتعادهما عما يسمى بحقيقة الطبيعة .

وبالنسبة للنتائج فهي على ما ينبغي أن تكون عليه مهما كان هدف انشغال الرجال بما يؤدي إليه البحث العلمي بواسطة الفرضيات الظنية وما تؤدي إليه من تقنيات حديثة .

هذه المبالغة في العلمانية أنتشرت في الغرب خلال وبعد الحرب العالمية الثانية وهي تتجاهل تماما حقيقة الطبيعة قلباً وقالباً ولا تميز بين النتائج وبعضها . وهي بالنسبة لها كلها حقائق طالما فيها مصلحة كافية لتمويل عمليات البحث العلمي الضرورية .

إن المعايير مستبعدة كلية من كل من الطبيعة والعالم مثلما هي مستبعدة من نتائج التكنولوجيا العلمية .

وبوضوح فهذه هي نهاية المطاف . فقد أدت الشكية إلى نهايتها الأخيرة وهي العدم — والضياع .

إن صاحبنا مستكشف الغابة في الليل بمصباح صغير بات غير منتبه — وبعجرفة — لما تنطوي عليه الغابة من أخطار تهدده .

إنه يظن أن الممر الضيق الذي يمر به هو كل شيء في الغابة ، انها فقط مسألة وقت قبل أن يواجه بالمأساة . ان تلوث الكرة الأرضية ، وأختلال توازن البيئة ، وسلسلة التفاعلات النووية وأستنزاف عناصر الطبيعة الضرورية للحياة — أي واحد من هذه الأخطار — ومئات أخرى تترصد له في هذه الغابة .

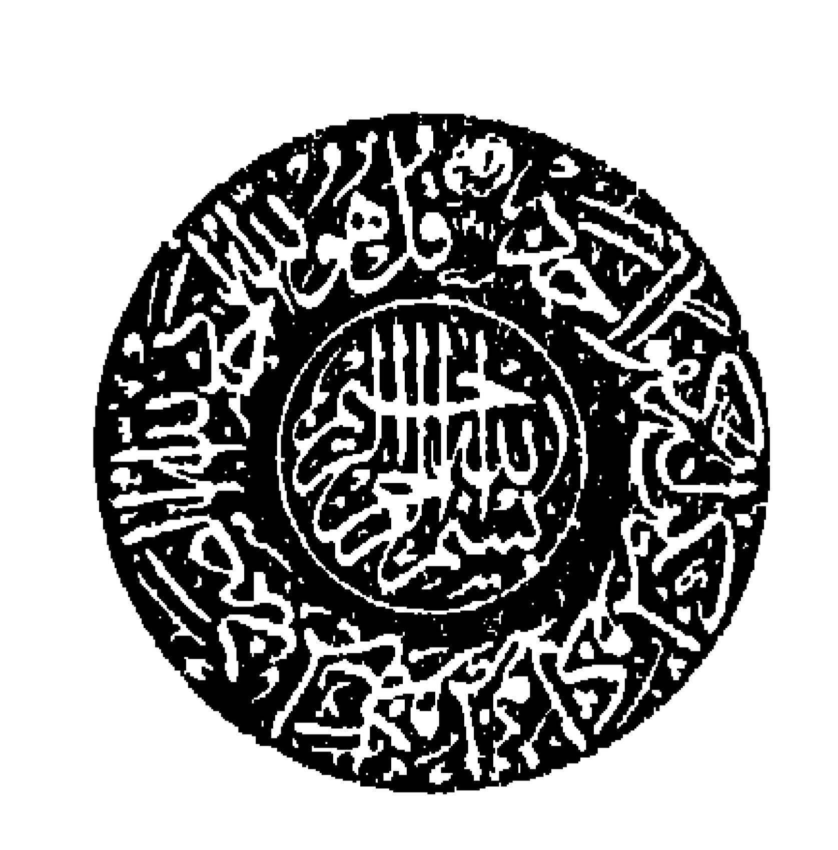
إن فروقاً هائلة تميز علم الغرب عن العلم الإسلامي حول الطبيعة . هنا يوجه البحث دائماً وأبداً إلى سنة الله الثابتة في الطبيعة ، إن الطبيعة ليست غابة شيطانية وضعت ليفنى فيها الأنسان . ولا هي مجهول شرير كتب على الأنسان إن يقهره ويسيطر عليه . أنها ليست هبة مشاعة بدون مالك حيث يستطيع الأنسان أن يسيىء أستعمالها ولا هي كتلة خامدة لا قيمة لها غير مستجيبة لما يحدث لها . أنها نظام عضوي جيد الأحكام من الأسباب والأهداف . خلقها الله سبحانه وتعالى وأمدها بأسباب البقاء ومنحها فعالية الأسباب والمسببات .

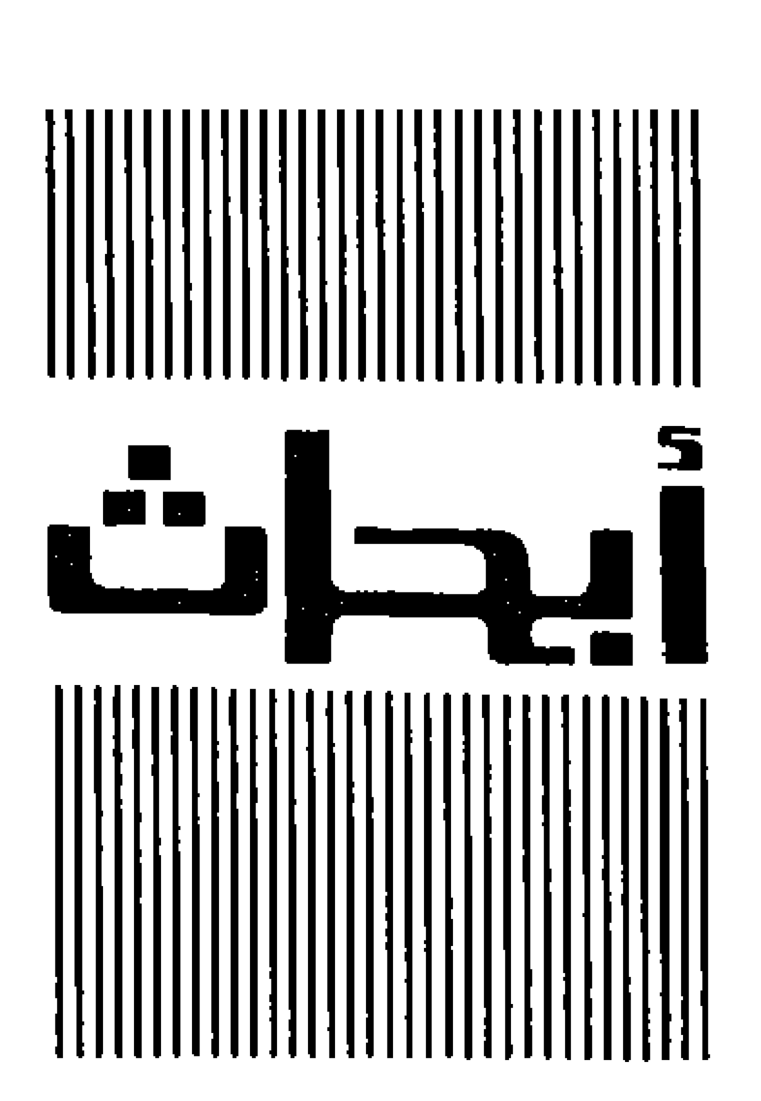
إنها مسرح محكم وضع الله الأنسان فيه ليثبت جدارته ، فأفعاله طيعة مفتوحة للقرارات التي يتخذها الأنسان تحقيقاً للأهداف التي يسعى إليها والتي تجعلها منبعاً للخير أو الشر تبعاً لخياراته وأحكامه .

إن الأنسان مكلف بالمعنى المطلق ليحقق القانون الأخلاقي بمساعدة الطبيعة . فحقه في الأنتفاع بالطبيعة ـــ بناء على ذلك ـــ محدود بالأمر الألهي الذي أعطي القانون الأخلاقي مضمونه أما العلم أو المعرفة بحقائق الطبيعة فهي بناء على ذلك لا تعد معرفة مالم تكن محدودة بهذه المباديء

وكما وضحها الأمام الغزالي من قبل

« طلبنا العلم لغير الله ـــ فجاءت النتيجة معرفة جاهلة ـــ فأبى العلم أن يكون إلا لله »





# التحقيق العلمي للآيات الكونية في القرآن

كارم السيد غنيم

مدرس مساعد بكلية العلوم جامعة الأزهر

إنه لمن المسلم به أن القرآن الكريم قد تفرد من بين سائر الكتب السماوية بأنه الكتاب المعجز الذي لا يتطرق الشك اليه ولا يقع الريب عليه ولا يحوم الجدل حول تواتره وصحة سنده وسلامة نسبته الى مبلغه وانه هو الكتاب الذي تكفل الله بحفظه وتعهد

بصونه والتزم بحمايته ورعايته ذلك ان الله تعالى ختم به الرسائل وانهى به الشرائع ، واتم به الصحف وسبب آخر وهو أنه لم ينزل — كما نزلت الكتب السماوية السابقة — علاجا لأمة خاصة ولا دواء لجماعة معينة ، وانما نزل ليكون قانون الله تعالى الى كافة عباده ، ودستوره الى سائر خلقه [١] . يصفه الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في إحدى خطبه فيقول : ( ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحه ، وسراجا لا يخبو توقده ، وبحرا لا يدرك قعره ، ومنهاجا لا يضل نهجه ، وشعاعا لا يظلم ضوؤه ، وفرقانا لا يخمد برهانه ، وتبيانا لا تهدم أركانه ، وشفاء لا تخشى اسقامه ، وعزاً لا تهزم انصاره ء وحقا لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الايمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، وأثا في الاسلام وبيناته ، ... جعله الله رياً لعطش العلماء ، وربيعا لقلوب الفقهاء ، ومحاج لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده دواء ، ونورا ليس معه ظلمة ، وحبلا وثيقا عروته ، ومعقلا منبعا ذروته وعزا لمن تولاه ، وسلما لمن دخله ، وهدي لمن ائتم به ... ) [٢] .

وللقرآن اسماء منها : القرآن : يقول الله تعالى : **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** ( الحشر /

٢١ ) ، الكتاب : يقول الله تعالى : « الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ( الكهف /١ ) ، الفرقان : يقول الله تعالى : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ( الفرقان / ١ ) ، كلام الله : يقول الله تبارك وتعالى : « وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ( التوبة / ٦ ) كما ان من أسمائه الذكر : يقول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ( الحجر ٩ ) كما وصف القرآن بأوصاف عدة منها : الشفاء ، القصص ، الحكيم ، الحكمة ، الحبل ، الصراط المستقيم ، العزيز ، الموعظة ، المجيد ، بلاغ ، بصائر ، بيان التنزيل ، الوحي ، الرحمة ، النذير ، المهيمن ، وغيرها من الأوصاف المناسبة للقرآن (٣) .

وكان رسول الله ﷺ أمام المفسرين الاول ، ورائدهم الامثل ، وهو الذي انار لهم الطريق وأضاء لهم السبيل ، وكان الاعلام من اصحابه يرجعون اليه في حياته اذا استغلق عليهم الامر ، او التوت عليهم الفكرة فلما سبقهم ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الى الرفيق الاعلى حملوا هم من بعده المشعل ، وصاروا في طريقهم الواضح ، يحدوهم الايمان ، ويقودهم الاخلاص ، وترفرف عليهم اجنحة الملائكة (٤)

وكلمة التفسير تفصيل من الفسر (٥) ، وكلاهما في اللغة بمعنى الابانه وكشف المغطى والتفسير بالمعنى اللغوي المذكور يستعمل في الكشف عن المحسات والمعقولات واستعماله في الثاني أكثر من استعماله في الاول .

وأما التفسير كعلم من العلوم الاسلامية فهو يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب ، وبعبارة اخرى هو ذلك العلم الذي يقصد منه ايضاح القرآن والكشف عن مراميه واسراره (٦) .

## الفصل الاول
## التفسير : انواعه وأعلامـــة ومراحلة

مما لا شك فيه ان اوائل المفسرين على جانب عظيم من معارف عصورهم وثقافات أزمانهم وبالاضافة الى ذلك ما كان يعرفونه من انباء القرآن والظروف التي لابست نزول آياته والاحداث التي نزلت هذه الايات في شأنها ، ... وقد التزم هؤلاء الأئمة في تفسيرهم للقرآن منهجا لم يحيدوا عنه ، وهو أنهم كانوا يفسرون الآية بما سمعوه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم او موقوفا عند أحد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فاذا لم يجدوا شيئا سمعوه عن الرسول في تفسير آية ما لجئوا الى الرأي والاجتهاد ، وكانت لهم في تفسيرهم ادوات سوف

نجلي أبرزها بعد قليل ولم يغادر هؤلاء الائمة الحياة الدنيا الا بعد ان أسلموا الامانة الى تلاميذ هم الذين ورثوهم معارفهم وعلومهم فكان اللاحقون نعم الوارثين حيث نهجوا نهج اسلافهم ونسجوا على منوالهم .

غير أن العالم الاسلامي امتدت افاقه واختلطت الاجناس فيه واحتوت الرقعة الارضية التي انتشر عليها الاسلام السنة شتى ثم توالت على هذا العالم المحن والخطوب فكانت هذه الفتن بالاضافة الى تعدد الثقافات وتشعب التقاليد والمشارب وتعدد الالسنة وعدم الفكاك من تأثير ثقافات هذه البقاع وبعض تقاليد هذه الاصقاع ، كان كل ذلك من دواعي تسلل روايات الى القرآن وأخبار الى تفاسيره لا تتفق مع روح الشريعة ولا تنطبق وجوهر الدين على الرغم من أن كل هؤلاء الشعوب قد جمعتهم ملة واحدة وضمهم دين واحد وتهذبوا بآداب واحدة وتخلقوا بأخلاق واحدة هكذا باختصار شديد بدأ الكدر يشوب موارد التفسير وأخذت أكاذيب أهل الكتاب وأساطيرهم تأخذ طريقها الى هذه الموارد ، تلك التي كانت من قبل طاهرة نقية الا ان الامة جاءت عليها فترة ازدهرت فيها العلوم وعمت فيها صحوة زاهرة بعد طول خمود ، فاتسعت فيها افاق البحوث وانفسحت فيها طرائق الادراك وتعددت منازع العلماء في الدراسات ، فلكل منهم مذهبه ومشربه الذي يبدع فيه ، ومن ثم وجدنا اتجاهات شتى في تفسير القرآن — وهو اجل العلو م واشرفها — فمنهم من توسع بل اعتمد على التفسير بالمأثور كما فعل الثعالبي في تفسيره ( جواهر القرآن ) والسيوطي في تفسير ( الدر المنثور ) ، وابن كثير في تفسيره ( تفسير القرآن العظيم ) واسهب بعض العلماء في التفسير بالرأي كما فعل الامام الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ) ، والبيضاوي في تفسيره ( أنوار التنزيل ) ، والالوسي في تفسيره ( روح المعاني ) : وجنح بعضهم الى البلاغة والبيان ومنهم الامام الزمخشري في تفسيره ( الكشاف ) : وجنح اخرون الى القواعد النحوية مثل أبي حيان في تفسيره ( البحر المحيط ) : وفصل بعض العلماء الفقهيات فكانت تفاسيرهم فقهية موسعة مثل القرطبي في تفسيره ( الجامع لاحكام القرآن ) ثم أفاض أهل التربية والسلوك في فهم القرآن فكانت اللطائف والاشارات ومنها حقائق التفسير ) للامام السلمي ، و لطائف الاشارات ) للامام القشيري ، والبحر المديد في تفسير القران المجيد ) للامام ابن عجيبة ، و ( اسرار القرآن ) للامام المجدد ماضي ابو العزائم .

ثم نأتي الى النوع الاخير من التفاسير وهو ما يسمى التفسير العلمي لآيات القرآن ، فنقول ان هذه النزعة ليست وليدة عصرنا الحالي فقط وانما سبق اليها نفر من العلماء أمثال الفخر الرازي في تفسير ( الكشاف ) (٧) حيث تحدث طويلا عن

خلق السماء والأرض ونظام الافلاك وعلم الهيئة على نحو ما كان معروفا في عصره من معارف وثقافة . أما في العصر الحديث فانبرى علماء في هذا المضمار منهم الاستاذ طنطاوي جوهري في تفسيره ( الجواهر الحسان ) الذي حشد فيه معلومات واسعة عن علوم الكون والحياة وطبقات حنفي احمد في ( التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ) والدكتور عبد الله شحاته في ( تفسير الآيات الكونية ) والدكتور محمد احمد الغمراوي في ( الاسلام في عصر العلم )،( سنن الله الكونية )، والدكتور محمد جمال الدين الفندي في ( الله والكون ) والدكتور محمد يوسف حسن في ( قصة السموات والارض ) ، والدكتور عبد الغني الراجحي في ( الارض والشمس في منظور الفكر الاسلامي ) والدكتور موريس بوكامي — طبيب وفيلسوف فرنسي اسلم في نهاية القرن الرابع عشر الهجري — في ( دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ) والاستاذ على عبد العظيم في ( ملكوت السموات والارض ) الدكتور وحيد الدين خان في ( الاسلام يتحدى ) والاستاذ صلاح الدين خشبة في رسالته ( العلم والايمان )والاوستاذ محمد محمود ابراهيم في رسالاته ( اعجاز القرآن في علم طبقات الارض ) والاستاذ عبد الرزاق نوفل في مؤلفاته ( الله والعلم الحديث ) ، ( الاسلام والعلم الحديث )،( القرآن والعلم الحديث ) والدكتور عبد العزيز باشا اسماعيل في ( الاسلام والطب الحديث )، والدكتور محمد صدقي في ( علم الفلك والقرآن )،( والاستاذ مصطفى صادق الرافعي في ( اعجاز القرآن )، والشيخ محمد بخيت المطيعي في ( تنبيه العقول الانسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية ) ، والغازي احمد مختار باشا — وكان عالما رياضيا فلكيا مشهورا — في ( سرائر القرآن ) ، والسيد كيراميت — وكان عالما اسلاميا فارسيا مشهورا — في ( الاتفاق الاساسي التام بين الكتاب وبين التعاليم الاوربية في الطبيعة والفلك والعلوم الكونية ) ، والاستاذ محمد عفيفي الشيخ في ( القرآن الكريم وعلوم الغلاف الجوي ) . وبالاضافة الى هؤلاء نجد رجالا الهمهم الله بفيض من العلوم فذهبوا يكتبون في هذا المجال او يحاضرون نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الدكتور عبد الحليم منتصر ، الدكتور عبد الحليم كامل ، والدكتور عبد الحافظ حلمي محمد ، والدكتور احمد حسانين القفل ، والدكتور عبد المحسن صالح ، ومحمد اسماعيل ابراهيم ، والدكتور السيد الجميلي والدكتور سالم نجم والمهندس محمد عبد القادر الفقي ، وغيرهم كثير ، وسوف يستمر عطاء العلماء المسلمين في كل مجال من مجالات العلوم النافعة لخدمة دينهم والتهكين لقرآنهم الى يوم القيامة كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الاثر

( الخير في وفي أمتي الى يوم القيامة ) .

اذا اردنا التعرف على الاعلام البارزين في علوم التفسير في العصور الاسلامية عبر القرون المتوالية من حياة الامة ، فاننا ننتخب منهم في القرن الاول والقرن الثاني الهجريين الامام على بن ابي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود والسيدة عائشة وفي القرن الثالث والقرن الرابع الهجريين ابن جرير الطبري والفخر الرازي وابن حيان الاندلسي في ( البحر المحيط ) والقرطبي في ( الجامع لاحكام القرآن ) وابن عطية وابن العربي والجصاص . وفي القرن الخامس نجد ابو جعفر الطوسي في ( البيان الجامع لكل علوم القرآن والشريف الرضي الموسوي في ( حقائق التنزيل ود قائق التأويل وامام الحرمين الجويني والثعالبي . وفي القرن السادس نجد جار الله الزمخشري في ( الكشاف ) والفضل الطبرس في ( مجمع البيان ) العكبري والبغوي وابن الدهان . في القران السابع نجد البيضاوي صاحب ( أنوار التنزيل ) وأبن رزين والشيخ محي الدين بن العربي صاحب ( الفتوحات المكية ) وابن عقيل النحوي والبلخي المعروف بأبن النقيب . وفي القرن الثامن نجد الزركشي والقرشي وابن حيان الاندلسي صاحب كتاب ( البحر ) وكتاب ( النهر ) في التفسير وابن النقاش . وفي القرن التاسع نجد البقاعي ، والمولى الجاحي وبرهان الدين ابن جماعة وعلاء الدين القرماني صاحب ( بحر العلوم القرآن ) وفي القرن العاشر نجد علي بن يونس السنباطي ، وابن كمال الرومي ، وأبو السعود العماري ، وأبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري . وفي القرن الحادي عشر نجد علي القاري ، وحسن البوريني ، وبهاء الدين العاملي الكركي صاحب تفسير ( عين الحياة ) ، وخير الدين الرملي ، والشهاب الخفاجى ، وفي القرن الثاني عشر ، نجد عبدالغني النابلسي ، والسيد هاشم البحراني صاحب ( البرهان في تفسير القرآن ) وفي القرن الثالث عشر نجد الألوسي ، والسيد محمود الحمزاوي مفتي دمشق في كتابه ( درّ الأسرار ) ، وفي القرن الرابع عشر نجد محمد عبده ، والرشيد الرضا ، ومحمد محمود حجازي ، وسيد قطب ، ومحمد ماضي أبو العزائم . وأخيرا في القرن الخامس عشر نجد محمد متولي الشعراوي صاحب ( الخواطر ) ، ومحمد علي الصابوني صاحب ( صفوة التفاسير ) ومحمد البهي صاحب موسوعة التفسير الموضوعي للقرآن ، وغيرهم ممن تشرف بهم قرننا الحالي .

نأتي الآن الى استعراض المراحل التي مر بها التفسير منذ رسول الله ﷺ حتى عصرنا الحالي وذلك حتى يمكننا الوقوف على مدى خطورة الموضوع محل البحث والدراسة وهو التعميق العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم :

**المرحلة الأولى : التفسير المأثور عن النبي ﷺ :**

ذهب كثير من العلماء إلى أن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان هو المفسر الأول للقرآن لكل ما جاء فيه من عبادات ومعاملات ومعتقدات ، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة السند والرواية عن رسول الله خير معين على فهم القرآن وإيضاح مجمله وبيان غوامضه[٨] .

**المرحلة الثانية : التفسير المأثور عن الصحابة وتابعيهم :**

الصحابة هم تلاميذ رسول الله ﷺ الذين سعدوا برؤيته ومجالسته والتأدّب بأدبه والسعي إلى التخلق بأخلاقه وهم الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم فكانوا أعرف الناس بأسباب نزوله وأعرف الناس بمناسبة كل آية فكان هذا خير معين لهم على فهم المقصود من كل آية فهماً صحيحاً ،إلا أنهم عنوا عناية كبيرة بالأمور الفقهية أكثر من غيرها[٩] ، ولم يشغلوا أنفسهم بالحقائق الكونية وأسرارها ونواميسها ولم يفكروا فيها ، حتى أنهم أيضا لم يهتموا بالقصص القرآني ولم يخوضوا فيه إلاّ بالقدر الذي أوضحه القرآن فلم يتعدُّوه ولم يلتفتوا الى ما يقوله قُصَّاصُ عصرهم من كلام فيه من الخيالات والدسائس ما تلفظه النفس الإسلامية السوية .

وكانت أدوات الصحابة في منهجهم لتفسير القرآن هي :

( ١ ) تفسير القرآن بالقرآن .
( ٢ ) التفسير بالسنة النبوية الشريفة .
( ٣ ) التفسير بأسباب التنزيل .
( ٤ ) التفسير اللغوي والبلاغي .
( ٥ ) التفسير الأجتهادي[١٠] .

وكان من أعلام هؤلاء : أبن عباس : فهو ترجمان القرآن ، قال ابن عباس : قال لي رسول الله ﷺ : ( نعم ترجمان القرآن أنت ) ، ففي عصره أشتدت حاجة الناس إلى الأخذ عنه بعد تأخر الزمان به ، ثم لأنقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم فلم تشغله خلافة ، ولم تأخذ عليه وقت رعاية شئون الرعية .

ومنهم عبدالله بن مسعود : فهو من أعلم الصحابة بكتاب الله ومعرفة محكمه ومتشابهه ، وحلاله وحرامه ، أخرج بن جرير عنه أنه قال : ( والله الذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته ) .

ومنهم علي بن أبي طالب : فقد عاش في زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى من يفسر القرآن إذ إتسعت دولة الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا فتعددت الألسن وتلونت الثقافات ، وصاحب ذلك ظهور جيل من أبناء الصحابة ، كانوا في أشد الحاجة الى

علم آبائهم . ومما يدل على عظيم علمه بالتفسير ما رواه معمر بن وهب بن عبدالله بن أبي طفيل حيث قال : ( شهدت علياً رضي الله عنه يخطب ويقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلاّ أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أفي سهل أم في جبل )[١١] .

ومنهم السيدة عائشة أم المؤمنين : فلقد عاشت تسع سنين في بيت النبوة وكانت أقرب زوجات الرسول اليه وأكثرهم ولعاً بأقواله وأفعاله ، فعايشت الوحي معايشة حية ، ومن أهم ما فسرته ما يتصل بأمور الطهارة[١٢] ، كما أن أم المؤمنين عائشة كانت من الصحابة الذين إستعانوا في تفسيرهم للقرآن بأسباب النزول ، فكانت دائما توضح الآيات القرآنية بما يحيط بها من أحداث تاريخية .

وقد أشتهر كثير غير هؤلاء من الصحابة أمثال أُبَيّ بن كعب الأنصاري ، والخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الاشعري ، وعبدالله بن عمر وأنس بن مالك ، وعمرو بن العاص وآخرون .

**المرحلة الثالثة : التفسير المعني باللغويّات :**

اللغة العربية هي أساس فهم القرآن ، وهي أداة التعبير عن معاني آياته وبيان أهدافه ، ولا يمكن لأحد أن يفهم القرآن دون إجادته للّغة العربية ، ولقد نزل القرآن الكريم بلغة قريش فهي أقوم اللهجات لساناً وأعذبها بياناً ، وكانت وَسَطاً بين ما انتشر في ذلك العهد من لهجات ولغات في قبائل العرب .

وبتوالي العصور توالت البحوث والدراسات التي قام بها علماء المسلمين وغيرهم من المستشرقين حول مفردات القرآن ووضع المعاجم والفهارس لألفاظه الغريب منها وغير الغريب ، ذلك لأن القرآن قد أتى بألفاظ جديدة لم تكن مألوفة من قبل الإسلام ومنها كلمات : الشرك ـــ النفاق ـــ الصور ـــ الحشر ـــ الأعراف ـــ الصراط ـــ العرش ـــ الكرسيّ[١٣] ، وكان الرسول ﷺ يوضّح معاني هذه الألفاظ للصحابة وغيرهم ، ثم استعمل القرآن ألفاظاً من لغات أخرى ومنها كلمات الجبت ـــ حصب ـــ أرائك ، وهي الفاظ حبشية ، وكلمات السجل ـــ السرادق ـــ زنجبيل ، وهي ألفاظ مُعَرَّبة من الفارسية ، وكلمات قسط ـــ الرقيم ـــ الدراهم ـــ فردوس ، وهي كلمات رومية الأصل ، وكلمات صلوات ـــ لينا ـــ قوم ، وهي من أصل عِبْرِيّ . إذا كان لزاما على العلماء أن يضعوا المعاجم والفهارس وما شابه ذلك خدمة لألفاظ القرآن ومفرداته وتسهيل فهمه للناس .

**المرحلة الرابعة : مرحلة التفسير بالرأي :**

وفي هذه المرحلة أنتقل العلماء من التفسير النقلي الى التفسير العقلي في الأمور التي وجدوا الثقافات الجديدة والعلوم الحديثة توضح جوانب جديدة فيها ، فكان العقل وكان النقل(١٤) ، وقام بهذا النوع من التفسير أجيال من العلماء مقتدين في هذا المَنْحىَ ببعض الصحابة وبتابعيهم الأجلاء — لتمحيص المعاني واستخراج الأهداف واستنباط الآراء ، وهذا كله فتح بابا هاما جدا هو باب التفكر والتدبر والتأمل في آيات الله ، ومن أبرز رواد هذا الأتجاه الإمامان الطبري والزمخشري ، ولكن للتفسير بالرأي شروط وضمانات سوف نعرج على أهمها بعد قليل إن شاء الله .

**المرحلة الخامسة : مرحلة إبراز أوجه الإعجاز العلمي للآيات الكونية في القرآن :**

وهو إتجاه محمود وَلَجَهُ علماء الأمة من المتخصصين في المجالات المدنية والفنون الكونية وذلك مِنْ منطلق الحماسة الدينية والغيرة الإسلامية إبرازاً لإعجاز كتاب الله الخالد وعظمة كل إشارة وردت فيه ناهيك عن كل تصريح صرَّح به ، وهي لغة العصر الذي يتفاهم بالبحوث والكشوف ، لغة الدراسات والتحقيقات ، أي أن التحقيق العلمي للآيات الكونية الواردة في القرآن أضحى ضرورياً الآن ، وهذا هو قضية البحث الحالي والتي نحاول علاجها .

## الفصل الثاني
## حسم النزاع بين المنكرين للاتّجاه العلمي في تفسير القرآن وبين المسرفين فيه

مما مرَّ سابقاً عرفنا أن تفسير القرآن الكريم من أشرف العلوم وأجلّها ، وعرفنا أن العاكف على ذلك هو عابد لله بأرفع أنواع العبادات ، وعرفنا كذلك أن هذا فن من فنون يجب أن يرتفع عن خبط وخلط أنصاف المتعلمين وأشباه المتخصصين حتى لا يسيء أكثر مما يفيد ، وَيَحْسُنُ بنا الآن أن نعرف شيئاً عن قضيةٍ أثيرت من سنين مضت ولا تزال يثار الجدل حولها ، تلك هي مسألة الاحتدام بين القائلين بالتفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن وبين المنكرين لهذا الأتجاه ، حتى نستطيع بعد ذلك عرض المنهج الصحيح الدقيق لفضّ هذا النزاع .

★ أولا : التيار الأول : وهو يمثل أتّجاه المعارضين والمنكرين لفكرة الأتجاه العلمي في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ، وأبرز رواد هذا التيار المرحوم الدكتور أمين الخولي والدكتورة عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطيء )(١٥) والدكتور الذهبي(١٦) والإمام الشاطبي وغيرهم ، وتدور حججهم حول النقاط التالية :

( ١ ) إنّ القرآن نزل ليفهمه العرب في الصدر الأول من الإسلام ، وإن علينا — معاشر المسلمين — أن نحذوا حذوهم فيما فهموه من آياته البيات بحسب مدلولات ألفاظه المفهومة ، لأنهم عرب أدْرىَ بلغتهم ، وأقدر على فهم معاني كلماتها منا .

( ٢ ) أن القرآن الكريم لا شأن له بالعلوم الطبيعية ، وإنما هو كتاب أُنزل للناس للارشاد والهداية وبيان التكاليف وأحكام الآخرة .

( ٣ ) إن الكشوف العلمية والبحوث الكونية ما هي الّا فروض ونظريات ، يعتقد رجال العلوم فترة من الزمان في صحتها ثم لا يلبثون أن يثبتوا بأنفسهم بطلانها ومن ثَمَّ فلا يجوز للمسلم الغيور على عظمة قرآنه الكريم أن يقحم آياته في أشياء ومعارف تتغير وتتبدل ، حيث ما هو حقيقي بالأمس أصبح خطأ اليوم ، وما هو حقيقي اليوم سوف يصبح — مع تقدم أمكانات ووسائل وأدوات البحوث — غدا باطلا ، فكيف نستخدم علوم هذا شأنها في تفسير آيات خالدة باقية لا يتطرق إليها أدنى تغيير أو تبديل ؟!

★ **ثانيا : التيار الثاني** : ويمثل القائلين بتفسير القرآن بأستخدام العلوم والمعارف الحديثة ، وهؤلاء يمكن معرفة آرائهم حينما نرى كيف أجابوا على الحجج التي سبق ذكرها في الردّ على هذا الزعم نقرر أمرين :

**الأمر الأول** : أن القرآن الكريم نزل للبشرية حتى يوم القيامة على اختلاف ثقافات عصورها وتنوع علوم أهلها ، وهو اذاً يخاطب العقول على إختلاف المواهب والثقافة والتدبر والتفكر ، وكل عقل يأخذ منه ما يطبقه وما ينتفع به ، فإذا عجزت بعض العقول عن إدراك بعض المعاني لآيات القرآن وجب علينا أن نستعين بكبار العلماء الباحثين فإن الله تعالى يقول : « **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » ( النحل / ٤٣ ) ، وكم استنبط العلماء والفقهاء والباحثون من آيات القرآن الكريم معاني وأحكاما لم يعرفها السابقون ، ذلك أن القرآن الكريم كما عبر عنه رسول الله ﷺ : ( حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ من كثرة الردِّ — أي التلاوة — ، ولا تنقضي عجائبه ) ، فالدارس للقرآن الكريم يأخذ منه بمقدار موهبته الفكرية ، وإيمانه القويّ ، وثقافته العلمية ، ومعارفه العديدة ، وتفكيره العميق ، وكلما نما العقل البشري واتسعت مداركه وتنوعت ثقافته وتعدّدت تجاربه وغزرت معارفه ، أدرك من القرآن الكريم مالم يدركه سواه من قبل . **الأمر الثاني** : أن القرآن الكريم من أوجه إعجازه إعطاؤه معانٍ متعددة للعبارة الواحدة الواردة فيه : ( أ ) وأكثر من هذا أننا نجد أحيانا عبارة واحدة تعطينا معنى خاصاً ، وفي الوقت نفسه

تعطينا ما يبدو مضاداً لهذا المعنى : مثال ذلك : يقول الله تعالى : « **وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون** » ( يس /٣٣ ــ ٣٥ ) . فالمعنى الأول المفهوم من الآية الكريمة أن الله خلق لنا الثمر لنأكل منه وهو الذي صنعه ولم يصنعه بشر ، أي أن « ما » في « وما عملته أيديهم » نافية لفعل البشر في الصنع والخلق ، لكن للآية معنى آخر غير المعنى الأول ، وهو : أن الله خلق الثمرات لنأكل منها طازجة ولنأكل مما صنعته أيدينا من هذه الثمرات ، بالطهي أو العصير أو التمليح أو التسكير أو التجفيف أو التقديد ، أي لنأكل منها طازجك ، وكذلك مما صنعته أيدينا منها بالوسائل الصناعية ، أي أن « ما » ــ التي أشرنا اليها سابقا ــ هنا موصولة وليست للنفي . وأصبح للآية إذاً معنيان ، وربما لها أكثر ، وكل منهما صحيح . ( ب ) وهناك آيات عديدة تعطينا معانٍ عديدة ، يظهر بعضها في زمن ، ويظهر ما فيها في أزمان متوالية ــ تبعا لازدياد فنون الثقافة والكشوف العلمية المتوالية ، وان على علماء المسلمين المعاصرون إيضاح هذه المعاني حسب ما لديهم من علوم ومعارف حديثة تخدم مفاهيم هذه الآيات ، ولنضرب على صحة ما ذهبنا اليه أمثلة قليلة هي :

**المثال الأول** : يقول الحق تبارك وتعالى : «**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** » الغاشية / ١٧ ) فهل الأمر الإلهي هنا بالنظر إلى لمجرد مناسبتها لخطاب البدو والإعراب ، فإذا كان هذا صحيح فكذلكً لا تزال الدراسات الحديثة تكشف عن معجزات إحيائية رائعة في ذلك المخلوق الرائع[١٧] الذي نستطيع أن نثبت أنه خُصَّ بالذكر من بين ما لا يُحْصَى من مخلوقات الله ، نموذجا بتدبّر في دراسته المتدبرون .

**المثال الثاني** : يقول الحق تبارك وتعالى : « **حُرِّمَتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** .. » ( المائدة/٣ ) فليس من الصحيح المقنع أن علّة التحريم في لحم الخنزير هي ما تتناقله بعض التفاسير من أشياء يسهل الردّ عليها ودحضها ومنها الرائحة الكريهة أو أن الخنزير يتغذى على الأقذار أو ما شابه هذه الأقوال الضعيفة ، ولكن علينا ــ بعد إيماننا بتحريمه والامتثال للأمر الإلهي بالطاعة ــ أن نفهم ما أثبته العلماء المعاصرون من حقائق تقرر أن تحريمه لعلة مستقرة فيه وليس لعلة عارضة عليه يحل لحمه بزوالها[١٨].

**المثال الثالث : قال تعالى : « وآرسلنا الرياح لواقح** » ( الحجر/٢٢ ) فمن مفاهيم هذه الآية الكريمة : إن الله يرسل الرياح حاملة المطر الذي ينزل في الأرض فيحي مواتها فينبت النبات والثمرات ، حيث يشرح المفسرون معنى الريح اللاقح بأنها كل ريح تأتي بخير ، وعكسها الريح العقيم . ومن

مفاهيم هذه الآية أيضا أن الرياح تحمل حبوب اللقاح من ذكور النباتات إلى أعضاء إناثها فيتم الإخصاب فتثمر النباتات الثمار التي نأكلها ونحيا بها ، ومن مفاهيم الآية أيضا أن الرياح تحمل الحشرات تلك التي تحمل حبوب اللقاح لتقوم بنفس العملية التي ذكرناها لنفس الغرض المذكور . ومن مفاهيم الآية أن الرياح تلقّح التربة أي تمدها بالعناصر اللازمة لخصوبتها ومنها الأزوت الذي يوجد طبيعيا في الهواء مثلا . ومن الفهم الجديد لهذه الآية «**وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين** » ( الحجر/٢٢ ) ما أفاء الله به على العالم الدكتور الفندي (١٩) حيث يقول : تثير الرياح السحاب أي تكوّنه وتدفعه حيث تدأب على إمداده وتغذيته ببخار الماء الذي تحمله وتجلبه معها من البحار والمحيطات وكذلك تغذيه بجسيمات صغيرة تسمى باسم ( نوى التكاثف ) ووظيفة هذا ( النوى ) هي تجميع جزيئات بخار الماء في مناطق إثارة السحب لتكوّن قطرات صغيرة من الماء أو من بلورات الثلج . والفرق بين السحابة التي تمطر والسحابة التي لا تمطر هو أن الأولى لها مدد مستمر من بخار الماء ونوى التكاثف بواسطة الرياح أو الهواء الصاعد أما الثانية فليس لها أي مدد وينجم عن استمرار الرياح في ( تلقيح ) السحاب الذي تثيره ببخار الماء ونوى التكاثف نزول المطر . ومن هنا تكون الفاء في قوله الله تعالى « **فأنزلنا** » هي فاء السببية ، أن نجم عن هذا التلقيح نزول المطر . أما قوله سبحانه « **وما أنتم له بخازنين** » فهي إشارة أخرى إلى معجزة أخاذة هي الدورة المائية بين السماء والأرض ، حيث أن ماء المطر يعود مرة أخرى إلى المحيطات والبحار عن طريق الأنهار أو المياه الجوفية وتعود الشمس فتبخر بعض ماء المحيط لتعود الدورة من جديد وهلم جرا .

**المثال الرابع** : يقول الحق تبارك وتعالى : ان كل نفس لما عليها حافظ ( الطارق /٤ ) فما هى مفاهيم الحفظ الذي يقيمه الله على كل نفس حماية لها ؟ ان من مفاهيمه أن الله يحفظنا من الاخطار المحدقة بنا لانه سبحانه خير حافظ وهو أرحم الراحمين ( يوسف / ٦٤ ) فهو يحفظنا من اخطار نعرفها فيلهمنا تجنبها ، كما أنه يحفظنا دون أن ندري من أخطار لا ندركها . ومن معاني هذا الحفظ أن الله سخر بعض ملائكته لتسجل علينا اقوالنا وأفعالنا ليجازينا عنها بما نستحقه من جزاء كما قال سبحانه : وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ( الانفطار / ١١ ) .

ومن معاني هذا الحفظ أن على كل منا رقيب يحفظه من أن يدمر الاخرين او يعبث في الارض فسادا الا حين يشاء الله أن يجعل بعض الناس فتنة للبعض الاخر .

ومن المعاني الحديثة لهذه الاية وهذا الحفظ أن يقرر العلماء حقيقة وجود كرات الدم

البيضاء داخل جسم الانسان والتي مهمتها الدفاع عن الجسم اذا تسللت اليه الجراثيم الممرضة وقد اتسعت البحوث على هذه الكريات وعلى وظائفها ودورها في هذا الحفظ فيمكن الرجوع الى مثل هذه البحوث اذا اردنا التفصيل العلمي .

ومن المعاني الحديثة لهذه الاية وهذا الحفظ ما كشفه الاطباء من وجود خطوط دفاعية داخل الجسم تكافح الجراثيم الغازية له منها مثلا الشعيرات والمخاط في الانف — اذا تسللت الجراثيم عن طريق الانف — ودمع العين — اذا تسللت الجراثيم عن طريق العين — ودفاع اللوزتين — اذا تسللت عن طريق الفم ، وغير ذلك كثير مفصل في كتب الطب الحديث ومن المعاني الحديثة ايضا لهذه الاية وهذا الحفظ ما توصل اليه علماء الأحياء وهو أن الله سبحانه زود كل كائن حي بما يحفظه ويحميه في ميادين الصراع القائمة بين الاحياء فزود الانسان بعقل يحميه من عوامل الفتك والافتراس وبه يستطيع تسخير كل ما هو كائن في الكون وزود السلاحف بالدروع ، وزود الثعابين بالسم ، والغزلان بالخفة والسرعة والنباتات الضعيفة بالاشواك ، ... وهكذا كل كائن خلقه الله سبحانه .

**المثال الخامس :**

يقول الحق تبارك وتعالى : هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب ( غافر / ١٣ ) فالمعنى العام للاية هو أن الله سبحانه يرينا آياته حينا بعد حين وجيلا بعد جيل وينزل لنا من السماء رزقا ولا يعرف ايات الله العديدة ونعمه الجزيلة ولا يتذكر ها الا من آمن بالله ورجع اليه بالانابة والمتاب ، لكن مالمقصود بالرزق المنزل من السماء ؟؟ .

يقول المفسرون القدامى ان الرزق المنزل هو ماء المطر وهذا فعلا رزق عظيم يحفظ علينا حياتنا من نبات وحيوان وانسان ولكن يمكن اضافة معان حديثة على مفهوم الرزق هنا .

ومن المعاني الحديثة لهذا الرزق تلك الاشعة الحرارية التي تصلنا ياعتدال من الشمس فو انقطعت عنا لماتت جميع الاحياء من شدة البرودة ولتجمدت مياه المحيطات والبحار والانهار ، ثم لو زاد مقدارها عن الذي تنزل به لتبخرت جميع الاحياء من ذلك ومن شدة الحرارة .

ومن هذه المعاني الحديثة تلك الاشعة الضوئية التي يتوقف عليها النبات في إمكانية بناءه الضوئي لغذائه الداخلي ( Photosythesis ) وعلى النبات يحيا الانسان والحيوان وعلى الحيوان ايضا يحيا الانسان .

ومن هذه المعاني الحديثة رماد الشهب التي تتساقط على الارض وتبلغ اعدادها عشرات الملايين في كل يوم ، فتحترق حين ملامستها للغلاف الجوي ، ويسقط رمادها على الارض فيزيد التربة خصبا وصلاحية للانتاج والاثمار

ومن المعاني التي اهتدى اليها العلم الحديث لذلك الرزق هو غازات مثل ثاني اكسيد الكربون ( Carbon diexde )والاكسجين ( Oxygen )الازوت ( Nitrogen )وكلها ضرورية وحتمية لحياة الكائنات الحية من نباتية وحيوانية .

ثم ان المعاني المقصودة ايضا للرزق هو ذلك الرزق الروحي المعنوي ويتمثل في الكتب والرسالات السماوية التي نزلت على الرسل الكرام لهداية الناس وانتشالهم من جهالات وظلمات وضلالات الدنيا ، فأحيت قلوبهم ونفوسهم .

**المثال السادس :** يقول الحق تبارك وتعالى : **والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون ( الذاريات /٤٧ )** ، ان هذه الآية قد فسرها الاقدمون تفسيرا صحيحا سليما منطقيا ومجمل قولهم : ان هذا الكون رغم اتساعه ورغم ما ضم وحوى من اجرام فان لدى الخالق العلي القدير المزيد والمزيد .

ويقول الدكتور الفندي [٢٠] في معاني حديثة تضاف الى ما فهمه الاقدمون بل تزيد من مفاهيم الآية ان الناس في بادىء الامر كانوا يظنون بمركزية الارض للكون وان السماء تنتهي عند القبة الزرقاء وان النجوم معلقة غير بعيدة في تلك القبة ، ثم عرف الناس فيما بعد : المجموعة الشمسية التي لايزيد قطرها عن ٥ ساعات ضوئية ( السعة الضوئية هى المسافة التي يقطعها الضوء في ساعة كاملة بسرعته البالغة ...ر..٣٠ كم / ثانية ) ثم امتدت ابعاد السماء الى مجرتنا التي سماها المسلمون ( الطريق اللبني ) او ( طريق البتانة )وقطرها هذه المجرة — او الجزيرة الكونية — ...ر..١٠ سنة ضوئية ثم باستخدام المناظير الفلكية اكتشف الانسان المجرات الاخرى وعرف أقرب المجرات الى مجرتنا وهى مجرة المرآة المسلسلة وتبعد عنا بنحو ...ر..٧٠ سنة ضوئية أما القبة الزرقاء فهى مجرد ظاهرة ضوئية تحدث في جو الارض

ثم اتسعت السماء امامنا حتى وصلت — في ظل الفلك الراديوي — الى حدود ...ر..٢٠ مليون سنة ضوئية !!! نعم لقد كشفت لنا المناظير الراديوية تعبيرا رائعا في قول الله تعالى ( **فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم** )( **الواقعة / ٧٥ ، ٧٦** )

وبعد ، فهذه امثلة قليلة سقناها لنتدلل بها على أن القرآن الكريم لا يفسره عالم واحد ولا جيل واحد ، ولكن كلما اتسعت فنون الثقافة العلمية كشفت لنا معاني عظيمة واوجه اعجاز لآيات الله البينات .

— ٢ —

ان المعارضين لهذا الاتجاه يتذرعون بأن القرآن كتاب هداية للبشر ولا شأن له بالعلوم الطبيعية أو البحوث الكونية وقولهم هذا على جانب من الحق ، ولكنه ليس الحق

كله ، فهو كتاب هداية بالاحكام وبالنظر والتأمل في بديع صنع الله سبحانه وتعالى ، كيف ذلك ؟ ان الله شاءت حكمته أن ينوع وسائل هدايته لخلقه لانه خبير بهم عليم بقدراتهم واستعداداتهم فهو تارة يخاطبهم بما يمس قلوبهم مسا رقيقا رفيقا وتارة اخرى يقرع عقولهم قرعا قويا فكان ابرز ما جلى به ابصارهم وأنار بصائرهم حضه إياهم على التدبر في آيات خلقه وصنعه والا فما هي الحكمة الربانية من وراء سوق الآيات الكونية في القرآن الكريم ايات تذكر السموات والارض والشمس والقمر ومنازله ، والمشارق والمغارب والبروج والنجوم والكواكب والليل والنهار ، والفجر والغسق والظلمات والنور والبحار والانهار والعيون والرياح اللواقح والعقيم والسحاب الثقال والمركوم والمنبسط والبرق والمطر والجبال الراسيات والجدد البيض والحمر والغرابيب السود ، والارض الهامدة والارض المهتزة الرابية والجنات والنخيل والاعناب والتين والزيتون والطلح والسدر واليقطين والنمل والنحل وجناح بعوضة وبيت العنكبوت والطير الصافات والابل والخيل والانعام واللبن يخرج من بين الفرث والدم والشراب الشافعي يخرج من بطون النحل ، ... كل هذه الظواهر وتلك المخلوقات وغيرها كثيرا لهى جديرة جدا بأن يتدبر الانسان في امورها ويتأمل في احكام صنعها ويتفكر في عظمة خالقها سبحانه وتعالى حتى يصل الى مرتبة الخشية ، فاذا كان من أهل التخصص والبحوث زادت هذه الخشية وبلغت اوجها وملأ حب الله الخالق الوهاب قلبه واخذ عليه فؤاده الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ( فاطر / ٢٧ ، ٢٨ ) .

ولقد وردت في القرآن الكريم الدعوة صريحة ومؤكدة الى التدبر في آيات الله التنزيلية وكذلك اياته الكونية ، ولقد أربت آيات الحث على التدبر واستعمال العقل والفكر على خمسين آية وليس المقام ذكرها وسردها .

الحجة الثالثة هي قول المعارضين بأن ما يسمى ( حقائق العلم ) ليس سوى فروض ونظريات يعتقد رجال العلوم فترة من الزمان في صحتها ثم لا يلبثون ان يثبتوا بأنفسهم بطلانها ولذلك لا يجوز الرجوع اليها عند دراسة الذكر الحكيم هذا الزعم عموما غير صحيح من وجوه ان الذي يتغير في العلم ليس قواعده أو أسسه بل فروضه التي لا زالت تخضع للدراسة والتمحيص ذلك لانها انما تستنبط باستخدام قوى العقل في ظل الثابت من حقائق العلم وكلما تراكمت معلوماتنا السليمة عن الكون تلك المعلومات المستمدة بالرصد والقياس والتتبع كلما كانت هناك فرصة أكبر لا ستنباط

النظريات او لتعديلها او تحويرها .

لا شك ان رجال العلوم الذين خلصت نواياهم وأتقن تدريبهم على كيفية التعامل مع الفروض والنظريات والقوانين والقواعد والملاحظات والتجارب لاشك ان العلماء الكونيين الذين امنوا بالله وبرسله وكتبه ورسالاته وأحكموا التخصصات وتعمقوا في لججها لا شك ان تحدث هؤلاء في امور الايات الكونية في القرآن الكريم يكون ذلك نشاطا محمودا منهم مؤجورون عليه . ويجب علينا معرفة ان رجال العلوم الكونية — كغيرهم — يتفاوتون فيما بينهم من حيث المراس والدراسة والاتقان ، وأن هناك فرق كبير بين استخدام الحقائق العلمية حين الكلام عن ايات القرآن وبين الاعتماد على الفروض او النظريات ولنوضح ذلك بما يلي من الامثلة :

**المثال الأول** : ان الضوء منذ عهد ( الحسن بن الهيثم ) تراكمت فيه معومات وحقائق علمية ، فتوصل العلماء الى ان الضوء ( ينعكس ) او ( يرتد ) من الاجسام التي يسقط عليها ، ثم عرفوا أنه ( ينكسر ) ثم توصلوا الى أنه ( يتشتت ) أو ( يتناثر ) وأنه ( يحيد ) وكذلك ( يستقطب ) ... وهكذا ظهرت في ظل هذه الحقائق عدة نظريات علمية تتعلق بطبيعة الضوء او كنهه او حقيقته المطلقة ، منها نظرية ( الجسيمات الصغيرة جدا ) التي قال بها نيوتن ، ثم ( النظرية الموجبة ) التي قال بها هيجن ، ثم ( نظرية الكم ) لبلانك ، ثم .....الخ .

ولم تثبت حقيقة الضوء على حال حتى الآن .

**المثال الثاني** : ان معرفة ان الكائن الحي يتكون من عدة خلايا متكاملة متعاونة لاداء وظائف قضاء الحياة المكتوبة ، إن معرفة هذه الحقيقة منذ قرن ونصف قرن لم يبطله ما تتوالى من الكشوف المدهشة مع تقدم المجاهر وأدوات البحوث والتقصي والتدقيق فهل اكتشاف الكروموسومات او الليسوسومات بواسطة المجاهر الالكترونية أبطل وهدم النظرية الخلوية التي اكتشفت منذ مائة وخمسين سنة ، ثم هل هدمها ايضا ما تم اكتشافه فيها بواسطة علوم الوراثة ( Genetics )والكيميـاء الحيويـة ( Biochemistry ) والفيزياء الحيوية ( Biophysics )والبيولوجيا الجزئيـة ( Molecular Biology ) من جينات وأحماض نووية وجزئيات ملفوفة وغير ذلك .

**المثال الثالث** : النظرية الذرية ( Atomic Theory )التي عرفها الانسان قديما وهى أن كل عنصر من العناصر المادية يتكون من ذرات ، هل هدمتها الكشوف الحديثة والبحوث حينما توصلت الى تحديد وجود بروتونات والكترونات ونيوترونات والى ما هو أدق من ذلك وأعجب ؟ .

## الفصــل الثالــث

# شروط وضمانات المنهج الصحيح في التفصيل العلمي للايات الكونية

حينما ألف الاستاذ الدكتور عبد العزيز اسماعيل كتابه القيم ( الاسلام والطب الحديث ) وعرضه على المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر انذاك أثنى الشيخ في مقدمته على المؤلف وحمد له جهوده ، ولكنه لم يوافق على مسلكه في

تحميل الآيات القرآنية في تفسيرها مالا تحتمله ، فقال : لست أريد من هذا — يعني ثناؤه على الكتاب ومؤلفه — أن أقول أن الكتاب

الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالاسلوب التعليمي المعروف وانما أريد أن أقول أنه اتى بأصول عامة لكل مايهم الانسان معرفته به ، ليبلغ درجة الكمال جسدا وروحا وترك الباب مفتوحا لاهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها ، بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه ) (٢١) .

وقد ذهب الدكتور موريس بوكاي ما ذهب اليه الشيخ المراغي والذي ذكرناه هنا (٢٢) . ثم حمد الاستاذ محمد فريد وجدي لصاحب ( الاسلام والطب الحديث ) جهوده وأفقه الرحب وغيرته الاسلامية ( ٢٣ ) فقال : ( وهذا الكتاب يفتح للمتدبرين ايات القران مجالا فسيحا لفهم اياته المشيرة الى الكائنات الارضية بما يسيغه العلم الحديث ويستهوى عقول الذين يقدسونه ، فما أجدر ان ينتشر بين طلبة الجامعات ليكون باعثا لهم على تلاوة القران والاستهداء بنوره ، وما أخلقه ايضا ان يذاع بين طلاب العلم الديني ليحبب اليهم العلم الحديث ، ويثبت لهم أنه اصبح اداة لاظهار مكنونات الكتاب واذاعة اياته واثبات اعجازه ) .

اذا كان هذا ما رآه العلماء المعاصرون في شأن علوم القران وأنه احتوى على علوم الدين وعلوم الدنيا ، وما ذهب اليه كل علم من هؤلاء الاعلام ، فما احرانا الان ان ترجع الى بعض الاعلام القدامى لنتعرف على ارائهم في هذا المجال ونخص منهم بالذكر الائمة : الغزالي ، السيوطي ، أبو الفضل المرسي .

**الامام الغزالي** : يرى الامام (٢٤) أن القرآن يشتمل على جميع العلوم اذ يقول : ( كل ما أشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ، في القرآن اليه رموز ودلالات عليه ، يختص اخل الفهم بدركها . ويستشهد لاشتماله على جميع العلوم بقول ابن مسعود من أراد علم الاولين والاخرين فليتدبر القران ) .

كما يذكر الامام في كتابه الجواهر (٢٥) أن علوم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بد ن الحيوان ، وتشريح اعضائه ، وعلم السحر وعلم الطلسمات ، وغير ذلك ، يشير اليها

القران بقوله تعالى :واذا مرضت **فهو يشفين** يشير الى علم ، المتضمن لاسباب المرض ووسائل الشفاء . وقوله تعالى والشمس والقمر بحسبان ونحوه ما يشير الى علم الهيئة يعني الفلك — وتركيب السموات والارض .

**جلال الدين السيوطي** : هو الاخر ما رآه الغزالي سابقا ، ويستدل لذلك بقول الله تعالى في سورة الانعام : **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ( **الاية ٣٨** ) **وفي سورة النحل** « **ونزلنا عليك الكتاب** تبيانا لكل شيء ( **الاية ٨٩** ) ويستدل بأحاديث منها ما أخرجه ابو الشيخ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله لو أغفل شيئا لاغفل الذرة والخردلة والبعوضة ) ومن الاثار الدالة على ذلك ما أورده عن ابن مسعود حيث قال : (أنزل في القران كل علم ، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القران )

**أبو الفضل المرسي** : يرى ايضا ما راه السابقان ، اذ قال في تفسيره : ( جمع القران علوم الاولين والاخرين ، بحيث لم يحط به علما الا المتكلم به ثم قال : أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك في واحدة هي قوله الله تعالى « **وكان بين ذلك قواما** ، ثم قرر مثل ذلك في علوم الهيئة والهندسة والجبر والمقابلة ) .

لما كان تفسير القران امانة خطيرة ولا ينبغي ان يحملها الا من هو لها من الكفاءة

العلمية في مختلف علوم القرآن حتى يخرج للناس أفكارا رشيده خالية من الشطط الديني واللغوي والعلمي بعيداً عن الجهالة أو السفه في الفكر

والعقيدة والشريعة . ان السلف الصالح كانوا يشفقون من هذه الامانة ويتهيبونها [٢٦] فاذا اقدموا ففي حذر واع وخوف من حساب الله تعالى .

ومن ثم وضع اعلام الاسلام شروطا رأوا أنها تحقق المطلوب في مهمة القيام بتفسير كتاب الله ، فوضح الامام الغزالي هذه الشروط في احيائه فقال — رحمة الله — : ( ان لألفاظ القران معاني ظاهرة اي معاني يفهمها عامة الناس وخاصتهم ، واخرى باطنة اي دقيقة لا يفهمها الا اهل البحث والعلم منهم ) . ثم انتقل — رحمه الله — الى الشروط فقال : ( وأما قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : ( من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ) وما ورد في الاخبار والآثار في النهي عن تفسير القران بالرأي فلا تخلوا اما ان يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك **الاستنباط والاستقلال** بالفهم او المراد به امرا آخر ، وباطل قطعا ان يكون المراد به الا يتكلم احد في القران الابما يسمعه لوجوه :

احدهما : انه يشترط ان يكون ذلك مسموعا عن رسول الله ﷺ ومسندا اليه ، وذلك مما لا يصادف الا في بعض القرآن .

والثاني : أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الايات وان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه .

الثالث : انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال : ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) .

والرابع : انه تعالى قال في سورة النساء : لعلمه الذين يستنبطون منهم ( النساء / ٨٣ )

فأثبت لأهل العلم استباطا معلوم أنه وراء السماع ) .

ثم اضاف بعد ذلك قائلا : واما النهي في الحديث فانه ينزل على احد وجهين .
الوجه الاول : ان يكون للمفسر في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى ) .
والوجه الثاني : من التفسير بالرأي : ( ان يتسارع المفسر الى تفسير القران بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الالفاظ التي لها اكثر من معنى فمن غرائبه الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي والسماع لابد منه في ظاهر التفسير اولا ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط ولا مطمع في الوصول الى الباطن قبل الظاهر ) .

وبعد ان اورد الامام امثلة لاصناف الغرائب التي اشرنا اليها سابقا ختم كلامه فقال :
( وانما ينكشف للراسخين في العلم من اسرار القرآن بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر ، وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي الى اعلى منه فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه فأسرار كلمات الله لا نهاية لها ومن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه .

التأويل في تفسير القرآن :
اجمع علماء التفسير على ان الاصل في تفسير القرآن ان يقوم على ظاهرة معنى الفاظه دون تأويل اذا لم يمنع منه من العقل او الشرع واما اذا منع من ظاهر المعنى مانع فهناك مذهبان [٢٨] في التفسير :
أولهما : مذهب السلف الصالح من علماء الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين

الذي يقول بالاخذ بظاهر المعنى والتصديق به مع تفويض معرفة حقيقته الى الله تعالى بما يتفق مع كال ذاته وصفاته عملا بقوله تعالى **والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب ( ال عمران / ٧ )**

**وثانيهما** : مذهب الخلف من العماء الذين جاءوا بعد السلف الصالح ، وقد رأوا باجتهادهم اهمية التأويل عند الضرورة منعا من الوقوع في التشبيه وقطعا لدابر كل شبهة قد تعلق بالقلوب بشأن صفات الله تعالى بعد ان اعتنق الاسلام كثيرون من غير العرب ومن هؤلاء العلماءالطبري والغزالي والزمخشري والرازي والسيوطي . فمثلا من الآيات التي يمنع من ظاهرها مانع قول الله تعالى « **إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** » ( يس/ ٨٢ ) ، وقوله تعالى « **كُلُّ مَنْ عليها فَان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** » ( الرحمن/ ٢٦ ،٢٧ » . ففي الأولى : يفيد ظاهر الآية أن الله تعالىٰ يصدر أمره ويخاطب غير موجود ، وهو ما يمنع منه العقل ، وفي الثانية : يفيد ظاهر الآية تشبيه ذات الله تعالى بذوات الحوادث وهو ما يمنع منه الشرع والعقل — إذ أنه تعالى منزه عن مشابهة الحوادث ، وأنه قديم غير حادث ، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

ويقول أصحاب مذهب السلف الصالح : نحن نأخذ بظاهر المعنى في مثل هاتين الآيتين ونصدّق به ، ونفوضّ معرفة حقيقته إليه تعالى مع تنزيهنا لذاته وصفاته تعالى عن مشابهة الحوادث .

ويقول أصحاب مذهب الخلف : إن الإسلام انتشر بين أمم كثيرة ، غير أمة العرب ، واعتنقه مِنْ بعد الصحابة والتابعين مسلمون رأوا باجتهادهم ضرورة وقاية عقائد المسلمين من آية شبهه قد تعلق بها فقالوا بضرورة التأويل في مثل هاتين الآيتين .

وقال هؤلاء في تأويل الآية الأولى : أن المراد منها : أنه متى تعلّقت إرادته تعالى بإيجاد أيّ شيء فإنه يوجده بقدرته دون أي تأخير أو امتناع .

وقالوا في تأويل الآية الثانية : أن المراد من الوجه إنما هو ذاته تعالى .

ورغم أن علماء المسلمين من أجلّاء الخلق قد أجازوا — هكذا — التأويل في تفسير الآيات القرآنية اذا لم يكن هناك مانع شرعي من ذلك ، فإن التوسع في هذا الباب قد فتح الشطط في التخيل والتصور واوقع بعض المؤولين في مزالق خطيرة ، ومن هؤلاء[٢٩] : الشيعة : فسّر هؤلاء بعض الآيات على هواهم لاعتقادهم بأن للقرآن ظاهراً وباطناً وأن الباطن له عدة بواطن لا يعرفها حق المعرفة الّا الامام المعصوم الذي يعتقدون أنه يُوحَى اليه وأنه يسمع الكلام الموحى به ولكنه لا يرى مَنْ يكلمه .

ومن أمثلة تفاسيرهم وتأويلاتهم ما ورد مرويًّا عن الإمام الباقر في شرح قول الله

تعالى : « **من جاء بالحسنة فله خير منها وَهُمْ من فزع يومئذ آمنون ، ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار** » ( النمل/ ٨٩ ) ، أنه فسّر الجنة بأنها هي معرفة الامام وحب آل البيت ، وأن السيئة هي إنكار الامام وبغض آل البيت . وكذلك ما روى عن جعفر الصادق في قول الله « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » ( التوبة/١٠٥ ) بأن أعمال الناس تُعْرَضُ على الأئمة من آل البيت .

الناقلون من كتب أهل الكتاب : حرّف أهل الكتاب من اليهود والنصارى كتبهم وأدخلوا فيها الأساطير والخرافات ودسّوا فيها من الدسائس ما يخدم أغراضهم الدنيوية تسلّطاً على رقاب الناس أو ارضاء للحكام أو ما شابه ذلك من أمور ، ألّا أن بعض علماء المسلمين لجأوا الى هذه الكتب في شرح وتفسير بعض الأمور في القرآن الكريم وخصوصا الجوانب القصصية ، وهكذا كانت كتب التفسير حاوية لبعض الخبط والشطح ثم لبعض الأساطير والخرافات التي كان يجب على هؤلاء العلماء التنبيه لها والابتعاد عنها ، أضف الى حشوّ كتب أهل الكتاب بهذه الأساطير ، فإنها حينما تُرْجِمَتْ من لغاتها الى العربية حُرّفت تحريفات أخرى وفقدت كثيراً من حقائقها ومعانيها الأصلية ، وسوف نعرض لبعض الأمثلة من هذا الباب فيما بعد في بحثنا هذا .

وفيما يلي عَرْض لضوابط وضمانات لابد من توافرها عند التحقيق العلمي للآيات الكونية ، أو إنْ شئت سمِّه « التعميق العلمي » في القرآن واظهار جوانب الإعجاز التي تتضمنها ، وذلك من واقع تخصصات أهل العلوم الحديثة من المسلمين ، وقبل عرض هذا المنهج علينا أن ننبذ تسميات ظهرت في هذه الآونة يأباها الحس الإسلامي ، ويرفضها العقل الديني الواعي ، ومنها ( التفسير العلمي للقرآن ) ، ( التفسير العصري للقرآن ) ، ذلك لأن كل ما يقال في تعميق المفاهيم واجلاء الإعجاز في هذه الآيات ، إنما هو اجتهاد في عرض المفاهيم وابراز أوجه الإعجاز وليس تفسيراً بالمعنى الذي عرفناه في الصفحات السابقة من بحثنا هذا ؛ وهاك المنهج وضماناته التي توصّلنا إاليها :

**( ١ ) الائتناس بالتفاسير المختلفة :**

يجب على كل عالم مسلم ـــ قبل أن يُقْدِمَ على مناقشة أية قضية علمية أو يوضح مسألة كونية وردت في القرآن الكريم ـــ أن يرجع الى كتب التفسير المعتمدة رجوع المتأني اللبيب ، وهذه الكتب غزيرة نورد منها على سبيل المثال : تفسير ابن جرير الطبري ( من علماء القرن الرابع الهجري ) ، وتفسير البيضاوي وتفسير ابن كثير ( من علماء القرن الثامن الهجري ) ، وتفسير الألوسي ( من علماء الثالث عشر الهجري ) ،

والتفسير الواضح للدكتور حجازي والمنتخب للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، والظلال الواضح للأستاذ سيد قطب ( في القرن الرابع عشر الهجري ) ، ثم صفوة التفاسير للصابوني والخواطر لمحمد متولي الشعراوي ( في القرن الخامس عشر الحالي ) .

**( ٢ ) التضلّع بعلوم مساعدة :**

إن القيام بمهمة جليلة كهذه لهو عمل من أخطر الأعمال وأعظمها ، ومن ثَمَّ فلابد للقائم بها أن يكون أوّلًا وقبل كل شيء متمكّنا مِنْ علْمه الكوني متعمّقاً في تخصصه العلمي ، ثم ثانيا أن يكون بقواعد العربية مُلِماً ، جيّد الفهم للألفاظ التي يتكلم عنها ويعمق في مفاهيمها ، وأن يكون محيطاً بالقدر الضروري من علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات وغيرها .

**( ٣ ) التثبُّت من حقائق الكشوف العلمية :**

على القائم بمهمة الإيضاح العلمي للآية الكونية ـــ قبل أن يقحمها بمناسبة وبدون مناسبة ـــ أن لا يأخذ في كلامه إلّا بالحقائق العلمية الثابتة ، ويبتعد عن النظريات والآراء والفروض والظنون . فأما الحقائق الثابتة فهي ما يجمع عليه العلماء قاطبة كتمدد المعادن بالحرارة وانكماشها بالبرودة مثلا ، وتبخّر الماء عند درجة ١٠٠ مئوية تحت الضغط الجوي العادي وتجمده عند درجة الصفر المئوي ، وككروية الأرض ودورانها حول محورها وحول الشمس . وأما النظريات العلمية فهي مجموعة من النتائج تجمع وتنسق ولكن لا تَسْلَم من فجوات تظهر بها ومآخذ تؤخذ عليها مع تقدم العلم ورقيٌ أدواته ، ومن أمثلتها نظرية النشوء والارتقاء التي يدافع عنها دعاتها عَسفاً منهم ، فهم أول مَنْ يعلم معايبها ومآخذها . وأما الفروض العلمية فهي ظنون يحاول بها العلماء تفسير بعض الظواهر التي لا يجدون لتفسيرها الواضح دليلا قاطعا .

**( ٤ ) مراعاة تعدد معاني اللفظ الواحد :**

من أهم سمات اللغة العربية ـــ وهي لغة القرآن ـــ ثراؤها في الألفاظ والمترادفات وفنون البيان والبديع والبلاغة ، ومن خصائصها تعدّد مدلولات اللفظ وكثرة معانيه ، فإذا أخذ أحد الأسلاف من العلماء بمعنى معيّناً فلا ضير على أحد المُحْدَثين أن يأخذ بمعنى آخر يقصد به تعميق مفهوم اللفظ وبالتالي الآية التي ذكر بها ، وهذا لا يعني إطلاقا الغضّ من قدْر الأقدمين ، بل لكل رأيه حسب الثقافة والمعطيات العلمية ، واللفظ واحد باق . ونذكر هنا من أهم المعاجم اللغوية التي تسعف الباحث في هذا العمل الجليل : لسان العرب ( لابن منظور ) وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ( لمجد الدين الفيروز أبادي ) .

وعلينا كذلك عدم اللجوء الى المعاني المجازية للألفاظ إلّا بعد الأخذ بمعانيها الحقيقية أو عند تعذّر الأخذ بها .

**( ٥ ) السبق العلمي وحده غير كاف للإستدلال على معجزة القرآن :**

لا ينبغي للباحثين الغيورين أن يعقدوا سباقا بين آيات القرآن وبين علوم البشر وكشوفهم العلمية ذلك لأن ما ألمح به القرآن إنما هو أمور كلية خالدة خلوداً أبديا ، وأما علوم البشر وكشوفهم فهي لا تَعْدو أن تكون لمحاتٍ يسيرة من علم الله الشامل الكامل فإذا قلنا أن كتاب لم يفرّط في كبير ولا صغير من أمور الحياة ، ثم جمعنا الهَمَّ وعقدنا العزم على تأكيد السبق العلمي في القرآن مستعملين ذلك سلاحا لإقناع العقول المادية الحديثة فاننا اذا استعملنا هذه الوسيلة وحدها فلا مناص من الوقوع في مزالق ولا خلاص من زلّات وسقطات يَهوْيِ فيها المسلم ، حيث ندخل كتاب الله في تفصيلات ما أرادها الله حينما أنزل هذا الكتاب ، فإن من السذاجة أن نتصور أن النبي صلوات الله وسلامه عليه بعثه الله ليوضح قوانين الطفو أو يخبر عن دوران الأفلاك ونُظُمِها أو ينبيء عن انشطار الذرة وارتياد الأجواء ، إنما بُعِثَ الرسول لهداية البشر جميعهم ، ويقوم بهذه المهمة ورثته من العلماء الاجلال على مرّ الأيام حتى تقوم قيامة العالم وتنتهي دنياه .

**( ٦ ) مراعاة المواضع :**

ربما تحوي آية قرآنية واحدة ظواهر كونية عديدة ، وربما تأتي الظاهرة الكونية الواحدة في آيات قرآنية متفرقة ، إذاً علينا عند عرض إعجاز القرآن في هذه الظاهرة أن نسلك أحد المسلكين أو كلاهما لنخرج باستنتاجات عامة ، وهما تشريح الآية الجامعة الى ظواهرها ، ثم تناول كلٍّ على حِدَة من خلال بَحْث مواضع ذكْرها في آيات أخرى من القرآن ومناسبة إيراد كُلٍّ منها في موضعه ، مع الربط بين الكلام في الظاهرة الكونية الواحدة ، وبين السياق العام للآية .

**( ٧ ) إلتزام شروط التأويل التي وضّحناها سابقاً .**

## الفصل الرابع
## ضرورة تعاون التخصصات المتنوعة

بعد أن فصّلنا أوجه القضية بين المنكرين للأخذ بالأتجاه العلمي في فهم الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم ، وبين المسرفين في إقحامها عنوة وبلا أدنى مناسبة في نظريات وفروض علمية حديثة ، ثم رجّحنا ما رأيناه صوابا برؤية عملية مخلصة مدعمة بمنهج له ضماناته وضوابطه التي يضمن التزام الحيطة والأخذ بأدوات الكلام في هذا المجال الخطير ، بعد هذا كله نرى أنه من المناسب عرض نقاط هامة تخص كلا الفريقين من العلماء ، وتخص بالذات رجال

العلوم الشرعية أي رجال التخصص في العلوم الدينية ( ولا يمكن أن نسميهم أبداً رجال الدين حتى لا يقترن النظر إليهم بالنظر إلى باباوات الكنائس ورجال كهنوتهم ) ، وكذلك رجال العلوم الكونية .

**أولا : بالنسبة لرجال التخصص في العلوم الدينية :**

إن جولة في بعض كتب التفسير خصوصاً القديم منها ترينا خزعبلات وخرافات وأساطير — وعموماً إسرائيليات — موجودة في تفاسير بعض الآيات والظواهر الكونية ، وعلى الرغم من ذلك نجد أن هذه الكتب شائعة الاستعمال ، وعلى الرغم من ذلك أيضا نجد أصحاب هذه التفاسير علماء لهم دورهم الكبير في تخصصاتهم الدينية ، وقبل أن نعرض لأهم أسباب ظهور هذه الاسرائيليات في كتب التفسير هذه يَحْسُنُ بنا التعرف على نماذج لهذه الافتراءات الخطيرة التي توجد بها :

**المثال الأول : في بدء وكيفية خلق السموات والأرض والكائنات الحية :** وَرَدَ في بعض كتب التفسير النص الغريب الآتي : ( روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعانٍ متفقة أنّ الله تعالى لمّا أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهرة خضراء أضعاف أطباق السموات والأرض ، ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماءً ، ثم نظر الى الماء فغلى وارتفع منه زبد ودخان وأرعد من خشية الله ، فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة ، وخلق الله من ذلك الدخان السماء ، فذلك قوله تعالى : « **ثم استوى الى السماء وهي دخان** » ( فصلت / ١١ ) أي قصد وعمد الى خلق السماء وهي بخار وخَلَقَ من ذلك الزبد الأرض ، فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة ، فدحا الله الأرض من تحتها فلذلك سميت « أم القرى » يعني أصلها ، وهي قوله تعالى « **والأرض بعد ذلك دحاها** » ( النازعات / ٣٠ ) ، ولما خلق الله الأرض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا ، وذلك قوله تعالى « **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانت رتقا ففتقناهما** » ( الانبياء / ٣٠ ) ، ثم بعث الله تعالى من تحت العرش مَلَكاً فهبط الى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع ، فوضعهما على عاتقه : إحدى يديه في المشرق والأخرى في المغرب باسطتين قابضتين على قرار الأرضين السبع حتى ضبطها ، فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن ، وأربعون ألف قائمة ، وجعل قرار قَدَمَيْ المَلكَ على سنامه فلم تستقر قدماه فأحدر الله ياقوته خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها خمسمائة عام فوضعها الله بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه ، وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض وهي كالحسكة تحت العرش ، ومنخر ذلك الثور في البحر فهو يتنفس كل يوم يتنفس كل يوم نَفَساً

فإذا تنفس مّد البحر واذا ردَّ نَفَسَهُ جَزَر البحر ــ لاحظ هنا تفسير ظاهرتي المدّ والجزر كما روتها هذه الرواية ــ ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله سبحانه وتعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ، فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه « يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات او في الأرض يأت بها الله »(لقمان / ١٦ ) .

رُوِيَ أنَّ لقمان لما قال هذه الكلمة انفطرت مِنْ هيبتها مرارته ومات ، وكانت آخر موعظته ، فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى « نونا » وهو الحوت العظيم اسمه « لوتيا » وكنيته « بهلموت » ، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال ، قال : والحوت على البحر ، والبحر على متن الريح ، والريح على القدرة ، وثقل الدنيا وما عليها حَرْفان من كتاب الله تعالى ، قال لها الجبّار « كوني » فكانت ، فذلك قوله عز وجل« انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ( النحل / ٤٠ ) وان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهر الارض فوسوس اليه وقال له : اتدري ما على ظهرك يالوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها ، لو ألقيتهم عن ظهرك لكان ذلك اريح لك ، قال : فهم لوتيا ان يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت في منخرة فوصلت الى دماغه فضج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها فخرجت ، فو الذي نفسي بيده انه لنظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت كما كانت ، وهذا الحوت الذي اقسم الله تعالى به فقال تعالى نُ،والقلم وما يسطرون ( القلم / ١ ) ، ثم قالوا : ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال ارساها ( النازعات / ٣٢ ) ، وقوله تعالى « والجبال اوتادا » ( النبأ /٧ ) وقوله تعالى « وألقي في الارض رواسي أن تميد بكم ( النحل / ١٥ ) يعني لكيلا تتحرك بكم ، وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبر جدة خضرة السماء منه يقال له جبل قاف ، فأحاط بها كلها ، وهو الذي أقسم الله به فقال « ق ، والقرآن المجيد ( ق / ١ ) انتهت الرواية ، ولم تنته الخرافات والاساطير وهذا طبعا كلام لا يستقيم ولا يقبله الشرع الاسلامي الحنيف وانما هى مدسوسات ملفقة ادخلت على التفاسير واقحمت فيها بعض الايات القرآنية حتى يظن العوام انها تفسير لهذه الايات لكن العاقل اللبيب اذا امعن النظر فيها اكتشف خداعها وزيغها وضلالاتها.

**المثال الثاني : رحلات الانسان في الفضاء** : الاية القرانية التي يقول الله فيها يا معشر الجين والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ( الرحمن / ٣٣ ) فسرت في الكتب التي اشرنا اليها سابقا بأنها ( محاولة الانسان والجن الهروب من الحساب ، وانهم لن يستطيعوا ذلك الا بالقوة التي تفوق قوة

ربكم ، وذلك مستحيل **ثم يمضي** التفسير قائلا بأن الله سبحانه ( حذر العصاة من محاولة الهرب اذ سيرسل عليهما شواظ من نار ولهيب ولكن اذا نظرنا الي هذه الضلالات وجدنا ان العقل والمنطق لا يقول بوجود سموات وأرض يوم القيامة حتى يحاول الجن والانس الهرب منها ؟ .

**المثال الثالث خروج دابة الارض : في** الاية الكريمة « **واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ( **النمل / ٨٢** ) فسر القدامى المقصود هذه الدابة بأنها الانسان ومنهم من قال بأنها علي بن ابي طالب ، ومنهم من قال بأنها عصى موسى ومنهم من قال ما نصه : ( دابة هي الجساسة ، وطولها ستون ذراعا ، لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وقيل لها رأس

ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية فتقول : ان الناس كانو باياتنا لا يوقنون وتقول الا لعنة الله على الظالمين او تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام او بأن هذا مؤمن وهذا كافر انتهت الرواية ولتنظر ما حوته من امور مثيرة للقيء او الضحك الساخر .

**المثال الرابع : في قصة داود عليه السلام** : جاء في القران الكريم قول الله تعالى :« **وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب** ... ( ص /٢١ ) وجاء في اخر هذه القصة قول الله تعالى : **وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** ( ص / ٢٤ ، ٢٥ ) وظاهر هذا يقتضي ان لداود ذنبا فما عسى أن يكون ؟ اذا قرأت بعض التفاسير القديمة رأيت قصة مكذوبة تسيء الى هذا الرسول الكريم خلاصتها ان داود كان يصلي في محرابه مغلقا بابه عليه وبينما كان يقرأ الزبور رأى الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت الى كوة — نافذة صغيرة فتبعها فأبصر امرأة جميلة نفضت شعرها فتغطي به بدنهاوكانت زوجة لرجل اسمه (اوريا ) من غزاة البلقاء فكتب الى قائد البعث ان يقدمه على التابوت ، وكان من تقدمه لا يحل له الرجوع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففعل فانتصر ولم يصب اوريا فأمر بتقديمه ثانية وثالثة حتى قتل فلما ابلغ داود موته لم يحزنه عليه ، كما يحزن على الشهداء وتزوج امرأته ) هذا الذي ذكرنا هو بعض افتراءات اليهود على هذا الرسول فبئس ما يفترون وان احسن ما قيل في ذنب داود : ان الخصم الذين تسوروا عليه كانوا من الانس وانه فزع منهم لانهم دخلوا عليه من غير الطريق المعتاد في يوم خصه بالعبادة وكان

وحيداً فظن أنهم جاءوا لاغتياله وأن الله فتنه بهم فلما برز منهم اثنان للتحاكم اتضح انهم جاءوا للتقاضي وفهم أنه أساء الظن بالله فخر ساجدا منيبا الى الله مستغفرا من هذا الذنب فهذا الظن هو ذنبه وزلته بدليل قول الله تعالى وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ، فغفرنا له ذلك أي غفرنا له ذلك الظن .

**المثال الخامس** : في قصة سليمان عليه السلام : يقول الله تعالى « ووهبنا لدواد سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والاعناق ( ص / ٣١ ، ٣٢ ) لقد فسرت هذه الايات قديما بأن سيدنا سليمان عليه السلام لما عرضت عليه الخيل في وقت صلاة العصر شغلته والهته عن الصلاة فتملكه الغضب واخذ يقطع سيقان هذه الخيول واعناقها بالسيف .

ان هذا التفسير ينافي ما جاء في الايات ذاتها من ان سليمان عليه السلام كان نعم العبد والاواب فكيف يصدر عن نبي اثنى عليه القران هذا الثناء ان يكون قاسيا الى حد قتل الخيول البريئة التي هى عدة المؤمنين في قتال اعداء الدين والزود عن حياض الاوطان بغير ذنب جنته ؟ .

ولقد فسرت هذه الايات بعد ذلك بعصور تفسيرا معقولا اقرب الى الواقع المفهوم وهو ان سليمان عليه السلام عرضت عليه بعد الظهر الخيل الاصيلة التي تسكن حين وقوفها .

وتسرع حين سيرها فقال سليمانُ : اني اشربت حب الخيل لانها عدة الخير وهو الجهاد في سبيل الله وان حبها نشأ عن ذكري لربي ومازال مشغولا بعرضها حتى غابت عن ناظريه ثم انه امر بردها عليه ليتعرف احوالها فأُخذ يمسح سوقها واعناقها ترفقا بها وحبا لها واستئناسا لها وبعد ان تقدم العلم كثيرا وجدنا ان الانسان توصل في مجال الطب البيطربي الى ان ما فعله سليمان عليه السلام هو الاسلوب الامثل في معاملة الحيوانات واستئناسها حيث يدخل بذلك عليها الاطمئنان والهدؤ وهكذا يتضح لنا الفرق الشاسع بين التفسير القديم المكذوب وبين التفسير الذي عرضناه الان لهذه الايات القرانية .

**المثال السادس** : **الارضون السبع** : يقول الله سبحانه : الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ( الطلاق /١٢ ) يقول بعض المفسرين القدامى : انها سبع أرضين وبين كل ارض والتي تليها خمسمائة عام والاولى منها على ظهر حوت قد التقى طرفها في السماء والحوت على صخرة والصخرة بين ملك والثانية مسكن الريح والثالثة فيها

حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت والخامسة فيها حياتها والسادسة فيها عقاربها والسابعة فيها سقر وفيها ابليس مصفد بالحديد يد امامه ويد خلفه يطلقه الله لمن يشاء .

هكذا ظاهر الافتراء وفيه يقول الذهبي هذا حديث منكر لا يعول عليه اصلا يعني انه موضوع مكذوب فلا يعتمد عليه ولا يؤخذ به [٣٠].

**مصادر هذه الخرافات** : من المعروف ان سلف المسلمين الاوائل كانوا على درجة كبيرة من الخشية والتقوى والورع كما ان تلاميذهم كانوا هم ايضا كذلك بالاضافة الى ذلك كان الذين برعوا منهم في العلوم الكونية ،امثال الفارابي والبيروني والكندي وغيرهم علماء افذاذ والذي يقرأ في حضارة الاسلام يجد هؤلاء العلماء الذين انتشروا في العالم الاسلامي بمثابة زعماء مدارس بحثية ومذاهب علمية حيث اسسوا قواعد علوم كالرياضيات والطب والهندسة والاحياء والصيدلة والفلك حتى ان بغداد كانت مركزا لابحاث الفضاء وقتذاك .

إلا ان الدسائس التي دست في كتب تفسير القران او الروايات الضعيفة التي سقنا نماذج منها ــ التي وردت في تفسير القران خطأ لدراساتهم يهتمون اكثر اهتمامهم بالشرعيات والامور الفقهية ولكن اذا تكلموا في تفسير الايات الكونية لم يولوها اهتمام الشرعيات ولم يتخذوا الحيطة الكافية [٣١] وبذلك نقلوا عن كتب قديمة تتكلم في هذه المسائل والتي تحوي نظريات قال بها قدماء المصريين مثلا في خلق الارض حيث ادعوا ان الارض والسموات محمولة على قرن ( إله ) كالثور يسمى ( أطلس ) جغرافي . ولعل من الاسباب ايضا الروايات المكذوبة التي دسها اليهود والكائدون من أهل الكتاب بين دفتي المصحف تارة وبين اوراق كتب تفسير تارة اخرى حتى توارثها الاجيال واعادوا نسخها بما دس فيها من روايات ضالة وأساطير وخرافات حتى وصلت الينا وكأنها من التفسير نفسه .

**الحق احق ان يتبع** : بعد هذا الذي عرضناه من امثلة للاسرائيليات التي توجد في بعض كتب التفسير والتي لا تزال تتداول حتى يومنا هذا فهل بعد هذا سبب يؤدي برجال العلوم الدينية ان يأخذوا بالمكتشفات العلمية الحديثة في الدعوة الاسلامية وأساس جوهرها الكتاب العزيز القرآن ان على رجال العلوم الدينية مسئولية الاخذ بما يقدمه علماء التخصصات الكونية من المسلمين او حتى يجدوه من العلماء من غير المسلمين بعد ان يقيسوه بمقاييس العقل الاسلامي الراشد والحس الديني المرهف انه اضحى على رجال العلوم الدينية الان اهمية الرجوع الى اهل الذكر من كل تخصص يسمعون منهم ما وصل اليه العلم الحديث في كل مجال من مجالات الظواهر والامور التي جاءت فيها

الايات القرانية الكونية .

ثم عليهم ان يلفظوا كل ما من شأنه فرض سلطة روحية ودينية على الفكر الانساني والابحاث التجريبية والدراسات العلمية والمكتشفات العملية عليهم ان يطلقوا للعقل العنان [٣٢] حتى يمكن ان ينتهوا الى اعظم النتائج وافضل الثمرات التي وصلت اليها البشرية والتي توجد قواعدها وبذورها في ايات القران الحكيم فاذا كان رجال العلوم الدينية يهتمون اولا بشرح الامور التعبدية التي وردت في القرآن فهذه ايات من نوع معين ولكن هناك ايات من نوع اخر انها ايات الخلق والايجاد والابداع في هذا الكون الفسيح ومحتوياته وهى التي يعصر فيها علماء الكون افكارهم ويفكرون في امورها بعقولهم ويبحثون فيها بأدواتهم ووسائلهم حتى يكشفوا عن امور تأخذ بعقول اولي الالباب عظمتها [٣٣]

**ثانيا : بالنسبة لرجال العلوم الكونية والتخصصات المدنية :**

**مما لا شك فيه أن المزالق والسقطات التي يقع فيها رجال العلوم الكونية من المسلمين الغيورين مرجعها هو عقد سباق بين القرآن وبين العلوم الحديثة من حيث مجالات البحوث العملية وليؤكدوا سبق القرآن في طرق ابوابها قبل توصل العلوم الحديثة الى معرفتها وكأنهم بذلك يريدون جعل القرآن موسوعة فلك أو كتابا في الهندسة او الحساب او دراسة الحيوان والنبات والفيزياء والكيمياء واليك ايها القارىء امثلة للاسراف في ما يسمى التفسير العلمي للايات الكونية لنرى خطورة ما جره هذا الاسراف او هذا العميق غير الواعي من انحراف بجوهر الايات النقي السليم :**

**المثال الاول :** إن الانسان حينما ركب الفضاء وراح يتجول في ربوعه ظهر من يقول بأن هذا المركب هو المقصود بالدابة التي تخرج لتكلم الناس اشارة الى الاية الكريمة **« واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون ( النمل / ٨٢ ) ثم قال اخر : بل هذا التفسير قول الله : يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان** ( **الرحمن /٣٣** ) وان هذا السلطان هو العلم ولكن لم يفطن هؤلاء ان الانسان لم يؤت من العلم الا قليلا ان لهذه الايات معان اكثر وضوحا ورحابة على علماء الامة الاسلامية وباحثيها ان يجلوها لنا حتى ينحسم الامر في الكلام عنها .

**المثال الثاني : لقد غالى بعض الرجال العلوم في تفسيرهم جينما حملوا الاية الكريمة والفجر وليال عشر والشفع والوتر ( الفجر / ١ ــ ٣ ) على انها اشارة الى ان الفراعنة كانوا يحنطون أجسادهم في الفجر بعد عشر ليال من موتهم اي ربط هذا بين الاية الكريمة وبين ما كان يحدث في عهد الفراعنة !!! .**

**المثال الثالث : حينما توصل العلم الحديث الى أنه توجد جسيمات اصغر من الذرة في الوجود ، قالوا بسبق القران لهذه العلوم حيث قرروا في النص القرآني وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم علام الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ( سبأ / ٣ ) .**

**بأنه توجد جسيمات أصغر من الذرة وهم اذ يعقدون هذا السباق بين القرآن والعلوم الحديثة لم يفطنوا الى شيء هام جدا وهو ان كلمة ذرة تلك التي ذكرت هي في اللغة هباءة وتعني هنا التقليل والتصغير والتهوين بمعنى الخردلة والنقير وغيره مما ذكر في مواضع اخرى من القرآن واما الذين ترجموا المصطلح الاجنبي** ( Atom )بكلمة ( ذرة ) اخطئوا — رغم تقبلنا لهذه الترجمة وشيوعها في الكتب والمؤلفات ذلك لان حرف( A )دخل على tom فنفاها فاصبحت Atom تطلق

على الشيء عديم الانقسام الى اجزاء فأتى من قام بنقلها الى العربية ليترجمها بلفظة ذرة ثم ترتب على هذه الترجمة الخاطئة اقوالنا حتى ولو مست ايات القران .

**المثال الرابع** : نشرت منذ مدة رسالة في التفسير ما يسمى ( رسالة الفتح ) (٣٤) ، وتقع في ١٤٦ صفحة ، فسر مؤلفها ايات القرآن معوجا جانب فيه العقل والنقل ولغة العرب ، وكان في تفسيره كالذي يدخل البيوت من ظهورها نقتطف من هذه المنكرات مايلي :

( أ ) طعن المؤلف في المعاجم اللغوية : ننقل من رسالة المؤلف في هذا الشأن ما يلي : ( إن عصابة الماسونية التي ظهرت بعد الجيل الثالث من صدر الاسلام ، تعاهدوا في الخفاء على تحريف معاني القرآن التي ارادوا تحريفها ، بعد فشلهم في تحريف ألفاظه واتخذوا لها معنى يخرجها عن مواضعها ، ثم فسّروا القرآن بالتفسيرات التي ظهرت بعد الجيل الثالث — عصر التدوين والتأليف — ايام خلافة العباسيين كما حرفوا شعر الخضر ، ودونوا احاديث مكذوبة وقاموا بخلق مصنفات ملفقة في اللغة نسب الى اصحابها زورا ، كالصحاح والقاموس واللسان ، واستقام لسان العرب على هذا التحريف الذي حصل في الخفاء ولم يشعروا به ) وفي معرض الرد على هذه الاباطيل يقول الشيخ

مصطفى الطير : اذا كانت اللغة العربية التي وصلت الينا قد تغيرت وكان الماسون هم الذين غيروها فمن اين جاء المؤلف بتفسير للقرآن هل نزل عليه وحي باللغة الصحيحة التي محت تفسيرات المعاجم التي غيرها الماسون وزوروها كما زوروا تفسيرات القرآن كما زعم المؤلف يالها من جرأة تافهة واهنة كبيت

العنكبوت أو هي اوهن هكذا دخل الغرور المؤلف وجانبه الحق .

**ولم يقتصر المؤلف** على هذا القدر من الادعاءات بل زعم امورا خطيرة فقد انكر وجود بعض الائمة من رواة الحديث كأبي هريرة وأبي ذر ، وأنكر وجود المسجد الاقصى واسراء النبي — ﷺ — إليه .

**( ب ) تأويل السبع بقرات المذكورة في سورة يوسف** : يقول المؤلف في تفسير قول الله تعالى على لسان فرعون مصر « **إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ( يوسف / ٤٣ )** يقول المؤلف : معنى بقرة ( طائرة ) ، فقد رأى العزيز في المنام سبع طيور سمان يأكلهن سبع عجاف ، والتي سماها المخرفون ( بقرة ) واستقام لسان العرب على المعنى المحرف بعد الجيل الثالث الاسلامي ، تلك الماشية اسمها ( المها ) والمها لا تأكل المها ، أما الطير فبعضه يأكل بعضا ثم يقول ان الانسان العربي تداول المعاني الحديثة حتى نسبت الى لغة العرب ودونت في كتب فقه اللغة مثل كتاب الصحاح لمن سموه ( الجوهري ) ومثل كتاب لسان العرب لمن سموه ( ابن منظور )

وفي معرض الرد على هذه الافتراءات يقول الشيخ الطير : مع غض الطرف عن سوء التركيب وفساد العبارات كيف يجهد المؤلف نفسه وهو يقرأ في الاية أنها رؤيا ملك مصر ، ولا يمتنع في المنام ان يرى البقرات بمعناها — اللغوي المعروف — تأكل عجافها سمانها ، تمثيلا لسنوات الجدب التي تتلوا سنوات الخصب والخضرة وفيها يأكل الناس المخزون من محاصيل السنوات الخصيبة ذات الزروع الخضراء والحبوب الوفيرة ليتهيأ الملك لخزن المحاصيل الزراعية من السنوات الخضراء للسنوات الجدباء بعد ان يعرف تأويل رؤياه

ثم ما الذي استفاده المؤلف من جعله البقرات طيورا وما هو الخطر الذي تفاداه بهذا التأويل الفاسد الذي لم يقل به احد .

**( ج ) تأويل بقرة بني اسرائيل** : أتى المؤلف بالعجب العجاب في تفسير قول الله تعالى **ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ( البقرة /٦٧ )** اذا قال في صحفة ١٢ من رسالته المشئومة البقرة أي ( دجاجة ) لا فارض لم ينقطع منها البيض عوان بين ذلك وسط بين الصغيرة والمسنة تبيض البيض صفراء فاقع لونها تسر الناظرين صفراء اسم الطائر المسمى الاوز ، والبط . لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث ، مسلمة لا شية فيها تلك صفة الغراب ، فالغراب بقرة ليست بذلول مسلمة يحجل اذا سار .

**تفجير الفراعنة للذرة وشق مجرى النيل :** يقول المؤلف في صفحة ١٩ من رسالته : ان سر الحضارة للفراعنة هو معرفتهم لعلم تفجير الذرة الذي ورثوه عن قوم ثمود ، الذين

عاشوا في بلاد النوبة جنوب صعيد مصر وأرسل فيهم صالح رسولا واتخذ من اشعه الذرة سبيلا لشق مجرى نهر النيل وقطعوا حاجز الصخور وجرى ماء النيل في المجرى الحالي .

ان هذا يبدوا أفظع افتراء قال به شخص على التاريخ وعلى الحقيقة فثمود هى عاد الثانية وهم قبيلة من العرب مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى في طريق الذاهب من المدينة الى تبوك ثم نهر النيل اتخذ مجراه من اعلى الى ادنى وهو يجري هبوطا الى مصبه وهكذا تتضح افتراءات المؤلف وينتشر هزاؤه في رسالة الهدم والفتنة لما كانت محشوة بالأكاذيب والاباطيل فهى بحق عمل مقصود به طعن القرآن كتاب الاسلام الخالد ومما يدل على ذلك أنها كانت توزع مجانا بدون مقابل .

**المثال الخامس : ظهر كتاب بعنوان ( القرآن — محاولة لفهم عصري ) منذ فترة قريبة والكتاب مكتوب بأسلوب أدبي أخاذ وكان مؤلفه — كما يبدو ويريد الوصول الى عقول المثقفين المعاصرين خصوصا اصحاب الثقافات العلمية منهم الا ان هذا الكتاب محتو على بعض الامور الخطيرة التي تفتح الباب أمام المغرضين والهدامين والمفسدين ليصرفوا القرآن عن ظاهره فيهرفون بما لايعرفون ولكن رغم اننا نلتمس الاعذار للمؤلف حيث ان بّيته كما يبدو كانت مخلصة فيما وقع فيه من زلات وما انكفأ فيه من مزالق وسوف نورد نماذج من المآخذ التي اخذها عليه الشيخ الطير :** (٣٥)

**رغم أن المؤلف حمل على الباطنية والبهائية في تأويلاتهم الباطلة ونعى عليهم في قوله :**

**( ومن ذلك قولهم في عصا موسى أنها رمز الى شريعته ، وفي غنمه التي يهش بعصاه عليها أنها شعبه ، وفي التقام عصاه لثعابين السحرة أنه رمز لابطال شريعته لافات الباطل بالبرهان وفي احياء عيسى للموتى انه رمز الى احيائه لقلوب شعبه الميت ، وفي الشياطين أنها رمز الحواس والرغبات والشهوات وفي الملائكة انها رمز الى الخواطر الطيبة ) ، مع ان المؤلف يهاجم اولئك الذين يؤولون القرآن تأويلات باطلة الا انه قد وقع فيما حذر منه ولم ينفعه حذره ، ولعل النماذج التالية توضح ذلك :**

**( أ ) رأي المؤلف في خلق آدم :** قرر القرآن أن آدم خلق من تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ومن صلصال ، ومع أن المؤلف يوجب على نفسه الالتزام بالنص القرآني فانه يخالف اشد المخالفة **في صفحة رقم ( ٥٢ )** من كتابه — طبعة القاهرة — اذ يقول : .. **وفي هذه الاية « وقد خلقناكم ثم صورناكم يحدد ان خلق الانسان تم على مراحل زمنية ، والزمن بالمعنى الالهي طويل جدا ، وان يوما عند ربك كألف سنة**

مما تعدون وفي مكان آخر ( تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يقول : قال المؤلف : خلقناكم ثم صورناكم ثم اكتملت الصورة بتخليق ادم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم « فمعنى هذا ان ادم جاء عبر مراحل من التخليق والتصوير والتسوية استغرقت ملايين السنين بزماننا واياما بزمان الله الابدي .

وقال في قول الله وقد خلقكم اطوارا معناها انه كانت قبل آدم صور صنوف من الخلائق جاء هو ذروة لها ، هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا اشارة الى مرحلة بائدة من الدهر لم يكن الانسان يساوي فيها شيئا يذكر .

ثم قال في صفحة رقم ( ٥٣ ) — من نفس الطبعة — : وأعجبني في كتاب للمفكر الاسلامي محمود طه بعنوان ( رسالة صلاة ) تعبير جميل يقول فيه ( ان الله استل آدم استلالا من الماء والطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين انه الانبثاق من الطين درجة درجة وخطوة خطوة من الاميبا الى الاسفنج الى الحيوانات الرخوة الى الحيوانات القشرية الى الفقريات الى الاسماك الى الزواحف الى الطيور الى الثدييات الى اعلى مرتبة ادمية بفضل الله وهديه ) .

من الملاحظ ان مؤلف الكتاب — محل النظر قد اعجبه رأي داروين ! .

ونظريته في نشوء الخلق ، هذه النظرية التي كثر ناقدوها قديما وحديثا حتى لاضحي شبه اجماع من العلماء الافذاذ على تصدع هذه النظرية وليس هنا محل نقدها .

**( ب ) رأي المؤلف في أن آدم الجنة غير آدم الارض :** يقول المؤلف في كتابه — من نفس الطبعة — صفحة ( ٥٣ ) في تفسير قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم : ان ما حدث في انبثاق ادم من الماء والطين ، على مراحل تطورية في الارض ردة وانتكاسا وعقابا لخطيئة سوف نفهم تفاصيلها ، فقد خلق الله ادم في احسن تقويم كاملا لا عيب فيه لا يمرض ولا يموت وقال المؤلف بعد ذلك ما ملخصه : ان الله خلق له من نفسه زوجة واسكنها في كوكب الجنة — كذا قال — واسجد له الملائكة ، واشترط عليه لتدوم هذه النعم أن لا يأكل من شجرة عينها له ، كل هذا حدث في السموات وهو من قبيل الغيب المطلق الذي لا يحيط به علما وقد جرى في الازل قبل الرحلة الارضية للوجود الادمي ثم يعود المؤلف الى ذات الموضوع من نفس الطبعة في صفحات ٥٦ ، ٥٧ فيقرر ان ادم اكل من الشجرة باغراء ابليس وحق عليه عقاب الطرد والاهباط من تلك اجنة الى الارض وان ذلك هو المقصود برده الى اسفل السافلين الى طين المستنقعات وهذه المرة الى مجرد جرثومة في طين الارض الى نقطة بدء اولى من الخلية وان آدم تدرج عبر خمسة الاف مليون سنة . ثم قال المؤلف : وأثاب الله آدم على توبته بأن هواه في رحلته الدامية حتى وقف على قدميه محاكيا آدم الاول — آدم الصورة آدم المثال ، الذي خلقه الله في الملكوت

ولكنه في هذه المرة ادم جديد يولد ويمرض ويكدح ليعيش ثم يموت ........الخ .

كل هذه مذاهب ذهبها المؤلف نقضت ما اتخذه مبدء لنفسه وهو عدم التأويل الباطل فاذا به يقع فيه هنا ، فكيف يعاقب الله ادم الارض بخطيئة ادم الجنة ، وهو القائل سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم كيف يفهم النص الكريم لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فكون ادم اهبطه الله الى الارض وقلبه جرثومة في طين المستنقعات — على حد تعبير المؤلف — بدءً لخلقه الارضي ، وأن هذا هو تفسير قول الله ثم رددناه اسفل سافلين فكيف يفسر المؤلف الاستثناء الوارد مباشرة بعد هذه الاية الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هل هؤلاء المؤمنون فريق استثناه الله من طريقة خلق ادم الارضي هذا فهم غير مستقيم لتفسير هذه الايات .

والنقاط التي يمكن مؤاخذة المؤلف عليها متعددة في كتابة هذا كالتناقض في رأيه حول نعيم الجنة وعذاب النار الذي ورد الكلام فيه في صفحة ٦٥ حتى ٨١ ، ورأيه الذي يثير الضحك في غض الابصار الذي تكلم عنه في ( فصل الحلال والحرام ) صفحة ٨٥ حتى جعل المتبصصين على الصدور والنهود والسيقان مسبحين بحمد ربهم الى غير ذلك من مواضع زل فيها قلم المؤلف وسقطت قدماه وتناقضت اراؤه وهذا بيان وايضاح لنماذج من تأويلات ضالة وتقريرات باطلة في تفسير ايات من القرآن الكريم ويوضح هذا مدى الخطورة التي تجني على القرآن من جراء أشخاص ولجو ميدان تفسيره بلا قارب ولا طوق نجاة .

**المثال السادس** : ظهر مند سنوات قليلة كتاب بعنوان ( معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم [٣٦] قرر مؤلفه في فصل ( من اعجاز القرآن في الرقم ١٩ ) ما يلي : ان اية القرآن الكريم التي ورد فيها رقم ١٩ وكذلك الايات التي توضح أسباب ذكر هذا الرقم وأهدافه نصها الشريف هو سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرين ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هووما هى الا ذكرى للبشر ( المدثر / ٢٦ — ٣١ ) وبالتدبير فيها والتفكير فيما جاء بها نجد ان الرقم قد تحدد والعدد قد تقرر ووضح السبب من ذكره ، وتبين القصد والهدف من ايراده ان جهنم عليها تسعة عشر وان هؤلاء التسعة عشر من الملائكة وأنهم صحاب النار ، وان سبب ذكر هذا العدد هو سبيل

كشف المنافقين الذين في قلوبهم مرض وبيان كفر الكافرين بما يعلنون من الجدل في هذا العدد ودراسته والاختلاف عليه اثناء مناقشته ويستمر المؤلف في سرد المواضع التي ورد بها الرقم ١٩ إما عددا لحروف اية او عددا لكمات ايات ذاتِ مناسبة معينة وما شابه ذلك وهذا كله مفيد ومستقيم ولكن قدَ ظهر منذ مدة كتيب لاحد المتعاملين شحنه بما قاله الكمبيوتر ولكنه فسره تفسيرات خاطئة وذهب بها مذاهب ضالة منحرفة ، فلقد قال في صفحة ١٣ ما نصه : ( نحن نعلم ان الاية الاولى التي نزل بها سيدنا جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم هى من سورة العلق « اقرأ باسم ربك الذي خلق وسورة العلق تتكون من ١٩ اية ويلي ترتيبها اذا بدأنا بتعداد القرآن من الخلف عند الرقم ١٩ ، ثم جاء الوحي بالأيات من سورة القلم « نّ والقلم وما يسطرون وبعدها تأتي الايات الاولى من سورة المزمل وفي المرة الرابعة وهو الحدث الهام نزل الوحي بالايات المذكورة في سورةالمدثر حتى قوله تعالى « عليها تسعة عشر والشيء العجيب حقا ان

الوحي الامين انزل عقب اية عليها تسعة عشر بالضبط سورة الفاتحة بكاملها وهى أول سورة كاملة ينزل بها جبريل عليه السلام باجماع العلماء فنلاحظ هنا انه تبع ايه عليها تسعة عشر مباشرة بسم الله الرحمن الرحيم ( المكونة من ١٩ حرفا ) .

ومن قبل ذلك قال في صفحة ١١ ما نصه : ( فماذا يعني بقوله ١٩ ؟ هل يعني أن الانسان الذي يعتقد ان القرآن من قول البشر سيعذب وسيكون عذابه تحت اشراف تسعة عشر وهذا هو التفسير المتفق عليه من قبل العلماء القدماء فالتسعة عشر ( عند المفسرين القدماء ) هم حراس جهنم زبانية جهنم لكن اذا تابعنا قراءة الايات التالية نرى في الاية الكريمة السابقة عليها تسعة عشر وفي ضوء المعلومات الجديدة التي سنراها هناك تفسيرا جديدا لمعنى تسعة عشر وهى عدد حروف الاية القرآنية المفتتح فيها القرآن بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقول في صفحة ١٢ ما نصه : ( إذا فالرقم ١٩ ليس هو عدد زبانية جهنم كما كنا نعتقد وكما فسر العلماء القدماء ... هذا ما يظهر في القرآن الكريم من تفسير للرقم ( تسعة عشر ومن الدلائل التي تؤيد هذا التفسير بأن رقم ( ١٩ ) الذي ذكر في القرآن الكريم يقصد به الله سبحانه وتعالى عدد حروف البسملة ما يأتي .. ) ثم ذكر ما أوردناه صفحة ١٣ من كتيبه .

وللرد على هذا الهراء يقول المستشار / حسين محي الدين [٣٧] مانصه :
أولا : على فرض صحة نزول الفاتحة بعد اية عليها تسعة عشر من سورة المدثر وعلى فرض أن البسملة تسعة عشر حرفا مع كونها عشرين حرفا بإثبات ألف الرحمن نطقا نقول على فرض ذلك كله فليس مفاد ذلك ومؤداه

أن عدد تسعة عشر يعني به الله حروف البسملة فسياق الايات يستعصي تماما على أن يؤدي الى هذا الهراء نقول : إن حروف البسملة وان كانت تسعة عشر حرفا حسب عد بعضهم ومع كون ملائكة جهنم تسعة عشر ملكا فليس معنى ذلك ان زبانية جهنم هم حروف البسلمة لمجرد التشابه في العدد ، فالتسعة عشر رجلا ليسوا هم النساء البالغ عددهن تسع عشرة امرأة لمجرد التوافق في العدد وليس البرتقال البالغ عشرين برتقالة هو الباذنجان البالغ عشرين باذنجانة لمجرد التساوي في العدد ومن يقول ذلك فهو ذاهب العقل عديم الادراك هذا ويمكننا ان نقرر بديهة عقلية لا يتعلق بها شك هى أنه لا ارتباط في المعنى بين جملة وأخرى اذا اقتصر التشابه بينهما على أن عدد حروف الاولى يساوي عدد حروف الثانية فمجرد هذا التوافق في العدد لا يوجب ارتباطا بين الجملتين من حيث المعنى ولا تكمل احداهما الاخرى .. .

ثانيا : ربما نفي احدهم اتخاذه من التوافق والتشابه في العدد دليلا على الزعم الذي سجله وهو انكار ملائكة النار ورب قائل ان الدليل عنده هو ترتيب نزول الأيات فان البسملة التي هى أول اية في الفاتحة والتي هى تسعة عشر حرفا نزلت مباشرة بعد اية عليها تسعة عشر التي هى في سورة المدثر .

وللرد على هذا التلبيس الذي هو من همزات ابليس نقرر ان نزول اية بعد اية لا عبرة له في الربط بينهما وان العبرة في ذلك بترتيب وردهما بالمصحف وبيان ذلك أن الايات كانت تنزل بمناسبة حوادث معينة او اجابة عن اسئلة موجهة الى الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤمر الرسول الكريم بوضعها في سورة معينة ويحدد له جبريل عليه السلام موضعها في هذه السورة اي بعد اية كذا وقبل اية كذا فترتيب الايات في المصحف كان بأمر من الله وليس من فعل الرسول .

وما يقال في الايات يقال في السور فان نزول سورة بعد سورة لا علاقة له على الاطلاق بتفسير السورة اللاحقة لمعاني او مراد السورة السابقة والامثلة كثيرة بعدد سور القرآن : فسورة الفلق نزلت بعد سورة الفيل وهى لا تفسرها ولا جامع بينهما وسورة الاخلاص نزلت بعد سورة الناس وهى لا تتصل بها ولا يرتبطان بجامع مشترك بينهما وهكذا.

ثالثا : لم يرد في القرآن كله ما يفيد أن جهنم عليها تسعة عشر حرفا هى حروف البسملة ولم يرد في أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المبين للقرآن ما يشير من قريب او من بعيد الى هذا الهراء .

رابعا : بل الذي ورد في القرآن صريح وقاطع في كون التسعة عشر هى عدة اصحاب النار وقد ورد هذا القطع الجازم في اية لاحقة

لاية عليها تسعة عشر مباشرة في اية وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وبإعمال القاعدة المنطقية والشرعية في تفسير القرآن بمراعاة ترتيب المصحف لا ترتيب النزول يكون اصحاب النار الذين هم ليسوا الا ملائكة هم المحددين عددا بتسعة عشر .

وفي التأكيد انهم ملائكة ذوات أرواح وليسوا حروفا ونقوشا وصفهم الله بالحياة حين وصفهم بالغلظة والشدة وأنهم لا / يخالفون الله عن امره وأنهم يفعلون ما يؤمرون ورب قائل يقول : ان الله قادر على أن يأمر الحروف فتبدب فيها الحياة يأمرها فتطيع وتصير غلظة شديدة على أهل جهنم ونقول جوابا :

١ــ أما وقد اصبحت هذه الحروف ذات حياة وأصبحت غليظة شديدة فلماذا لا نسميها بتسمية الله اياها لماذا لا نسميها ملائكة .

٢ ــ هذا وما الحكمة ــ على الغرض السابق ــ في كون الله يخلق حروفا ابتداء ثم ثم يجعلهم ملائكة انتهاء أليس بقادر على أن يخلقهم ملائكة ابتداء دون اللجوء الى التصيير والتحويل .

٣ ــ ثم كيف يرتاح عاقل الى أن حروف الرحمة ــ وهى حروف البسملة ــ تنقلب ( اذا انقلبت ) الى ملائكة غضب ونقمة أما كان الانسب أن تنقلب الى ملائكة رضوان ورحمة .

**المثال السابع : بعض الناس يقول ان الايات الكريمة والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين ( التين ١ ــ ٣ ) تشير الى بوذا حيث بات ليلة تحت شجرة من فصيلة التين ، والزيتون اشارة الى رسالة عيسى وطور سنين اشارة الى رسالة موسى وهذا البلد الامين رمز النبوة المحمدية اهكذا نفهم الايات !! ان هذا لشيء عجيب انه لمن المعروف ان بوذا لم يرسل من السماء ، ولا نزل عليه وحي او كتاب كما أنه لا يقول بالاخرة ولا يؤمن بثوابها وعقابها وطلب من الناس أن يشغلوا انفسهم بأمر الخالق والغيب ولا يقيمون عبادة اصلا فكيف اذا الربط بين بوذا وباقي المرسلين ؟ !! .**

**المثال الثامن** : في فهم الايات أو لم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من اطرافها ، والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ( الرعد / ٤١ ) رأى بعض الناس المشتغلين بالعلم أن هذا سبق علمي للقرآن حيث أنه ثبت بالقياسات العلمية النقصان البطيء المستمر للمحور الطولي للارض نتيجة دورانها . ولكن الذي يقرأ الايات السابقة واللاحقة للايات المذكورة سابقا يجد المفهوم غير الذي ذهب اليه هؤلاء اذ المقصود العام هو انتقاص أرض الكفار بما فتحه الله لللمؤمنين منها نشرا لدعوة الحق .

**المثال التاسع** : اننا لا يجوز أبداً ان نقول بأن القران بالاية وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ( الانعام

/ ٣٨ ) قد سبق كارلوس ليبوس ( Linnaeus )في وضع علم التصنيف (٣٨) ، فالاية اولا ليس فيها تصنيف لا وفقا لنظام لينيوس ولاغيره من المصنفين ثم ان محاولات التصنيف ضاربة في التاريخ قبل لينيوس وان كان هو واضع اسس المنهاج الذي يتبعه علماء الاحياء حتى الان .

**ثالثا : الشكل العام لتعميق المفاهيم العلمية للايات الكونية :**

انه لمن المحمود بل من الضروري والواجب الذي لا بد منه ان يكون هناك تبادل معرفة بين المسلمين في مختلف تخصصاتهم فيلتقي علماء العلوم الكونية بعلماء العلوم الشرعية فيعلم علماء العلوم الشرعية علماء العلوم الكونية الامور التعبدية التي تجعل صلاتهم وعبادتهم وصومهم وزكاتهم على مستوى مرضي ومقبول من الله تعالى ويلتقي علماء العلوم الكونية مع علماء العلوم الشرعية فيعرضوا عليهم كثيرا من شؤون الحياة وليس شرطا في عالم الشرعيات ان يتعمق في الكيمياء والفيزياء .

والطب والفلك وانما المقصود في ذلك المامة واحاطته بالكليات العلمية لا بالتفصيلات التخصصية فاذا اراد التفصيل فعلية الرجوع الى أهل التخصص في كل فرع من فروع العلوم كما أنه على رجال العلوم الكونية أن يحذروا الزلل والسقوط في المزالق حينما يتكلموا في احدى القضايا في ذلك حتى لا يعتريه الشطط فيوقع الايات في امور لم تنزل هى من اجلها .

فعلينا اذا نبذ مسميات تفسير علمي او تفسير عصري او رؤية عصرية وانما كل ما يقدمه ابناء الاسلام في هذا الميدان فهو تحقيقات او تعميقات او اجلاء الجوانب في الاية الكونية كما علينا ان ننفي عن هذه التعميقات او التعليقات كونها تفسير بالرأي ذلك الذي له اهله ورجاله المتخصصون فيه .

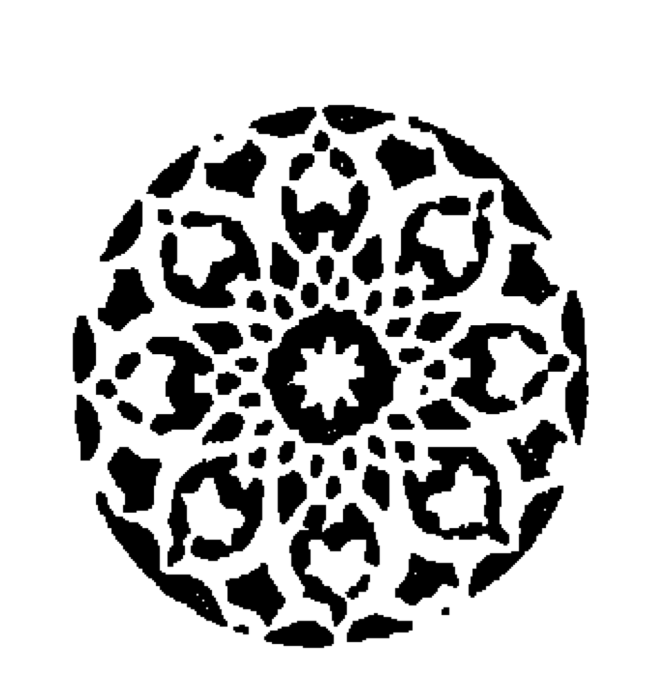
وختاما فاذا ظهرت منذ سنوات قليلة جهود في سبيل تنفيذ الاقتراح الذي نتقدم به الان فانها لم تأخذ الشكل الذي نرنوا اليه حيث اننا نرى من وجهة النظر العلمية المنطلقة من منطلق الاسلام والغيرة على الدين والسعي للتمكين له في ارجاء الكرة الارضية من هذا المنطلق ندعوا الى شحذ الجهود بين رجال كافة التخصصات الشرعية والكونية مؤلفين في مجمع اسلامي على مستوى اكاديمي يضم علماء في اللغة وفي الفقه وفي الشريعة وفي تقنين القوانين وفي الطب بمختلف تخصصاته وفي الفلك وكل فروعه وفي علوم الأحياء من نبات وحيوان وحشرات وكائنات دنيا وفي الزراعة وفي الاقتصاد وفي التربية وفي العلوم الانسانية وفي بقية فروع المعارف ومجالات العلم المتعددة كل من هؤلاء العلماء توكل اليه مسئولية التحقيق او التعليق او التعميق لآيات قرآنية معينة أو لموضوع معين ورد ذكره في

القرآن ، ثم يطبع هذا التفسير الموسوعي المعتمد الموثق بكل لغات العالم سواء ما تسمى الحية او غيرها من لغات لا يسمع بها كثير من الناس ثم يدعم هذا التفسير من حيث الطباعة والنشر والتوزيع فلا يحول غلاء الاسعار دون وصوله الى كل فاهم ومتوق لمثل هذا العمل الضخم الجليل . كما أننا ندعوا اتماما للفائدة ان ينظر هذا المجمع الاسلامي في امور هذا التفسير على رأس كل قرن يمضي من الزمان على رأس كل نصف قرن فيضيف الى المفاهيم مايمن به الله على عقول البشر من مكتشفات مبتكرات وبحوث حتى تراه الأجيال المتلاحقة دائما واضح الاعجاز شديد الاقناع .

كما ندعو هذا المجمع الاسلامي الى تفنيد الخرافات الاساطير الموجودة في بعض كتب التفسير وعرضها على العامة حتى يحذروها الا انه من الافضل جمع هذه الكتب وحرقها ثم الأخذ على أيدي مروجيها بشدة ودون تراخ حتى لا يتطاول بعض الناس من الحاقدين .

على كتاب الله العزيز الذي هو جوهر الدين ومنهاج الاسلام وقانون المسلمين فاذا طعن فيه او فسر على غير وجهه الصحيح فالخطر كل الخطر يقع بالمسلمين لا محالة الله سبحانه اسأل أن يوفق كل الساعين في سبيل اعلاء كلمته وتثبيت دينه الحنيف في كل بقعة من بقاع الارض ذلك لان الاسلام هو الدين الذي لن يصلح البشر الا هو .

اللهم بلغت اللهم فاشهد .



## الهوامش

( ١ ) ابن كثير ( ابو الفداء اسماعيل بن عمر ) تفسير القرآن العظيم — ط دار الشعب بمصر ١٩٧١.

( ٢ ) ابن أبي طالب ( الامام علي ) : نهج البلاغة . ط دار الشعب بمصر ج ٣ ٣ — ٨ ص ٧٠ .

( ٣ ) أبو العزائم ( الامام المجدد السيد محمد ماضي ) : اسرار القرآن . ط ٢ المشيخة العزمية بمصر ١٩٨١ .

( ٤ ) القشيري ( الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ) : صخيح مسلم بشرح النووي . بدون تاريخ او جهة طبع .

( ٥ ) الطير ( الشيخ مصطفى محد الحديدي ) اتجاه التفسير في العصر الحديث ط مجمع البحوث الاسلامية بمصر ٧ ( ٨٠ ) ١٩٧٥.

( ٦ ) ابراهيم ( محمد اسماعيل ) : القران واعجازه العلمي . ط دار الفكر العربي بمصر ١٩٧٧ .

( ٧ ) شحاته ( الدكتور عبد الله ) : تفسير الايات الكونية : ط دار الاعتصام بمصر ط ١ ، ١٩٨٠ .

( ٨ ) ابراهيم ( محمد اسماعيل ) : القرآن واعجازه العلمي . ط دار الفكر العربي بمصر١٩٧٧ .

( ٩ ) أبو السعود ( الدكتور عبد الله ) : التفسير في عهد الصحابة . منار الاسلام بدولة الامارات المتحدة ٨ ( ٥ ) ١٩٨٣ ص ٩ وما بعدها .

( ١٠ ) المصـــدر السابق .

( ١١ ) رياض ( عبد الحميد ) : المفسرون من الصحابة الوعي الاسلامي بالكويت ٩ ( ١٠٠ ) ١٩٧٣.

( ١٢ ) ابو السعود ( الدكتور عبد الله ) : التفسير في عهد الصحابة . منار الاسلام بدولة الامارات المتحدة ، ٨ ( ٥ ) ١٩٨٣ ص ١٢ .

( ١٣ ) ابراهيم ( محمد اسماعيل ) : القرآن واعجازه العلمي . ط دار الفكر العربي بمصر ١٩٧٧.

( ١٥ ) بنت الشاطىء ( الدكتورة عائشة عبد الرحمن ) : القرآن والتفسير العصري . ط دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

( ١٦ ) الذهبي ( الدكتور محمد حسين ) : الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم . ط دار الاعتصام بمصر ١٩٧٨ .

( ١٧ ) لمزيد من التفصيل انظر : محمد ( الدكتور عبد الحافظ حلمي ) : العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم . عالم الفكر بالكويت ١٢ ( ٤ ) ١٩٨٢ .

( ١٨ ) المصدر نفسه .

( ١٩ ) الفندي ( الدكتور محمد جمال الدين ) : التفسير العلمي للقرآن الكريم الوعي الاسلامي بالكويت ١٧ ( ١٠ ) ١٩٨١ .

( ٢٠ ) المصدر السابق .

( ٢١ ) شحاته ( الدكتور عبد الله ) : تفسير الايات الكونية . ط دار الاعتصام بمصر ١٩٨٠ .

( ٢٢ ) بوكاي ( الدكتور موريس ) : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة تعريب وطبع دار المعارف بمصر ١٩٧٨ .

( ٢٣ ) السيد ( السيد علي ) : مكانة العلم ومناهجه ومجالاته في القرآن : الادارة العامة للثقافة بالازهر الشريف ١٩٥٩ .

( ٢٤ ) الغزالي ( أبو حامد محمد بن محمد بن محمد ) : احياء علوم الدين . ج ٣ ط دار احياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٧ .

( ٢٥ ) العزالي ( ابو حامد محمد بم محمد بن محمد ) : جواهر القرآن . ط مكتبة الجندي بمصر ١٩٦٤ .

( ٢٦ ) ابو السعود ( الدكتور عبد الله ) : التفسير في عد الصحابة منار الاسلام بدولة الامارات المتحدة ٨ ، ( ٥ ) ١٩٨٣ ص ١٠ .

( ٢٧ ) العزالي ( أبو حامد محمد بن محمد بن محمد ) :

احياء علوم الدين . ج ٣ دار احياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٧ .

( ٢٨ ) احمد ( حنفي ) : التفسير العلمي للايات الكونية فيالقرآن . ط دار المعارف بمصر ١٩٦٠ .

(٢٩٠) ابراهيم ( محمد اسماعيل ) : القرآن واعجازه العلمي طـ. دار الفكر العربي بمصر ١٩٧٧ .

( ٣٠ ) الطير ( الشيخ مصطفى محمد الحديدي ) : اتجاه التفسير في العصر الحديث ـــ ط مجمع البحوث الاسلامية بمصر ، ٧ ( ٨٠ ) ١٩٧٥ .

( ٣١ ) دهنية ( الدكتور عبد الكريم ) : سنريهم اياتنا ـــ نظرة في الكون . منبر الاسلام بمصر ٣٩ ( ٣ ) ١٩٨١ .

( ٣٢ ) الراجحي ( الدكتور عبد الغني ) موقف الاسلام من العلوم الكونية والمادية منبر الاسلام بمصر ، ٣٨ ( ١٠ ) ١٩٨٠ .

( ٣٣ ) صالح ( الدكتور عبد المحسن ) : بين ايات القرآن وايات الخلق منار الاسلام بدولة الامارات المتحدة ٧ ( ٢ ) ١٩٨١ .

( ٣٤ ) نقلا باختصار عن : الطير ( مصطفى محمد الحديدي ) اتجاه التفسير في العصر الحديث . ط مجمع البحوث الاسلامية بمصر ، ٧ ( ٨٠ ) ١٩٧٥ .

( ٣٥ ) المصدر نفســـــه.

( ٣٦ ) نوفل ( عبد الرازق ) : معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم كتاب اليوم ١٦٣ ، مؤسسة اخبار اليوم بمصر ، ١٩٨٠ .

( ٣٧ ) محي الدين ( المستشار / حسين ناجي محمد ) : بين الدعاة والادعياء حول قضية التأويل بالهوى . الوعي الاسلامي بالكويت ٢١٩ ( ١٩ ) ١٩٨٣ ص ٤٦ وما بعدها .

( ٣٨.) محمد ( الدكتور عبد الحافظ حلمي ) : العلوم البيولوجي في خدمة تفسير القرآن الكريم عالم الفكر بالكويت ١٢٠ ( ٤ ) ١٩٨٢ .






# تجربة البنوك الإسلامية

## مع تركيز خاص على تجربة بنك فيصل الإسلامي السوداني*

**عبد الرحـــيم محمود حمدي**
نائب المدير العام
بنك فيصل الإسلامي السوداني

خمس سنوات ( ١٩٧٧ — ١٩٨٢ ) هو عمر تجربة البنوك الإسلاميو وثمانية بنوك في ٦ بلاد عربية قائمة فعلا وحوالي هذا العدد يجري تحويله تدريجيا إلى بنوك تعمل بدون ربا في كل من السودان وباكستان وحوالي ١٨ بنكا يجري تأسيسها في عدد من البلاد الإسلامية . وعدد من « الفروع الإسلامية » لبنوك ربوية جرى ويجري افتتاحها .

فهل يمكن في هذا الحيز الزمني الضيق وهذه المحدودية لعدد البنوك الإسلامية استخلاص أي نتائج ذات معنى لهذه التجربة ؟

نبدأ أولا بتقرير ملاحظات رئيسية على تجربة البنوك الإسلامية :

أولى هذه الملاحظات هي أن « التجربة » انطلقت الى حيز الفعل مباشرة بحد أدنى — وضئيل جدا — من التمهيد النظري أو التأصيل الفكري سواء بالنسبة للاطار الفكري العام ( الاقتصاد الإسلامي ) أو لمفهوم البنك في النظرية الإسلامية . أي أن التطبيق سبق التنظير في هذه التجربة :

وثاني هذه الملاحظات هي أن التجربة بدأت — ولا تزال تقوم — من خلال أوضاع اقتصادية وإدارية وقانونية وثقافية واجتماعية يغلب عليها بصورة قاطعة الطابع والفكر الرأسمالي الليبرالي السائد في معظم البلاد « اليوم ولهذا تبنت التجربة عمليا نموذج MODEL البنك التجاري في النظام الربوي وأجرت عليه تعديلات — جوهرية في بعض الأجزاء — ووجدت نفسها مضطرة للتعايش في عملها مع اجراءات ومفاهيم ونظم غير

* ورقة قدمت لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية في مهرجانهم بقاعة الصداقة بالخرطوم ، أول صفر ١٤٠٣ هـ = ١٧ نوفمبر ١٩٨٢ م .

إسلامية في مجالات هامة كالنظم المحاسبية والضرائبية وقوانين الشركات وإجراءات التعامل التجاري والمالي ــ محليا ودوليا ــ فأخذت بما لم تر أن فيه معارضه ظاهرية واضحة للإسلام وتفادت غيره .. على حساب عملها ونشاطها .

ولعل أبرز من أشار لهذه المحددات وأعطى تعريفين مختلفين للبنك الإسلامي على أساسها ( أحدهما بنك يعمل في بيئه إسلامية خالصة ولكن غير قائمة والآخر بنك إسلامي يعمل في بيئة تنقصها معطيات إسلامية أساسية » البنك اللاربوي في الإسلام » .

فالبنوك الإسلامية هي إذن تجربة إسلامية تتم في بيئه غير إسلامية .

وثالثة هذه الملاحظات هي أن البنوك الإسلامية رغم قيامها على نداء الإسلام .. وتوجهها لمساهميها ومودعيها ومتعامليها على أساس هذه العلاقة .. فإنها اعتمدت أساليب وطرق عمل تجارية وفنية موضوعية ــ ومؤسسة على الإسلام ــ في معاملاتها مما يعني أنه يمكن اخضاع تجربتها للتقييم على أساس فني واقتصادي .. بعيدا عن العاطفة أو الغيرة الدينية .

ورابع هذه الملاحظات هي عدم نشوء نموذج أو نمط واحد STEREO TYPE للبنك الإسلامي . بتأثير عدة أسباب منها ــ كما أسلفنا ــ عدم سبق النموذج الفكري للنموذج التطبيقي .. ومنها تأثر البنك بالنموذج وشكل النشاط الاقتصادي السائد في كل بلد ــ وهذا يرتبط بما سبق ذكره عن بيئة البنوك الإسلامية . ومنها اختلاف دوافع الإنشاء .. فحين يغلب على مؤسس بنك ما هدف جذب الودائع العربية في البنوك الأوربية أو مدخرات الجاليات الإسلامية في أوربا يصبح شكل النشاط الرئيسي للبنك هو محاولة تطوير نظم استغلال فوائض السيولة في الأسواق المالية الدولية على أساس يومي .. ويتجه بالتالي لتطوير نظم احتساب وتوزيع أرباح الودائع قصيرة الأمد كما هو الحال في بعض الشركات ذات الطبيعة المصرفية الإسلامية التي قامت في أوربا .

وحين يكون الدافع هو العمل التجاري البحت ــ لأن عمل التنمية قام وانتهى أو تقوم به الدولة ذات الموارد الغنيه ــ فإن البنك يجد نشاطه مقصورا في هذا المجال دون غيره .. كما هو الحال في بعض البنوك الإسلامية في منطقة الخليج .

ولكن اختلاف النماذج لا يعتبر عيبا .. بل انه يساعد في اثراء التجربة ككل لأنه يعني أنها ستطرق ــ فيما بينها ــ مجموعة أوسع من مجالات العمل وتطور صيغا أكثر للتمويل حسب احتياجات كل مجتمع .

ولكن واقع الحال الآن هو قلة المعلومات المتوفرة لأغراض البحث العلمي عن عمليات وصيغ وإجراءات ونظم عمل تلك البنوك .

وما يرد ذكره في هذه الورقة من معلومات وأحكام أو آراء أو انطباعات مصدره الاطلاع الشخصي لمؤلفها على أوضاع بعض تلك المؤسسات . ومن هنا سيكون تركيز هذه الورقة أساسا على تجربة بنك فيصل الإسلامي السوداني ومن حسن الحظ فهو من « أقدم » هذه البنوك .. ومن أكثرها انتشارا نوعيا وجغرافيا .. ومن أكثرها ارتباطا بمختلف البنوك والمؤسسات الإسلامية التي تطبق صيغا لم يطبقها بنك فيصل بعد .. والمقصود بالارتباط هنا لا يقتصر على مجرد التعرف على هذه الصيغ بل يمتد إلى التعامل بها كما في حالة قبول وشراء صكوك المضاربة مع الشركة الإسلامية للاستثمار ..

بعد هذه الملاحظات الرئيسية نعود لرصد مسار التجربة تمهيدا لتقييمها .

لماذا سبق التطبيق ؟

سلفت الاشارة إلى أن فكرة إنشاء بنوك إسلامية سبق إلى حد تطور الفكر الاقتصادي الإسلامي العريض والفكر المتعلق بالبنوك الإسلامية بصفة خاصة .[١]

ولهذا سببان :

**سبب نظري :**

الربا من بين النظريات الاقتصادية التي حظيت باهتمام خاص من المفكرين الإسلاميين . وذلك لأن مبدأ التعامل بالربا نظرية محددة يمكن فصلها عن بقية النظريات الاقتصادية العامة . والجوانب والنتائج المتعلقة بالربا هي أيضا واضحة ومحددة : فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية كالاستغلال والجوانب الاقتصادية كتراكم الثروات .

**وآخر عملـي :**

ثم أن مفهوم المشاركة لأجل الربح لم يمت عمليا وما زال متأرجحا في العالم العربي والإسلامي ، بل وفي مجتمعات أخرى في إطار تنظيمات اجتماعية أصغر من تنظيم الدولة : مثل القبيلة ، والقرية ، والأسرة . والمشاركة هنا بين رأس المال الذ يقدمه أغنياء الحي أو الأسرة أو القبيلة وبين العمل الذي يساهم به القادمون الجدد — في هذه الوحدات في الدورة الاقتصادية .

ولهذه الأسباب النظرية والعملية يبدو أن قيام مؤسسات مصرفية إسلامية كان أمرا طبيعيا رغم عدم تطبيق الاقتصاد الإسلامي الشامل في تلك الدول ورغم عدم تطور الاجتهادات الفكرية الخاصة بالاقتصاد الإسلامي أو البنوك الإسلامية .

هذا وقد أفرز هذا الوضع — إنشاء مؤسسات ماليه في دول لا تطبق النظام الإسلامي الاقتصادي الشامل — بعض التعقيدات القانونية وقد أمكن حل هذه التعقيدات بإصدار قوانين خاصة لزرع هذه المؤسسات داخل النظام الاقتصادي القانوني — الاداري القائم ، أو بإصدار بعض الإعفاءات والاستثناءات من المعاملات التي

يظهر فيها بصفة قانعة تأثير ربوي : مثل قوانين البنوك المركزية التي تفرض الرقابة المصرفية أو الربا على المصارف التي تتعامل معها .

**استعراض تاريخي لتجربة البنوك الإسلامية :**

منذ عام ١٩٧٧ بدأت في الظهور في بعض البلاد العربية مجموعة من البنوك الإسلامية . وقد بدأت هذه البنوك بمبادرات فردية وكان أول ما بدأ هذا النشاط قيام البنك الإسلامي للتنمية ــ وهو بنك حكومات ــ بمبادرة كريمة من المرحوم الملك فيصل .

وكان واضحا في ميثاق تأسيسه وفي طريقة معاملاته أنه يقوم على مبادىء إسلامية . ويتم تمويل رأس مال هذا البنك بواسطة الدول الإسلامية الغنية . وينحصر نشاطه في مساعدة الدول الفقيرة في إنشاء البنية الأساسية وإن بدأ أخيرا التعامل في مجالات تجارية واقتصادية أخرى ، وقد فتح هذا الباب للمبادرات الفردية التي سيلي ذكرها .

وقد كانت هناك مبادرة فردية تمت في مصر في أوائل الستينات ، وهي تجربة بنوك الادخار الشعبية التي بدأها الدكتور أحمد النجار في مدينة ميت غمر . وقد بدأت هذه التجربة انطلاقا من مفهوم اللاربوية وليس من مفهوم تطبيق الاقتصاد الإسلامي . وربما كان مرجع ذلك هو أن الظروف السياسية وقتها لم تكن تسمح باطلاق هذه الأسماء وبقدر ما كانت تلك التجربة الرائدة محدودة بقدر ما أثبتت نجاحها في وقت قصير ولكن الظروف السياسية المحيطة ناخت عليها بثقلها وأنهتها في مهدها .

وقد قام بنك إسلامي في دبي ( ١٩٧٧ ) بمبادرة فردية أيضا وعين مديرا لهذا البنك الدكتور عيسى عبده أحد كبار المنظرين الإسلاميين وهذا دليل على أن فكرة تطبيق نظام إسلامي مالي هي الأساس ولكن لم تتضح بعد أسس وكيفية التطبيق .

وأخيرا بدأت هذه الصحوة الإسلامية تأخذ طابعا أكثر تنظيما وجاءت المبادرة ــ في هذا من الأمير محمد الفيصل ــ نجل الملك الراحل فيصل ــ وآخرين التفوا حوله في عدد من الدول العربية والإسلامية . وقد أنتجت هذه المبادرة المنظمة حتى الآن عدد من البنوك الإسلامية يضمها جميعا اتحاد دولي للبنوك الإسلامية معترف به من منظمة المؤتمر الاسلامي :

| | |
|---|---|
| ١ ــ بنك دبي الإسلامي | ١٩٧٧ |
| ٢ ــ بنك فيصل الإسلامي السوداني | ١٩٧٨ |
| ٣ ــ بنك فيصل الإسلامي المصري | ١٩٧٨ |
| ٤ ــ بيت التمويل الكويتي | ١٩٧٨ |
| ٥ ــ البنك الإسلامي الأردني للتمويل والتنمية | ١٩٧٩ |

٦ ــ بنك البحرين الإسلامي ١٩٨٠
٧ ــ بنك مصر الدولي
للاستثمار والتنمية ١٩٨١
٨ ــ بنك ناصر الاجتماعي ، من مؤسسات وزارة الشئون الاجتماعية ويعمل على أساس لا ربوي . فهو في عداد البنوك الإسلامية وان كانت بدايته لا تحمل هذا المعنى .

وهناك أيضا الشركة الإسلامية للاستثمار ( ١٩٧٨ ) وتعمل من جنيف والشارقة . وقد بدأت هذه الشركة بـ ٢٣٠٠٠ مساهما ومجموع أصول قيمتها مائة مليون دولار تديرها على أساس المضاربة الشرعية وقد وزعت الشركة الإسلامية للاستثمار أرباحا في حدود ١٠٪ إلى ١٢٪ وارتفعت بالنسبة لبعض المضاربات إلى أكثر من ٢٠٪ .

وبدأت تجربة مماثلة في باكستان على مستوى الدولة . فقد صارت جميع البنوك في باكستان تقدم خدمات إيداع واستثمار على هدي من الشريعة الإسلامية من أول يناير ١٩٨١ م . هذا وقد بلغت جملة الودائع في الستة أشهر الأولى ــ حسب التقرير الرسمي ٢ مليون روبية من مجموع ٥٥ مليون روبية ــ أي بنسبة تبلغ ٥ر٤٪ من مجموع الودائع ــ وهي نسبة كبيرة إذا اعتبرنا أن تاريخ ميلاد باكستان يرجع إلى سنة ١٩٤٧ والتجربة الإسلامية الوليدة عمرها ٦ أشهر فقط . هذا وقد تراوحت نسبة الأرباح الموزعة بين ٥ر٨٪ و ٢٥ر١٥٪ حسب تفاوت عمر الودائع .

**التجربة تدخل مرحلة الثبات :ــ**

وقد بدأت التجربة في غرس جذور قوية في البلاد التي قامت فيها تمثل في توسعها الجغرافي وانتشارها النوعي والعالمي وأخذت تجتذب اهتمام البنوك المنافسة والمؤسسات العالمية الأكاديمية .

**التوسع الجغرافي :ــ**

من مظاهر ثبات تجربة البنوك والشركات الإسلامية دخولها مرحلة التوسع الجغرافي في البلد الواحد مما يوحي بتعديها لمرحلة الطفولة الى مرحلة أكثر نضجا . وقد صار لبنك فيصل الإسلامي السوداني ٨ فروع ، ولبنك فيصل الاسلامي المصري ٤ فروع ، وللشركة الاسلامية للاستثمار أعضاء مشتركون منتشرون في حوالي ١٢ قطر ( وكان ممكن ان يكون انتشار الاكتتاب في الشركة الإسلامية أكثر من هذا بكثير لولا قوانين النقد الاجنبي التي تحرم عددا كبير من البلدان الأخرى من الاشتراك والمساهمة ) . هذا الاقبال له دلالة كبيرة جدا هو أن الشعوب الاسلامية في الواقع يمكن استنهاضها واستنفارها اسلاميا . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ولكن ما سقناه عاليه من أدلة مادية يثبت هذا . وفي هذا رد كاف على النظريين غير الاسلاميين الذين يظنون أن الاستنهاض والاستنفار قد لا يتم الا عن طريق مادي .

### الانتشار النوعي :

ومن مظاهر تجربة البنوك والشركات الإسلامية الدالة على نموها واستمرارها .. الانتشار النوعي لهذه المؤسسات . فقد بدأت تنشأ بنوك اسلامية أخرى في البلد الواحد . وقد تم التصديق بقيام أربعة بنوك

اسلامية في السودان سيبدأ اثنان منها العمل بإذن الله خلال عام ١٩٨٢ . ونشأ بنك اسلامي آخر في مصر بجانب بنكي فيصل وناصر الاجتماعي وهو بنك مصر الدولي للاستثمار والتنمية وقد بدأ عمله فعلا وأسس عدة شركات . وبدأت باكستان .برنامجا شاملا لتحويل الاقتصاد إلى اقتصاد اسلامي . كما التزمت حكومة ماليزيا بانشأ بنك اسلامي وبدأت الخطوات التمهيدية لانشاء هذا البنك . وقررت حكومة السودان رسميا تحويل بنوكها المتخصصة الثلاث الزراعي والصناعي والعقاري الى التعامل الغير ربوي وقررت مؤخرا انشاء بنك اسلامي مملوك لبنوك الدولة التجارية وقيام بنك تعاوني على النمط الاسلامي . وقررت منظمة المؤتمر الاسلامي العالمي — وهي منظمة اسلامية تضم كل الدول الاسلامية — تبني فكرة انشاء البنوك الاسلامية . هذا وقد اتخذت هذه المنظمة — في مؤتمر وزراء المالية الذي عقد بالخرطوم في مارس ١٩٨١ — قرارات لتشجيع وتنظيم البنوك الاسلامية .

### انتشار على المستوى العالمي :—

ولعل أهم مؤشرات ثبات التجربة هو النقلة الكمية الكبيرة التي اكتسبتها بقيام مؤسسة ضخمة ذات اتجاه عالمي هي :

« دار المال الاسلامي » في نهاية عام ١٩٨١ برأسمال أسمي قدره بليون دولار دفع منه ٣١٠ مليون دولار وقد قامت هذه المؤسسات كشركة قابضة يملك اسهمها عدة الوف من الافراد في عدد كبير من دول العالم الاسلامي وبدعم ادبي من كبار الشخصيات بينهم عدد من رؤساء الدول الاسلامية وقد شرعت فورا وفي وقت واحد في العمل في ١٨ بلداً . وسوف تنشىء وتؤسس بنوكا اسلامية وشركات تكافل ( تأمين ) وشركات استثمار أسلامي ومشاريع استثمار على الطريقة الاسلامية . ويتوقع أن يشهد عام ١٩٨٣ بداية عمل بعض تلك البنوك في غرب افريقيا والشرق الأوسط .

### اهتمام البنوك المنافسة بالفكرة :—

أثارت تجربة البنوك الإسلامية اهتمام المؤسسات المنافسة لها . وقد بدأ بنك مصر — وهو أكبر بنك في الشرق الأوسط بفتح فروع إسلامية وحاكته في ذلك بعض البنوك المصرية الأخرى .

وقد تعدى هذا الاهتمام البنوك العربية إلى البنوك الأجنبية المنافسة . وقد قام بنك سيتي

بانك — وهو من أكبر البنوك العالمية — وتبلغ موجوداته ١١٩ بليون دولار بعقد مؤتمر حضره مديرو فروعه في الشرق الأوسط وأفريقيا — في مارس ١٩٨١ م بمدينة البحرين — لدراسة هذه الظاهرة ووضع الأسس اللازمة للتعاون معها . وبدأت بعض المؤسسات الاقتصادية والأكاديمية في ألمانيا وسويسرا ندوات لتقييم فكرة البنوك الإسلامية .

خلاصة هذا الاستعراض التاريخي هو أنه نشأت خلال فترة تقل عن خمسة سنوات مجموعة من البنوك والمؤسسات المالية الإسلامية تقدر أصولها بحوالي ثلاثة بلايين دولار وانتشرت في عدة بلدان إسلامية وتوسعا جغرافيا وتعددت في البلد الواحد . ثم انتشرت عالميا انتشارا سريعا يعد طفرة كبيرة .. واستقطبت عشرات الألوف من المساهمين .. والمودعين والمتعاملين .. وبدأت تستأثر باهتمام عالمي من المؤسسات ذات العلاقة المالية والأكاديمية .

**ويمكن القول بناء على ذلك بأن تجربة البنوك والمؤسسات الإسلامية قد غرست جذوراً قوية مكنتها من النمو والانتشار . وبهذا تعتبر التجربة قد دخلت مرحلة الثبات .**

وقد ساعد وصول التجربة إلى هذه المرحلة في هذا الوقت القصير نجاحها الباهر كمؤسسات اقتصادية في اجتذاب مساهمات وودائع المسلمين .. ثم تقديمها ، من خلال صيغ إسلامية للتمويل ، إلى المستثمرين . والحصول من وراء ذلك على أرباح جيدة للمساهمين والمودعين والمستثمرين .

وقد شجع هذا النجاح الواضح البنوك الإسلامية على ولوج باب الخدمات الاستثمارية الأكثر مخاطرة : مثل الزراعة والتعامل مع صغار الحرفيين ، الاستثمار طويل الأجل كمشاريع الإسكان والمشاريع الصناعية الكبرى ، رغم أن عمرها لا يتجاوز بضع سنوات ورغم أن أصولها وودائعها لا تكاد تذكر بالمقارنة مع البنوك الربوية التي تملك رصيدا من الخبرة تطور عبر أربعة قرون وتملك آلاف البلايين من الودائع .

وقد بدأت البنوك الإسلامية والمؤسسات ولوج هذه المجالات بدرجات متفاوته متأثرة في ذلك بحجم مواردها وبالبيئة التي تعمل فيها . فيما يأتي نورد بعض الأمثلة :—

١ — بدأ بنك فيصل الإسلامي السوداني تجارب محدودة في التمويل الزراعي وبدأ تمويل الحرفيين على مدى زمني متوسط ( ٣ سنوات ) .

٢ — يقوم بنك ناصر الاجتماعي أيضا بتمويل صغار الحرفيين « في حدود قروض تمتد من ثلاثة إلى أربعة سنوات » .

٣ ـــ بدأ بنك فيصل الاسلامي المصري مشاريع اسكان وقد أغراه النشاط العقاري في مصر ، كما بدأ يمول الزراعة سريعة العائد مثل الدواجن . وسيبدأ بنك فيصل الاسلامي خلال عام ١٩٨٣ عددا من مشاريع الاسكان .

٤ ـــ طورت الشركة الإسلامية في جنيف ـــ شركة المصرف الدولي ( IBS ) في لوكسمبرج ـــ بصورة ممتازة ـــ الاستثمار في السيولة سريعة العائد .

٥ ـــ دخلت دار المال الإسلامي في مجال تمويل المشاريع الزراعية طويلة الامد في السودان .

٦ ـــ بدأ بنك التنمية الإسلامي بجده ـــ وهو بنك الحكومات ويقوم اساسا بتمويل البنية الاساسية ـــ تمويل عمليات متوسطة وطويلة المدى ـــ مثل تمويل شراء سفن وعربات سكة حديد واقامة مدن سكنية في حدود متوسط امتداد زمني بين أربعة الى سبعة سنوات .

٧ ـــ يمول بنك ناصر ايضا قروض الطلاب وصغار الموظفين الاستهلاكية في حدود ٨٠ مليون جنيه على نظام القرض الحسن .

**خلاصة التقييم :ـــ**

اذن فرغم حداثة تكوين المصارف والشركات الإسلامية واعتمادها على مواردها الخاصة وعملها في بيئة غير مساعدة فقد بدأت في الالتفات الى العمل الاجتماعي الانساني لرسالتها والمتمثل في تمويل التنمية . وقد كانت البنوك الإسلامية تعي هذا الامر وهو نصب عينيها دائما ولكن كان الهدف الأول والملح هو اثبات نجاح الصيغة الإسلامية عن طريق التركيز أولا على العمليات قصيرة المدى وقليلة المخاطر . ويجب الا يغيب عن ذهننا لحظة واحدة حداثة تجربة المصارف الإسلامية والنجاح الكبير الذي تم تحقيقه في فترة زمنية وجيزة وعندما نقول أن البنوك الإسلامية لم تدخل مجال التمويل طويل الاجل الا حديثا فهذا لا يشكك في قدرتها على النجاح في ولوج هذا المجال الصعب فمن خلال الصيغ الحاضرة للمشاركة والمرابحة والمضاربة وبيع التقسيط يمكن في اعتقادنا الدخول في مشاريع متوسط وطويلة العائد . وعندما تتعامل البنوك الإسلامية في هذه المجالات فالمشاكل التي يتوقع أن تقابلها لن تكون بالتأكيد هي قصور الصيغ الإسلامية بل ستكون هي المشاكل المتعلقة بالبيئة الاقتصادية والادارية كمشاكل نقص الكوادر الادارية ونقص المعلومات .

**العوامل التي ساعدت على نجاح التجربة :ـــ**

سنعرض الآن العوامل التي ساعدت على نجاح تجربة البنوك الإسلامية .

## الاقبال والمساندة الجماهيرية :ـــ

ان السرعة التي نمت بها التجربة وترعرعت وانتشرت ما كانت لتتم لولا الحماس الهائل الذي استقبلت به التجربة من سواد الشعوب المسلمة في البلاد التي بدأت فيها التجربة وقد تمثل هذا الاقبال وتلك المساندة في الاستجابة عند طرح الاسهم .. وفي ايداع المدخرات رغم مخاطر التجربة واحتمالات الخسارة . والاقبال على التعامل مع تلك البنوك .. وأيضا رغم احتمالات الخسارة وعلى الرغم من عدم وضوح الرؤيا .. ووجود الصعوبات الادارية والقانونية المختلفة .. وعدم تفهم الصيغ التي طرحتها تلك المؤسسات للتعامل .. ورغم مخاطر المشاركة في الاسرار التجارية .. والمالية التي كان البعض يظنها ستكون عاملا أساسيا في الحيلولة بين فئة رجال الاعمال وبين التعامل مع البنوك الإسلامية .

فماذا تعني هذه الظاهرة ؟

ان المعنى الظاهر هو أن العقيدة أو الروح الإسلامية الكامنة في الشعوب الإسلامية قابلة ـــ اذا ما حركت لأهداف نبيلة وبوسائل شرعية ـــ لتحقيق منجزات كبيرة في مختلف المجالات .. وليس فقط في مجال ازكاء الحماس السياسي أو الجماهيري .

وعلى الذين يبحثون في ايجاد استراتيجيات للتنمية للشعوب الإسلامية ان يضعوا هذه الحقيقة الاجتماعية الهامة نصب أعينهم وهم يقترحون النماذج الفنية للتنمية . فاذا لم تصادف هذه النماذج هوى في نفوس الشعوب ولم تتجاوب معها فذلك لانها ولدت منذ البداية غريبة عن روح الشعوب الإسلامية عجزت بالتالي عن التفاعل لخلق « الارادة » المطلوبة لتحقيق التطور أو التنمية .

وعلى الاقتصاديين الإسلاميين ـــ وهم يؤطرون للفكر الاقتصادي الإسلامي ان يضعوه في منظورة الصحيح من الفكر الاجتماعي ـــ الثقافي ـــ العقائدي الإسلامي .

## البديل العملي والاقتصادي للربا :ـــ

الى جانب الدعم الخلقي والعاطفي الذي وفره الشعور الإسلامي لنجاح التجربة فان نجاحها اقتصاديا وتجاريا كان سببا ظاهرا لتوسعها وانتشارها ـــ ولو صادفها الفشل ـــ لا قدر الله ـــ في بداية عملها ـــ لما شفعت لها أي كمية من المشاعر أو النوايا الحسنة في الاستمرار .

وقد نجحت التجربة لانها استطاعت ان تقدم من خلال عدة صيغ استثمارية اسلامية لا تشوبها شائبة الربا تمويلا ناجحا للاطراف الثلاثة في المعادلة : المودع /المساهم ـــ المستثمر ـــ المجتمع واهم هذه الصيغ هي :ـــ

١ ـــ صيغة المشاركة .. التقليدية .. وصيغة المشاركة المتناقضة التي استعملتها بنوك اسلامية لتمويل مشاركات متوسطة وطويلة الأجل .

٢ ـــ صيغة بيع المرابحة للآمر بالشراء .

٣ ـــ صيغة البيع لآجل .

٤ ـــ صيغة المضاربة بنوعيها المطلق والمقيدة .

٥ ـــ صيغة التمويل بالقرض الحسن .

٦ ـــ صيغة الايجار .

٧ ـــ صيغة الايجار والاقتناء .

الصيغتان الاخيرتان طورتهما بصفة اساسية الشركة الإسلامية للاستثمار ودار المال الإسلامي وهناك صيغ يجري تطويرها الآن لاستيعاب الدخول في مجالات الزراعة والصناعة والخدمات . وهي صيغ المزارعة والاستصناع وبيع السلم .

وقد استخدمت أيضا صيغ شرعية لاستيعاب عدد كبير من الخدمات المصرفية العادية ( غير التمويل ) منها الحوالة والكفالة والوديعة والقرض الحسن .. فامكن تقديم خدمة مصرفية كافية تشمل التمويل والخدمات .

وعلى هذا يمكن القول بان تجربة انشاء بنوك اسلامية قد نجحت في تقديم نظام بديل وعملي وناجح للعمل المصرفي على أسس اسلامية في وقت وجيز ورغم العقبات المتمثلة في وجود بيئة فكرية اقتصادية وقانونية وادارية مخالفة للاوضاع الإسلامية ، وقد تم تحقيق هذا الانجاز لثلاثة أسباب :

أولهما : الحماس والارادة المتوفرة على مختلف المستويات الشعبية والرسمية لابراز الفكرة الى حيز الوجود .

وثانيهما : وجود الارضية الفكرية الاساسية المتمثلة في الأدب ـــ الشرعي في فقه البيوع والمعاملات .. والذي استطاع ـــ رغم فارق الزمن الهائل ـــ ان يسعف التجربة بالأسس الشرعية اللازمة لبداية العمل .. مما يثبت صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ..

وثالثهما : اصدار بعض القوانين والاعفاءات ومنح بعض الاعفاءات والاستثناءات لتمكين التجربة من العمل من خلال الأوضاع القائمة .

وقد سبق التحدث تفصيلا عن السبب الأول ويجدر أن نتوقف قليلا عند السببين الثاني والثالث .

### تجربة البنوك .. والبعث الفكري :

لقد الزمت هذه المؤسسات الإسلامية نفسها طوعا واختيارا بنظام الاستشارة الشرعية . وهناك هيئة شرعية تذكر وتلزم دائما بالحدود الإسلامية والبنوك الإسلامية الآن في مرحلة « تأصيل » أي استخراج النمط الشرعي وتطبيقه على الواقع أو عرض الواقع عليه . وهي مرحلة تقليدية ذات نهج تقليدي في مراحل الاحتكاك بين النظرية

والواقع . ولا ندعي الآن ظهور أفكار جديدة وهذا شيء طبيعي ولكن نتوقع في خلال السنوات القادمة ظهور نتائج مثبتة على الاحتكاك الواقعي ولا يعني هذا عدم وجود اجتهادات ولكنها في انتظار الاحتكاك الواقعي كي يعجم عودها .

وقد كانت نتيجة هذا البعث الفكري الذي حركته التجربة العملية انتشار فكرة المعاملات الإسلامية حتى بين غير الإسلاميين وقد كانت إلى عهد قريب تعبيرات مثل « المشاركة » و « المضاربة » ، « المرابحة » والكفالة والحوالة ، مجهولة ولا يعرفها إلا القلة المتخصصه التي أنعم الله عليها بهذا العلم أما الآن فقد أصبحت هذه التعبيرات نار على علم حتى بين العامة . وفي المؤتمرات التي أتيحت لي فرصة حضورها أصبح الغربيون يتكلمون عن هذه المفاهيم كما يتكلم عنها الرجل العادي في الشارع وفي البنك .

وقد كان من نتائج هذا البعث الفكري أيضا تشجيع الاجتهاد . فمن خلال حركة البنوك الإسلامية بدأت في الأفق بوادر نهضة فكرية بدأت بالتأصيل — كما قلنا — ثم بدأت تظهر بعد ذلك بعض الاجتهادات الفكرية . ومصدر هذه الاجتهادات هو أن التجربة « العملية » بدأت تلفت النظر — ومن خلال الممارسة أو المقارنة إلى أن الفكر الإسلامي يملك مقومات حلول أصيلة لبعض المشكلات الاقتصادية القائمة . كمشكلات محاربة التضخم الاقتصادي .. وإيجاد استراتيجيات مختلفة للتنمية .. وسنعرض في وقت لاحق لبعض هذه الظواهر الفكرية .

وفي تقديري أن المرحلة القادمة ستشهد نشاطا فكريا يكون محور « الحلول الجديدة » التي كشفتها التجربة الإسلامية .. وحين تتضح معالم كافية « للحل الإسلامي للمعنى الاقتصادية في عالم الواقع « يتوقع المرء أن تظهر بعد ذلك اجتهادات » أصولية شاملة يصح أن يطلق عليها تعبير « نظرية » .

**تجربة البنوك الإسلامية والامتيازات :**

يعتقد الكثيرون أن نجاح تجربة البنوك الإسلامية في تحقيق مستويات عالية من الربحية يعود إلى تمتعها بإعفاءات وامتيازات خاصة .

وهذا اعتقاد لا تسنده الوقائع . فبالنسبة للبنوك الإسلامية في منطقة الخليج فإن أمر الاعفاءات أو الامتيازات غير وارد لأنه لا توجد ضرائب بالمستويات المعروفة في بلاد كمصر والسودان والتي تعتمد في دخولها الحكومة إلى حد كبير على تحصيل ضرائب مباشرة وغير مباشرة ولا يتمتع البنك الأردني بإعفاءات خاصة .. وكذلك الحال بالطبع مع المؤسسات الإسلامية الدولية التي نشأت في أوربا .

وقد أعطت جمهورية السودان الديمقراطية البنك الإسلامي الأول الذي أرسى فيها ( بنك فيصل الإسلامي السوداني ) اعفاءات من ضريبة أرباح الأعمال ٦٠٪ من صافي الدخل بعد المصروفات( ٢ ) ومن ضريبة الدخل الشخصي على موظفيه وهي تصل إلى أكثر من ٢٠٪ من جملة دخل الموظف . وقد كان مبرر منح هذه الامتيازات — ولا يزال — هو مواجهة البنك لاحتمالات الخسارة والربح في عملياته وتحمله لعبء إداري أكبر من الموظفين لدراسة العلميات ومتابعة التنفيذ .

ولقد أثبتت تجربة بنك فيصل الإسلامي السوداني أن البنك استطاع أن يعول الدولة والمجتمع من « فاقد الضريبة » — إذا صح تسميته كذلك — أضعافا مضاعفة من عدة نواح . وتقدر احصائية وزعها البنك للمسئولين في الدولة على أن مجمل ما كان يتعين على البنك دفعه من ضرائب خلال السنوات الثلاثة الماضية ( ١٩٧٨ — ١٩٨١ ) هو حوالي ٦ مليون جنيه سوداني بينما جملة ما دخل إلى خزينة الدولة من عائد الجمارك عن عملياته ( والتي يقوم البنك

بدفعها مباشرة إلى خزينة الدولة نيابة عن شركائه .. متفاديا بذلك أي شبهة للتهرب أو سعى لتخفيض حجم تقدير العوائد المفروضه ) حوالي ٣٠ مليون جنيه سوداني .

ويقدر البنك ما دفعه المتعاملون معه من ضرائب أرباح أعمال إلى الدولة يجب ألا يقل عن ٦ مليون جنيه في نفس تلك الفترة .. فإذا عرفنا أن فئة المتعاملين مع البنك تعتبر في واقع الأمر إضافة جديدة للدورة الاقتصادية(٣) لصح القول بأن هذه الإضافة الجديدة لحصيلة الضريبة هي فعلا لم تكن لتأتي — في معظمها — ما لم يكن بنك فيصل قد أنشئ .

وتوضح نفس الاحصائية أن ما تنازل البنك عن تحصيله من أرباح لأسباب غير اقتصادية قد بلغ بالنسبة لسلعتين **فقط هما** الذره ( (.وهي تمثل في السودان القوت الشعبي ) والأدوية قد بلغ ٥ مليون جنيه ويعزي البنك ذلك بأهداف اجتماعية نابعة من التزامه الإسلامي .

ففي الحالة الأولى أوقف البنك فعلا في ديسمبر ١٩٨٠ تمويله لعمليات المتاجرة المحلية في الذره عندما لاحت بادرة ضيق في كميات الذره .. وذلك حتى لا يساعد على تخزينه الذرة بأيدي التجار .. وقدر البنك « خسارته » في هذه العملية ( منع المتاجرة بأقوات المسلمين ) بثلاثة مليون جنيه .

وقد قام البنك بتمويل إستيراد الأدوية بناء على طلب من الدولة لوزارة الصحة وللقطاع الخاص في عام ٨٢ بحوالي ١٢ مليون دولارا .. وتقاضى عن ذلك ربحا متوسطة ٧٪ .. بينما كان يمكن للبنك ان يستغل نفس هذا المبلغ لتمويلات اخرى تدر عليه

اضعاف ما عاد عليه من ارباح في عمليات استيراد الادوية .

ولكن الحقيقة الرئيسية التي يجب التركيز عليها في هذا الصدد هو ان تحقيق البنك لعائد عال من الأرباح على عمليات محددة يعود في المقام الاول الى طبيعة عمله كبنك متاجر يتعين عليه تدوير موارده بكفاءة وسرعة لتحقيق اعلى معدل من الأرباح وقد ثبت ان معدل الربحيه العادي لعمليات البنك خلال الأعوام الماضية هو ١٠٪ بينما ـــ الربح المتحقق ( العائد على جملة الموارد ) فعلا هو تراوح بين ٢٨٪ الى ٤٠٪ أي ان البنك استطاع ان يدور موارده ثلاثة مرات خلال العام الواحد .

ولعل هذه هي أولى النواحي التي يفوق فيها « البنك الإسلامي » على البنك الربوي كأداة تمويلية تستطيع من اجتذاب معدل أكبر من الودائع وقد دلت تجربة بنك فيصل الإسلامي السوداني على أن معدل زيادة ودائع البنك هو ضعف معدل زيادة ودائع بقية الجهاز المصرفي .

ولعله من الجدير بالذكر أن أمكانية بنك فيصل الإسلامي السوداني لتحقيق عائد استثماري لمودعيه بلغ في المتوسط ضعف العائد الذي توزعه البنوك التجارية في السودان ( ٤ ) وهذا لا يعتمد على تمتعه باعفاءات .

ضرائبيه لأن توزيع أرباح ودائع الاستثمار يتم قبل دفع الضريبة فنجاح البنك إذن كأداة فعالة لاجتذاب الودائع ليس له صلة بكونه معفى من الضرائب .

**آفاق جديدة تكشف عنها التجربة :**

تحدثنا حتى الآن عن تجربة البنوك الإسلامية باعتبارها نموذج إقتصادي جديد أثبت فعالية ونجاحا ، وأخذ ينتشر في هذا الاطار . وبمقياس النجاح التسويقي للسلع أو الخدمات الجديدة يمكن للتجربة أن تتوقف عند هذا الحد ... وتشرع في استثمار أرباحها .. وتوسيع قاعدتها مثلها مثل أي سلعة أو ميكانزم جديد للتعامل .

ولكن الممارسة العملية لتجربة البنوك الإسلامية ـــ كما كشفت عنها تجربة بنك فيصل الإسلامي ـــ بدأت تلفت النظر بشدة الى « ميزات جديدة تتمتع بها التجربة سواء باعتباها » « ميكانزم » للعمل أو باعتبارها « دالة » على أفكار اقتصادية ذات محتوى معين هو المحتوى الإسلامي .

وتبشر الممارسة بأن تطوير هذه « الميزات » في اطار فكري وعملي موحد قد تفتح آفاقا لأمكانيات حلول فكرية وعملية لبعض أهم المشكلات الأقتصادية الحالية ( والتي أفرزها عجز النموذجين الليبرالي ـــ الرأسمالي والأشتراكي ) .

وسنتعرض فيما يلي بإيجاز ما كشفت عنه التجربة في مختلف المجالات .

**في مجال السياسة التمويلية :**

الزم بنك فيصل الإسلامي نفسه بأن تكون نسبة الأرباح التي يقتطعها لنفسه — بالأتفاق المسبق طبعا — من حصص الربح العام المتحقق عن مشاركاته في حدود الأرباح القانونية التي تحدها الدولة ( يطبق السودان نظام الأرباح القانونية للسلع ) — والتوسع في تطبيق هذا المبدأ ـوالمنطلق من التزام أجتماعي — بمعنى تطبيقه كنظام لكل الجهاز المصرفي سيؤدي في تقديرنا الى نتائج هامة جدا نوجزها فيما يلي :—

١ — التزام أفضل بتطبيق الأسعار القانونية التي قد ترى الدولة ضرورة تطبيقها وذلك لأن أي عميل أو شريك سيجد نفسه مضطرا للالتزام بشروط التمويل المقدم من البنك الذي يتعامل معه — ومنها الألتزام بالبيع في حدود الأسعار القانونية والا فأنه سيفقد تمويله اذا ثبت تلاعبه .. ولن يجد فرص للتعامل مع أي بنك آخر . والرادع المتمثل في أحتمال فقدان التمويل هو أقوى بكثير من أي رادع قانوني — أقتصادي آخر مستعمل الآن . لأنه يعني أنقطاع الحبل السري بين المستثمر أو رجل الأعمال وبين الجهاز التمويلي للمجتمع .

ولعل الدارسين لأقتصاديات البلاد الغربية التي فشلت محاولاتها مرارا لمعالجة التضخم بفرض سياسات تجميد الأجور مقابل تجميد الأسعار statutary income & prices policy يجدون في أسلوب المشاركة حلا لهذه المشكلة الهامة وتتضح أهمية هذا الأمر بمقارنة معدلات زيادات الأسعار ( والأرباح ) في البلاد الغربية — وهو يتراوح بين ٣٪ و ١٠٪ وبين ما يجري في العديد من بلادنا الإسلامية والعربية اليوم حيث تقاس الزيادة في الأسعار ( بفعل المغالاة في فرض الأرباح الى حد كبير ) بما لا يقل عن ٣٠٪ . ويرتفع الى ١٢٠٪ في بعض البلاد .

٢ — ويؤدي نظام تمويل البنوك الإسلامية سواء عن طريق المشاركة أو المضاربة الى أن تتمكن الدولة بصورة أكثر فعالية من توجيه التمويل المصرفي للمناشط التي ترى أهميتها أكثر من غيرها . ويرجع ذلك الى أن البنك الإسلامي أقدر على توجيه تمويله الى المنشط المطلوب أكثر من البنك الربوي الذي يعطي العميل تسهيلا بالسحب على المكشوف ولا يستطيع أن يتحكم في الوجه التي يوجه اليها العميل تسهيلاته بينما يستطيع البنك الإسلامي ذلك بصورة دقيقة لأنه يدخل معه مشاركة في عملية محددة ومعينة أو يرفض الدخول اذا رغب منذ البداية . وفي البلاد التي تعطي أهمية — عملية أو فكرية — لتوجيه أقتصادها أو قطاعات معينة منه — فأن نظام المشاركة عن طريق الجهاز المصرفي هو وسيلة فعالة للمساعدة في هذا الأتجاه .

٣ — لقد أوضحت لنا الممارسة العملية أن صيغ التمويل الإسلامي أكثر كفاءة وفعالية وعملية لتحقيق هدف تدوير موارد البنك بين

القطاعات ذات ـــ الربحية العالية والأخرى ضئيلة الربحية .

فهوامش الربحية التي يتقاضاها البنك على عمليات المرابحة للآمر بالشراء تبدأ من ٢٥٪ بالنسبة لسلع كسلعة السكر ( حيث أن هامش ربحيتها القانوني لا يتحمل أكثر من ذلك ) الى مستوى ٢٪ و ٣٪ على بعض السلع التموينية الأساسية الأخرى التي يمولها البنك للجمعيات التعاونية .. ويرتفع تدريجها الى ٥٪ على تمويل البترول للمؤسسة العامة للبترول .. ثم الى ٧٪ لسلعة الدواء .. ويتراوح بين ٣٪ الى ٨٪ لمختلف السلع في عمليات التجارة المحلية .. ويرتفع بعد ذلك الى ١٥٪ على بعض السلع التي تبلغ هوامش ربحيتها القانونية ٤٠٪ الى ٦٠٪ ويعني هذا عموما أن البنك يكتفي بربح المورد .. وقد يشارك احيانا في ربح تاجر الجملة ( ٥ ) وفي كل الاحوال فهي تشكل ٢٥ الى ٧٥ ـــ الأرباح القانونية المسموح بها قانونيا .

وبالنسبة لعمليات المشاركة فان الربح يختلف بالطبع حسب اداء كل شراكه .. وقد يتراوح اداء مصنع معين بين سنة وأخرى بحيث يختلف العائد على استثمار البنك من تمويله لهذا المصنع بين ٨٪ الى ٢١٪ عاكسا بذلك الظروف الطبيعية للأنتاج في كل حالة .

## نجاح مادي واضح :

بالرغم من أنه لم يمض على تأسيس هذه المنشآت الإسلامية مدة طويلة إلا أن استعراضنا للمعلومات المتوفرة حول موقفها المالي يخرج بنتائج ذات دلالة واضحة كما يدل الجدول الآتي :ـــ

### بيت التمويل الكويتي ( الأرقام بالدينار الكويتي )

| العام | الأصول | الأرباح المحققة | الأرباح الموزعة على المساهمين | نسبة الأرباح الموزعة الى رأس المال |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٧٩ | ٧٥٫٢٦٠٫٠٧٠ | ٣٫٤٧٩٫٧٥٢ | ٢٤٦٫٠٩٦ | ١٠٪ |
| ١٩٨٠ | ١٦٨٫٤٤٨٫٣٩٨ | ٩٫٦٨٣٫٠٦٦ | ٢٧٦٫٨٥٨ | ١١٫٢٥٪ |
| ١٩٨١ | ٣٥١٫١٣٤٫٠٥٨ | ٢٥٫٠٤٥٫٢٤٦ | ٣٦٩٫١٤٤ | ١٥٪ |

### بنك فيصل الإسلامي المصري ( الأرقام بالدولار الامريكي )

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٧٩ | ٣٨ر٧٣٥ر٩٨٥ | ١ر٣٦٧ر٠٠٥ | ٨٠٦ر٣٠٢ | ٨٪ |
| ١٩٨٠ | ٣٩٧ر١٥٥ر٦٣١ | ٩ر٨١٥ر٥٤٣ | ٢ر٦٨٦ر٨٦٣ | ١٤ر٢٪ |
| ١٩٨١ | ٥٨٨ر٨٧٨ر١٢٨ | ٣٢ر٣٧١ر٩٣٦ | ٢ر٨٣٣ر٠١١ | ١٤ر٣٪ |

### بنك دبي الإسلامي ( الأرقام بدرهم الإمارات )

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٧٩ | ٢٣٩ر٨٥٠ر١١٤ | ٥ر٩٨١ر١٣١ | - | - |
| ١٩٨٠ | ٢٧٨ر٣٤٩ر٤٧٨ | ١٠ر٧٥٧ر٩٦٩ | ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ | ٧٪ |
| ١٩٨١ | ٤١٣ر٩٠٥ر٨٢٢ | ١٦ر٣١٣ر٤٩٣ | ٤ر٠٠٠ر٠٠٠ | ٨٪ |

### بنك فيصل الإسلامي السوداني ( الأرقام بالجنيه السوداني )

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٧٩ | ٣١ر١٣٦ر٨٥١ | ١ر٠٥٢ر٥٣٣ | ٤٩٩ر١٦١ | ١٥٪ |
| ١٩٨٠ | ٦٧ر٣٥٢ر٠٤١ | ٢ر٥٨٧ر٦٨١ | ٨٩٣ر١٥٢ | ٢٠٪ |
| ١٩٨١ | ١٣٨ر٣٥٩ر٨٩٣ | ١٠ر٢٨٧ر٩٧٠ | ٢ر٥٥٣ر٠٠١ | ٢٥٪ |

لا توجد لدينا معلومات عن البنك الإسلامي الأردني . توجد معلومات لعام واحد عن بنك البحرين الإسلامي .

ويدل هذا المدى الواسع من هوامش الأرباح والذي يعكس تداخل عوامل أجتماعية وسياسية وأقتصادية على مرونة التمويل الإسلامي . أولا — ويدل ثانيا على أن هذا النوع من التمويل أكثر عدالة في معاملة كل قطاع أو فئة أو سلعة من الناحية الأقتصادية . فهو بهذا يقدم طريقة فعالة لتنوير الموارد بين القطاعات ذات الربحية العالية والأخرى التي لا تتحمل ربحية عالية محققا أهداف أجتماعية عليا وضرورية للتوازن الأجتماعي .

ورب قائل أن ثمة أمكانية أمر مماثل عن طريق تحديد أسعار فائدة مميزة لتمويل قطاعات أو فئات أجتماعية معينة .. ولكننا نزعم أن درجة المرونة والخصوصية SPECIFITY التي تميز التمويل الإسلامي والذي يستطيع أن يحدد لكل عملية على حدة فئاتها المعينة من الأرباح هو أقدر على

تحقيق هذا الهدف . ونضيف أن التمويل الإسلامي يستطيع إضافة لهذا أن يوضح الأداء الحقيقي — متمثلا في معيار الربح بالنسبة لكل عميل أو فئة أو قطاع على حده — فيكشف مباشرة عمن يستحق التمويل ويستطيع استغلاله بكفاءة لصالحه وصالح المجتمع . وعمن يفشل في ذلك . ولكن سعر الفائدة يخفي هذه الحقيقة ( لأن الخسارة تتراكم على الطرف الثاني ) حتى يعجز فينهار بالتفليس أو غيره فيخسر المجتمع موارد كان أحق أن تحول في الوقت المناسب لمن يستطيع استغلالها بصورة أحسن نيابة عن المجتمع .

٤ — وكشفت لنا الممارسة العملية أن المجتمع التجاري يمكن أن — يستجيب لقبول تكلفة أعلى للتمويل في السلع والقطاعات التي تسمح هوامش ربحيتها بذلك طالما كانت هذه التكلفة في حدود المعقول . وهذا يعني أن الصيغة الإسلامية هي أيضا « ميكانزم » جيد لتطبيق نظرية العقد الأجتماعي تطبيقا عمليا .

٥ — ان الصيغة الإسلامية للتمويل هي التي يمكن ان تحقق ربحا أعلى لأصحاب الودائع في المجتمع ( فتساعد بذلك على تجميع المدخرات وتحقيق التراكم الرأسمالي المساعد للتنمية ) لأنها تقوم على مبدأ المتاجرة — سرعة وكفاءة تدوير الموارد — ومشاركة المودع في أي نسبة ربح متحققه مستحقة له . .

ويقابل ذلك الصيغة الربوية التي تعاني من تناقض خطير .. فإن هي ارادت إغراء المودعين برفع نسبة الفائدة أحجم المستثمرون وعم الركود وأنتشرت العطالة . وأن خفضت سعر الفائدة لتشجع المستثمرين ، احجم المودعون وانحرفوا لقطاعات الربحية السريعة ( سوق الأوراق المالية ) التي لا تضيف شيئا حقيقيا لانتاج المجتمع . .

ويشوب الصيغة الربوية أيضا عيب أساسي لا يشعر به المودعون . فهم محرومون من تلقي نصيبهم الحقيقي من الأرباح العائدة على ودائعهم فعدم وجود علاقة تعاقدية بينهم وبين البنك ( كصيغة المضاربة ورب المال التي تحكم علاقة المودع بالبنك الإسلامي ) تعطي البنوك الربوية سلطة وحق تحديد النصيب الذي يتلقاه المودعون في عائد أرباح البنك لقرار أداري لا يعكس بالضرورة الأرباح الحقيقية التي كان يجب أن يتقاضاها المودعون . .

### في مجال السياسة المالية

السياسات المالية تستخدمها الدول الآن للتحكم في حركة السوق والأسعار وغيرها عن طريق قرارات ووسائل ادارية .

وقد كشفت لنا الممارسة ان طريقة البنك الإسلامي في التمويل انسب لتطبيق او تنفيذ السياسة المالية للدولة .

فاذا ارادت الدولة التحكم مثلا في حجم الواردات كوسيلة لتحسين عجز ميزان المدفوعات لجأت — كما هو الحال في السودان — للسيطرة على ادخال السلع عن طريق اصدار التراخيص وحصص الأستيراد الخ . وبما ان البنك الإسلامي لا يستطيع الا المشاركة بتمويل شراء وبيع السلع فانه يجد نفسه عاجز تماما عن الحركة اذا توقفت الدولة عن اصدار تلك التراخيص . ولكن البنك الربوي يستطيع في نفس الوقت الاستمرار في التسليف . وبهذا يمكن ان يستغل ذوي النفوس الضعيفة للتسهيلات المصرفية لتمويل التهريب وللمضاربة في اسعار العملات الأجنبية في سوق العملات الحرة .

## في مجال السياسة النقدية :

ابرزت الممارسة ايضا ان صيغ التمويل الإسلامي وبالاخص صيغتي المشاركة والمضاربة ( أو القراض ) هي من أكثر الوسائل فاعلية لضبط حجم واتجاهات التمويل وبالتالي محاربة التضخم . فالتمويل الإسلامي في حالتي المشاركة والمضاربة لا يقدم للعميل حجم متاح من النقود يتصرف فيه كما يشاء .. ولكن يقدم كوسيلة لادخال سلع او خدمات معينة لشراكة نشأت بين البنك وشريكه . ويستطيع البنك ضبط عدة عوامل اساسية منها سعر البيع والشراء ونوع السلعة وتكلفة العمليات المختلفة .. عند مرحلة التعاقد .. ويستطيع متابعة التنفيذ بدقة اثناء سير الشراكة .. فيرفض مثلا مشتريات باعلى من التكلفة المتفق عليها . او اعتماد نفقات تزيد عن المعدل السائد — مالم يكن هناك مبرر معقول لذلك . ويستطيع ، في حدود معقولة ، ان يراقب التزام الشريك بالبيع وفق الأسعار المحددة للشراكة(٦) ويستطيع البنك ايضا متابعة سير التنفيذ حسب الجدول الزمني المتفق ليمنع حبس السلعة عن السوق ( أي احتكارها بصورة غير مشروعة ) مما يؤدي الى ارتفاع سعرها .

وهكذا فان ميكانيكية ادارة الشراكة ومتابعتها تعني ان البنك يملك السلطة والقدرة الفعلية على منع تمويله من أن يستغل في غير الوجهه المقصودة لها .. أو ان يستغل للمضاربة الضارة ( بمعنى SPECILATION ) لرفع الأسعار .. أو للتخزين وحبس السلع عن الدورة الأقتصادية لخلق ندرة اصطناعية تستغل ايضا لرفع الأسعار .. وهذه كلها عوامل مساعدة على التضخم . على أننا نبادر الى القول ان السبب الرئيسي للتضخم يكمن في اختلال وظيفة النقود وتحويلها من مجرد مخزن للقيمة ووحدة للقياس لمساعدة التبادل .. الى سلعة ذات قيمة .. يحق لها ان تكسب لمجرد حيازة المرء لها .. ومالم يتغير هذا المفهوم .. وتلغي وتحرم الوسائل التي تؤدي الى هذه الغاية كسعر الفائدة .. وقيام اسواق المتاجرة بالعملات الخ .. فان التضخم سيستمر في تهديد العملية

الأنتاجية كلها بالتوقف كما بدأ يظهر في العالم الغربي اليوم .

**في مجال التنمية**

كشفت التجربة العملية لبنك فيصل الإسلامي عن عدة ظواهر تؤدي في مجموعها الى حقيقة رئيسية وهي ان البنك الإسلامي هو الأنسب والأقدر على التنمية :

**( ١ ) تنطلق صيغة التمويل الإسلامي من قاعدة نظرية اساسية هي ان العمل أو الجهد البشري وحده هو الذي يستحق الجزاء المالي وان المال لا يستحق الكسب شرعا مالم يخالطه عمل حقيقي . .**

**إن التزام القائمين على أو البنوك الإسلامية بهذه النظرية يدفعهم الى التعامل مع قطاعات في المجتمع ( تمثل الغالبية العددية في الواقع ) ظلت محرومة من التمويل المصرفي الربوي تماما لعدم استيفائها لشروطه : وهي اساسا أن تكون ابتداءا مالكه لموارد واصول تضمن للبنك استعادة قروض . .**

وقد حقق بنك فيصل الإسلامي السوداني هذا المفهوم بصورة واضحة منذ البداية عندما جرب التعامل مع قطاع الحرفيين منذ العام الثاني لانشائه .. فصمم تمويلا ميسرا لهم يمكنهم بحد أدنى من الضمان ( في معظم الحالات يكون هو الضمان الشخصي من طرف ثالث أو ضمان تسجيل المعدات موضع التمويل لأسم البنك ) من الحصول على احتياجاتهم من المعدات — والماكينات والعربات واللواري وعربات الأجرة .. والمواد الخام بأقساط تمتد حتى ثلاث سنوات بمقدم دفع يبدأ من ١٥٪ من قيمة الأقساط .

وقد دلت التجربة العملية أن هذه القطاعات تمارس عملها وسداد — التزاماتها بمسئولية كاملة عكس ما كان يتوقع .. والسبب واضح جدا وهو أن هذه الفئات — وقد حرك فيها التمويل الإسلامي شعور العزة بكدحها وكفاحها أخذت تدرك ما يفرض هذا الشعور من مسئولية مقابلة .. انعكس أثرها في التزامها الممتاز بسداد التزاماتها المالية للبنك وبالتالي للمجتمع . .

وهكذا تظهر التجربة ان هذا الطرف من المجتمع ( كما سبق أن ظهرت استعداد طبقة رجال الأعمال على قبول تكلفة أعلى للتمويل الإسلامي ) مستعد أيضا « للتضحية » — في سبيل المجتمع .. وهذا هو الوجه الآخر للعقد الأجتماعي . لقد أبرز التمويل الإسلامي المغزى الرائع للحديث النبوي الشريف ( المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ) .

ومغزى هذا أن التمويل الإسلامي — القائم على أعلاء قيمة العمل يحرك فئات كانت راكدة ومحرومة في المجتمع .. فيمكنها من المساهمة والأضافة الحقيقية للمجتمع .. أو كما جرى العرف الأقتصادي الحديث .. على

القول فانه يستوعب INVOLVES قطاعات أساسية في عملية التنمية فيضعها في مسارها الصحيح وهو : التنمية من أجل الأنسان .

(٢.) وصيغة التمويل الإسلامي تجبر البنك على اعطاء أهمية أكبر لدراسة استثمارية ومتابعتها والمساعدة على حسن تنفيذها .. أي أنها تسخر امكانيات البنك الفنية لأتاحة عنصر الأدارة الحديثة لشركائه وقد دلت دراسات التنمية أن الأدارة هي أحدى العناصر الحرجة في عملية التنمية .

( ٣ ) ودلت التجربة أيضا على أن قيام البنوك الإسلامية يجذب فعلا الى الدورة الأقتصادية الحديثة أموالا وموارد كانت محبوسة عنها في أيدي المتورعين عن التعامل بالربا مع البنوك القائمة .. أو الذين يشككون في استغلال البنوك الربوية لأموالهم مقابل سعر فائدة بسيط لا يعكس قيمتها الأقتصادية فيضنون بها ويحبسونها في صور عقيمة من الأدخار والأكتناز لا يفيد المجتمع وقد سبقت الأشارة الى ان ودائع بنك فيصل الإسلامي السوداني زادت في نفس الوقت الذي زادت فيه ودائع البنوك السودانية زيادة كبيرة .. مما يعني أن الأضافة التي حققتها ودائع بنك فيصل الإسلامي — على محدودية انتشاره وقصر عمره — هي زيادة حقيقية حوالي ١٣٪ .

ويعني هذا ان البنوك الإسلامية أكثر قدرة على تجميع مدخرات الأنسان البسيط لانها تعده باستغلال احسن لها .

ومن الناحية الأخرى — ناحية المستثمر فان طريقة التمويل الإسلامي هي أكثر طمأنة له لأن المال المقدم له كله « رأسمال مخاطر » .

فهو يعرف أن البنك سيخسر معه اذا خسر المشروع ( وغالبا ما تكون خسارة البنك هي الأكبر ) ولهذا يقوم المستثمر على طرق مختلفة المجالات وفي هذا تشجيع واضح ايضا للأستثمار . والبنك الإسلامي غير مخير في قبول هذا المنحنى لأنه لا يكسب ولا يستمر بدون الاستثمار . ويبقى التحدي أمام البنك هو كيفية « تجويد » استثماراته ليحقق لمودعيه ومستثمريه ومؤسسيه أحسن عائد . فهو إذن بنك « ديناميكي » لا يكتفي فقط بلعب دور الوسيط الذي تتراكم لديه أموال المودعين فيقرضها — لقاء ضمانات قوية — للمستغلين ويتقاضى فائدة عنها يمرر جزءا منها للمودعين .

فالبنك الإسلامي هو بنك تنمية شاء أم أبى .

وقد ظهرت طريقة التمويل الإسلامي قدرتها على كشف الآداء الحقيقي للشريك المستفيد من التمويل .. فبقدر ما يبذل من جهد يزيد العائد على الشراكه فيزيد ربحه وربح البنك وبالتالي ربح المودع .. والمجتمع من وراء ذلك كله والعكس صحيح .

وقد دلت التجربة العملية أن بعض التسهيلات الممنوحة لتمويل عمليات شراكة أو قروض تمويلية بدون فائدة .. قد تم تدويرها — بمعدل ٥ إلى ٧ معدلات خلال العام الواحد .. وهذه كفاءة عاليه في إدارة الموارد وحتى في حالة العمليات ذات الطبيعة الموسمية فإن التسهيلات الممنوحة ضوعف استغلالها مرتين أو ثلاثا .

وهناك أكثر من مغزى لهذه الحقيقة :

( أ ) معرفة البنك للشركاء الممتازين والمتمرسين تساعد على ترشيد موارد المجتمع وإعطاء من يستطيع استغلال ودائعه أحسن من غيره فرصة أكبر .. فيزيد بهذا العائد على المجتمع ولا يعني هذا — حرمان الضعفاء وقليلو الخبرة . بل يعني أن يعطوا على قدر أمكانياتهم ثم يساعدوا فنيا وإداريا .. حتى لا يحبسوا مالا كان يمكن أن ينتج أحسن في يد آخرين .

ب — إن التمويل الإسلامي يستطيع أن يقتنع بهامش ربح بسيط للعلمية الواحدة على أن يتكرر هذا الهامش — عن طريق كفاءة الاستعمال — لينتج ربحا معقولا لصاحبه .

جـ — إن ميكانيكة التمويل الإسلامي تستفيد أيضا من عامل الربح لتحقق مستوى عال من الكفاءة في إدارة الموارد وفي هذا رد على الذين يقولون إن سعر الفائدة هو الأداة الوحيدة القادرة على تحقيق إدارة الأموال والموارد بكفاءة .

إن الظواهر الخمسة المذكورة أعلاه كلها ترمي بثقل واضح في اتجاه التنمية . وتقود المرء للقول بأن البنك الإسلامي هو وسيلة ممتازة لتحقيق أهداف التنمية .. ولتنفيذها أيضا .



# الهوامش

١ ــ منذ مؤتمر الاقتصاديين الإسلاميين في مكه عام ١٩٧٥ وحتى الآن جرت مؤتمرات ودراسات كثيرة لجوانب مختلفة من الفكر الاقتصادي الإسلامي .. ونشأت عدة مراكز ومعاهد للبحوث الإسلامية .. مما يؤكد بوادر نهضة فكرية في هذا المجال .

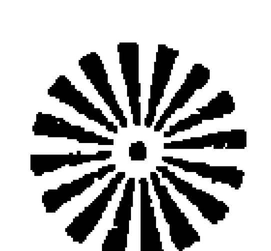
٢ - الاعفاء من ضريبة أرباح الأعمال يمنح في السودان بمقتضى قوانين الأستثمار العادية في القطاعات الصناعية والزراعية وقطاع الخدمات لعدد تتراوح بين ثلاث إلى عشرة سنوات ويكون قابلا للتجديد حسب سلطة الوزير المختص ( وصل في بعض الحالات إلى ١٥ سنة ) وتشكل ضريبة أرباح الأعمال حوالي ( ٨٠٪ ) فقط من مجمل الضرائب الحكومية والتي تعتمد أساسا على العوائد الجمركية على الواردات والصادرات .. وهناك ٨ نوعا آخر من الضرائب يسري على نشاط البنك ..

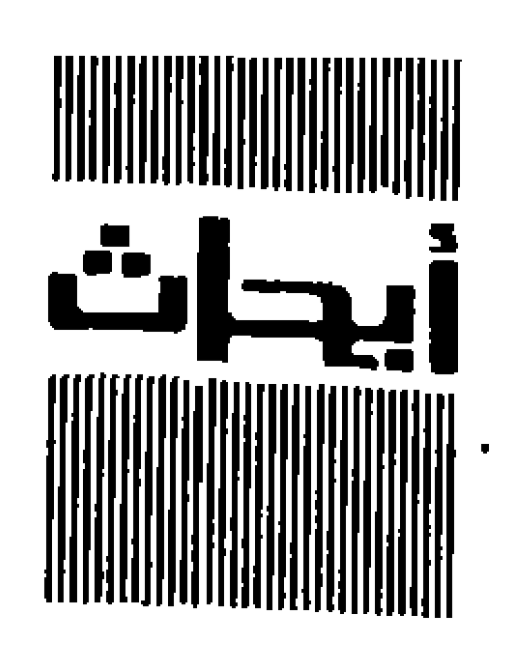
٣ ــ تدل إحصائيات الودائع التي يصدرها بنك السودان على أن ودائع كل الجهاز المصرفي قد زادت في الفترة بين ٧٨/١/١ إلى ١٩٨٢/٦/٣٠ من ٥٠٠ مليون جنيه إلى أكثر من ١٠٠٠ مليون وفي نفس هذه الفترة زادت ودائع بنك فيصل من صفر إلى ١٣٧ مليون جنيه أي أن ودائع بنك فيصل لم تكن كلها تحولا من البنوك الأخرى بل هي إضافة إلى الدورة الاقتصادية من فئات كانت تتورع من التعامل بالربا .

٤ ــ وزع بنك فيصل في السنوات الثلاث الأخيرة أرباحا لودائع الأستثمار تراوحت بين ٧ر١٤٪ و ٩ر١٥٪ بينما توزعه البنوك التجارية ٨٪ رفعت مؤخرا الى ١٠٪ .

٥ ــ عوامل الربحية القانونية في السودان مقسمة بين ــ المورد وتاجر الجملة وتاجر القطاعي .

٦ــ يستطيع بعض الشركاء بالطبع التلاعب في أسعار البيع ولكن انكشاف امرهم سيؤدي مستقبلا الى حرمانهم من التعامل مع الجهاز المصرفي ــ على افتراض ان الجهاز كله ملتزم اسلاميا واخلاقيا .






# النساء المسلمات

## وتغير البيئات

د . لويس لمياء الفاروقي
جامعة تمبل
فلادلفيا — بنسلفانيا — الولايات المتحدة الامريكية

ترجمة : محيي الدين عطية

لقد كانت المرأة المسلمة في أفريقيا وآسيا ، وكذلك في أوربا ونصف الكرة الغربي ، تعاني من التغيرات السريعة في مجتمعاتها خلال العقود الأخيرة . مما تطلّب إعادة تقييم حياتها ودورها في المجتمع . وفي هذا الصدد تتشابه المرأة المسلمة مع غيرها من نساء العالمين .

ولكنني إذا اقتصرت على هذا القول ، فمن الممكن أن يقال أنني قد شردت بكم بعيداً ، لأن ما قلته يمكن أن يدعونا إلى التفكير بأن وضع المرأة المسلمة متماثل مع وضع المرأة في ثقافات أخرى ، وان استجابتها مشابهة لاستجابة المرأة في أجزاء أخرى من العالم وهذا غير صحيح . لأن محاولات عضوات الحركات النسائية في أوربا وأمريكا لحشد وتعبئة النساء المسلمات ضمن منظماتهن قد أثبتت خطأ هذا الظن .

وبالإضافة إلى ذلك فإننا إذا اقتصرنا على قول أن المرأة المسلمة فقط تعاني من بيئة متغيرة فإن هذا سوف يحرمنا من فائدة الاستماع إلى آراء جديدة حول مشاكل المرأة بصفة عامة . إن استجابة المسلمات وآراؤهن غير متاحة في أي زاوية من زوايا مجتمعنا الدولي ، حيث أن هذه الاستجابة محددة سلفاً من وجهة النظر الإسلامية الخاصة والعقدية والثقافية ، وكذلك هي محددة طبقاً للأحوال التاريخية الخاصة التي تركت أثراً في الشعوب المسلمة في العقود الأخيرة . وعلى ذلك فإنه من المهم جداً محاولة فهم هذه الاستجابة فضلاً عن فهم وجهات النظر الأخرى عندما نبحث في العقود القادمة عن حلول جديدة لمشاكل هيكلنا الاجتماعي ومشاكل العلاقات بين الرجال والنساء .

إنه لمن المستحيل أن أتعرض لكل ما تهتم به النساء المسلمات والمجتمعات المسلمة في كلمة مختصرة . ولذلك فإنه يبدو من الحكمة أن أركز على مسألتين تستدعيان الإجابة من أخواتنا المسلمات ، وهما تختلفان عن المسائل التي تطرحها عادة صاحبات الأقلام والمحاميات المعاصرات . إننا بسبر مثل هذه الأغوار قد نتمكن من إثارة أفكار جديدة ربما تفتح لنا طرقا جديدة للتعاون في صراعنا نحو أهداف مجتمعنا الذي سوف تتحرر فيه المرأة — والإنسانية كلها — من الخوف — وتتحرر من التعرض للخطر ، وتتحرر من ربقة الاضطهاد .

١ — أولى هاتين المسألتين تتعلق بالدور الذي يلعبه الدين في تقييم وضع المرأة في المجتمع . لقد كان الاتجاه السائد لدى الحركات النسائية — عبر تاريخها — سواء في الدول الغربية أو في أجزاء أخرى كثيرة من العالم ، هو أن الدين معوق للتقدم وللسعادة . فالدين مثلا هو الذي علّمنا أن حواء — أم البشر — هي التي أغرت البشرية وأغوتها ، وأن السلطات الدينية كانت دوماً مقصورة على الرجال ، وأن المرأة كانت خالية من الروح ومجردة من إمكانية الوصول إلى الخلاص . فلا غرابة إذاً أن تكون المرأة قد شعرت بأنها مدعوة لمقاومة هذا الدين الذي صورته التقاليد عقبة كأداء تقف في سبيلها .

ولكن نساء العالم الإسلامي ينظرن إلى وضعهن نظرة مختلفة تماماً . ذلك إذا استثنينا أقلية صغيرة من النساء اللاتي يُعتبرن إمتداداً للحركة النسائية في العالم الغربي . فالمرأة المسلمة ترى أن تعاليم الإسلام التي أمدها بها القرآن الكريم ، وأن النموذج النبوي المتمثل في سنّة النبي ﷺ ، هما أفضل الأصدقاء وأقوى الدعائم التي تركن إليها ، تلك التعاليم التي تنادي بمجتمع تكون فيه النساء شقائق الرجال ، هي تعاليم مثالية في نظر المرأة المعاصرة ، وهي النموذج الذي تسعى جاهدة لكي تعود إليه .

ولذلك فإن مصدر الصعوبات التي تعانيها المرأة المسلمة اليوم ليس هو الإسلام ، ولكنه ذلك الاقتحام الدخيل على مجتمعها ، أو ذلك التجاهل والتشويه الذي يلصق بحقيقة الإسلام الناصعة .

ولعل عدم إدراك هذه الحقائق هو الذي أدى إلى الالتباس والشك لدى مندوبات إحدى الحركات النسائية الغربية عند زيارتهن لإيران قبل وبعد الثورة الإيرانية .

٢ — المسألة الثانية التي أريد أن أتعرض لها هي دور كل من الرجل والمرأة في المجتمع . إن المرأة المسلمة ترى الحركة المعاصرة نحو مجتمع الجنس الموحد حركة مضللة وخطيرة . وأقصد بمجتمع الجنس الموحد تلك النظرة المعاصرة التي تعتبر أن

الفروق الحيوية بين الرجل والمرأة لا تسوغ أن يكون تقسيم العمل في مجتمعاتنا مبنيا على اختلاف الجنسين ، حيث أن مثل هذا التقسيم يعتبر سبباً رئيسياً في الوضع المتضرر للمرأة .

وفي الحقيقة ، برغم الدليل الحالي على وجود فروق بيوكيميائية ووظيفية بين عقليْ الرجل والمرأة ، إلا أن الجنس الموحد يحاول في حدوث فروق ثقافية بين نزعات كل من الرجل والمرأة وميولهما .

لقد قمنا في الغرب لمدة من الزمن بتجربة مثل هذه الأفكار ، وصدرناها إلى أجزاء كثيرة من العالم برغم النتائج المأساوية التي أصابت المجتمع الغربي . فبدلاً من حصولنا على مساواة بين الجنسين أو على جنس محايد على سبيل المثال ، فإن تجارب الجنس الموحد أصبحت عمليا تمثل تعصباً للذكورة . إنها ليست مقولة أن الرجل والمرأة يلعبان دوراً متعادلاً ويقومان بوظيفة متساوية للدرجة التي يجل ويحترم أعضاء كل جنس منهما الجنس الآخر ؛ بل على العكس من ذلك ، لقد أدت ثقافة الجنس الموحد في العقود الحالية إلى أن يقتصر الاحترام على دور الرجل ، وأن العائد النقدي التقليدي للرجل هو الذي يكون وحده محلاً للاعتبار والإجلال ، وأن الإسهام في الحياة العامة — دون الخاصة — هو الذي يستحق وحده التقدير . وفي مقابل ذلك أصبحت مهام المرأة المنزلية وقيامها بتنشئة الأطفال ، كل ذلك يلقى الاستهانة والتحقير من المجتمع ، لدرجة أن الشابات أصبحن ممزقات بين رغبتهن في الاستجابة لتوقعات المجتمع ، وبين فطرتهن البيولوجية واهتماماتهن الاجتماعية بالأسرة والأمومة .

ونتيجة لذلك ، تجنّبن تلك الفرص التي تتاح لهن لتلبية مثل هذه الاهتمامات الفطرية باعتبارهن شابات في مقتبل العمر ، وأفقْن أخيراً على حقيقة أن النجاح في العمل أو المهنة — وهو الهدف الفردي — لم يكن كافياً للإشباع والإرضاء . وقد دُفع بعدد لا يحصى من النساء إلى القوة العاملة في السنوات الأخيرة ، لا لحاجة اقتصادية تدعو إلى تشغيلهن كما يُذكر دائماً ، ولكن لأن المجتمع يملأ آذانهن بمقولة أن وجودهن لن يتحقق ما لم يقمن بدور نشيط في القطاع العام ، وما لم يقبضن عائداً يمكن احتسابه بالدولارات أو بالفرنكات أو بالروبيات .

والنتيجة النهائية هي أن النساء الآن يحاولن رغم صعوبات نفسية لا يمكن تحملها أحيانا ، ورغم صعوبات عاطفية وجسمانية — أن يلبين متطلبات الحياة مع مسئوليات المنزل والآباء والمهنة في نفس الوقت . وليس غريبا أن المستشارين وخبراء المشاكل الأسرية لا يمكنهم أن يكونوا على مستوى المشاكل الناتجة ، وبالتالي فإن ٥٠ ٪ من الزيجات في الولايات المتحدة تنتهي بالطلاق . والرجال ليسوا مستثنين من التعرض للمتاعب التي

خلقتها ثقافة الجنس الموحد ، تلك الثقافة التي وَضعتهم في موقف المنافسة ، وأحيانا في موقف الحرب المكشوفة .

لقد هرب بعض الرجال إلى موقع المقاومة السلبية ، بينما لجأ آخرون إلى العدوان والقتال . وكانت نتيجة الزيجات المتقلبة التي ترتبت على هذه الأوضاع أنْ كانت المرأة هي الطرف المتضرر . أين إذاً الاحترام والأمن اللذين عملت المرأة على تحقيقهما ، في مجتمعنا المعاصر ؛ مجتمع الجنس الموحد ؟ .

إن النساء المسلمات قلقات من سلوك نفس المسار الذي سلكته المرأة الغربية . فهنّ — بدلا من ذلك — يريْن أن رفاهة المرأة والمجتمع ككل في المستقبل ، تستلزم اختلافا وتبايناً بين دور الرجل ودور المرأة في هذه الحياة . إنهن يؤكدن أن محاولة تحسين وضع النساء ، ومحاولة تطهير النظام القائم من الظلم الاجتماعي ، قد دفعتا حركة تحرير المرأة إلى ارتكاب خطيئة رئيسية هي إلقاء الطفل — بعد تنظيفه — مع ماء الحمّام .

إن النظام الذي أقر التفرقة بين أعمال الجنْسين كإحدى مميزاته وخصائصه ، هو نظام متميز . ولكن لسوء الحظ ، بدلاً من محاولة تنظيم الحماية للنساء من خلال هذا النظام القائم ، فإن رد الفعل كان متطرفاً بحيث أدين النظام بأكمله . ولم تكن الخبرة المتاحة كافية للتنبؤ بأثر مثل هذا العلاج المتطرف على قطاعات متنوعة من المجتمع ؛ على الرجال والنساء والأطفال والمسنين ، وعلى الأسرة في مجموعها .

وتؤكد النساء المسلمات على أن هذا القصور الناتج في المجتمع لا يمكن تجنبه ، وأنه بدلاً من نبذ التفرقة بين أعمال كل من الرجل والمرأة ، فإنه يمكن تبني سياسة أكثر فاعلية ، تتمثل في تأسيس وضع يكفل الحماية ضد سيطرة الرجال على النساء .

١ — وأول خيط في نسيج هذه الحماية هو الحماية القانونية . تلك التي تيسر التأمين للنساء بسهولة لدى الجهات الحكومية والاجتماعية إذا ما عانيْن ظلماً أو عنتاً من الرجال ، أفراداً كانوا أو مؤسسات من تلك التي يسيطر عليها الرجال .

٢ — والمطلب الثاني هو توفير فرص تعليمية للنساء تعادل فرص الرجال ، ليس فقط لكي يعرفن حقوقهن في المجتمع ، ولكن لكي يتمتعن بالاحترام أيضا ، باعتبارهن عضوات راشدات مساهمات في إنماء هذا المجتمع .

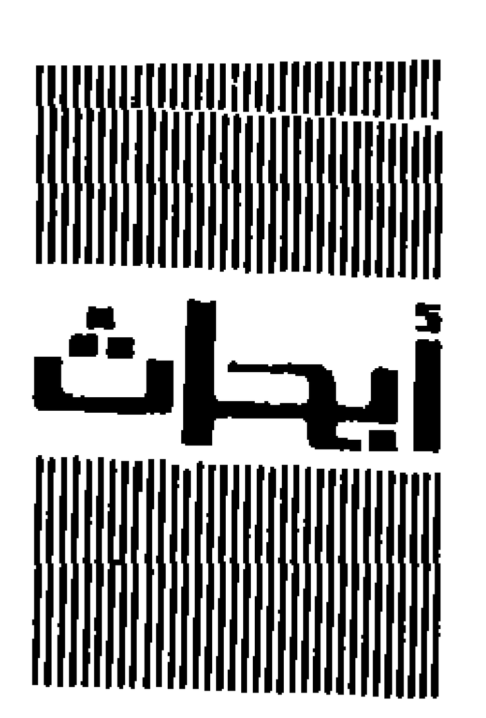
٣ — وهناك صيغة للارشاد الاجتماعي تنادي بها المرأة المسلمة ويجب أن تأخذ مكانها ، وهي تأمين الاحترام لأعمال النساء ومساهمتهن في الحياة . فسوف تستمر معاناتهن طالما يُنظر إلى أعمالهن على أنها من نوع أنثوي تافه . وإذا تتبعنا هذا التدرج الضروري ، فسوف نصل إلى وضع لا تقتصر فيه مقاييس القوة والاحترام على

العوائد المادية أو الممتلكات المالية وحدها .

٤ ــ يجب ضمان مكان للاستثناءات في هذا النظام ، وذلك بدعمٍ من المؤسسات المعنية . فطالما أن أغلبية النساء ينجزن أعمالاً أنثوية ــ تحظى بالاحترام ــ في مجتمع ناجح ، ويؤدينها خلال شطر كبير من حياتهن الإنتاجية ، فإن الاستثناءات من هذه القاعدة يجب ألا نعترض عليها أو أن نقابلها بالعقاب . إن المجتمع يجب ألا يُحرم من الفائدة التي يمكن أن يجنيها من مساهمة جمهور كبير من النساء اللاتي تسمح ظروفهن الخاصة أو قدراتهن أو تحررهن من مسئوليات أخرى خلال فترات معينة من حياتهن ، في أن تُرسين القاعدة الأساسية لمثل هذا الإسهام .

٥ ــ هناك مجتمعات تقوم على قاعدة من العائلات الكبيرة الممتدة . إن النساء المسلمات يعتقدن أن كبر حجم العائلة يُعد عنصرا حاسما ومؤثرا في انتاجية المجتمع . فالوحدات الأكبر ، وليست الوحدات الأسرية المنكمشة لمجتمعنا المعاصر ، هي مفتاح الرفاه والسعادة الجنسية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والمادية . فمثل هذه الوحدات لا تحل فقط كثيراً من المشكلات التي تواجهها المرأة ، والتي تفتح لها باباً من الاختيارات للمساهمة ولتحقيق ذاتها في المجتمع ، ولكنها أيضا توفر الدعم للمسنّين ، وتخفف الضغط والتوتر بين الأزواج والزوجات ، وكذلك بين الآباء والأبناء ، وتضع قاعدة لأبناء الجيل القادم لكي يتكيفوا مع هذا النوع من المجتمعات ذات الأجيال المتعددة والتي تعتبر حقيقة لا مفر منها في وجودنا الإنساني .






# الإعجاز القرآني والتقدم العلمي

## رؤية معاصرة

محمد العفيفي
إذاعة الكويت

( ١ )

إعجاز القرآن الكريم ، وثيق الصلة بالتقدم العلمي ، بكافة أنواعه وسائر آفاقه ، وكل أحواله .

وأقرب لمحة لبيان هذه الحقيقة ، تجدها في نظم القرآن وترتيب آياته .

فنظم القرآن وترتيب آياته هو أهم حقائق إعجازه

والترتيب هو أعم حقائق العلوم كلها ، وأكثرها ارتباطا بسائر المعارف الإنسانية .

فنحن لا نستطيع معرفة حقيقة علمية ، إلا إذا رتبناها بين غيرها من الحقائق ، ورددنا كل جزء من أجزائها إلى أصوله العامة التي ينتمي إليها .

وسنرى أن كل كلمة من كلمات القرآن ، ترتبط بترتيب عام ، حين نجدها متصلة بموضعها من آية قرآنية بذاتها ، بينما هي ترتبط كذلك بترتيب تفصيلي ، حين نتدبرها بمواضعها المتفرقة في ثنايا العديد من الآيات والسور .

وسنرى في الوقت نفسه ، أن هذا النظم القرآني المعجز ، يحمل معه منهج الترتيب في السموات والأرض وما بينهما فأنت لا تقع عيناك على مشهد من مشاهد الكون والحياة ، إلا أعطاك ترتيبا ، عاما ، من حيث ارتباط أجزائه بعضها ببعض ، بينما كل جزء من أجزائه له ترتيبه التفصيلي ، الذي يربطه بمواضع تنوعه وتكاثره ، على تفرق هذه المواضع ، وامتدادها في الزمان والمكان .

بل إننا سنجد ــ مع ذلك ــ أن السنّة النبوية بكل مكوناتها من أقوال النبي وأعماله وإقراراته ، منسجمة مع هذا النظم القرآني ، كما يقول الشاطبي في الموافقات « ترك القرآن موضعا للسنّة ، وتركت السنّة موضعا للقرآن(١) »

ولقد تنوعت بحوث الرواد الأوائل في نظم القرآن ، فمنهم من تكلم عن الحروف في اجتماعها وتفرقها ، ومنهم من تكلم عن الكلمات ، ومنهم من تكلم عن الجمل ، وقليل منهم ربط بين هذه التراكيب وبين السنن النبوية ، والسنن الكونية(٢)

ذلك أن النبي ﷺ ، قد علم صحابته الأبرار ، الفرق الواضح بين ترتيب آيات القرآن ، وبين فهم معانيها والعمل بمضامينها ، حيث لم يكونوا ينتقلون من آية إلى غيرها ، حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل .

فحيثما نزلت آيات القرآن متفرقة ، كان لنزولها ترتيب موافق لبناء الحياة الإسلامية ، بكافة مقوماتها ، السياسية والاقتصادية ، والعسكرية والاجتماعية والعملية ، وغير ذلك .

ثم جاء بعد ذلك ، ترتيب الجمع الذي يقول عنه الله تعالى « **إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** »

١٧ ــ ١٨ : القيامة

كما اقترن بذلك ترتيب السنّة في اتباعها للقرآن ، وعملها بمقتضاه ، كما يقول الله تعالى « **ثم إن علينا بيانه** » « **كلا بل تحبون العاجلة** » « **وتذرون الآخرة** »

١٩ ــ ٢٠ ــ ٢١ : القيامة

فاتباع النبي للقرآن ، فيه اتباع لترتيبه من جهة ، واتباع لمعانيه ، من جهة أخرى ، وتحويل هذين معا إلى بناء علمي وعملي جامع ، له حركة ممتدة من الدنيا إلى الآخرة ، كما رأينا في هذه الآيات السابقة .

ولقد جعل الله للسنّة نصيبها الأوفى في تريب آيات القرآن في سورها ، ثم ترتيب السور على النحو الذي عمل الصحابة بمقتضاه ، حين جمعوا القرآن في المصحف .

ففي حديث عثمان بن أبي العاص قال : « كنت جالسا عند النبي ﷺ ، إذ شخص بصره ، ثم صوبه ، ثم قال : أتاني جبريل آنفا فأمرني أن أضع هذه الآية ، بهذا الموضع ، من هذه السورة .(٣)(٤) **«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى »**

٩٠ :النحل

فهذا كله ، مما يبين عمق ارتباط السنّة بتركيب القرآن وترتيبه ، على هذا النحو الذي يقوم إعجازه ، على الوصل بين الجوانب اللغوية والكمية ، في حقيقة واحدة جامعة .

فالجانب اللغوي يقوم على التحكم في الوصل والفصل ، لكل ما في القرآن من حروف وكلمات وجمل ، وهي كل مكونات الكلام ، ويقابلها تكوين المجتمع

من أفراده ، والأفراد من أجزائها ، في آيات الله الكونية .

والجانب الكمي ، يقوم على تقدير عدد المواضع التي تخص كل حرف أو كلمة أو جملة في ارتباطه بآية ، أو تفرقه بمواضع متعددة في الآيات والسور .

والسنن الكونية ، وثيقة الصلة بهذا الترابط ، بين الحقائق الوصفية والحقائق الكمية ، فكل شيء عند الله تعالى بمقدار ، وعلى التقدير الكمي ، تظهر لنا صفات كل شيء ، وتتجلى حقائقه العلمية ، ومنافعه العملية .

**السبع المثاني مفاتيح كل العلوم**

والذي يواصل التدبر لهذا النظم القرآني ، يجده يقوم على سبعة من التراكيب ، هي أساس السبع المثاني ، كما جاء ذكرها في القرآن والسنة .

وهذا بيانها على سبيل الإجمال .

ثم يأتي في نهاية هذا البحث ، بعون الله ، شرح مجالات تأثيرها العلمي والعملي ، في كل العلوم ، وسائر أنواع الحقائق .

**٢ ــ الآية القرآنية في الموضع الواحد**

مثل قوله تعالى : « **إياك نعبد وإياك نستعين** » ٥ : الفاتحة

وقوله : « **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين** » ٢ : البقرة

**٢ ــ الآية القرآنية في المواضع المتعددة**

مثل قوله تعالى : « **فبأي آلاء ربكما تكذبان** » سورة الرحمن

**٣ ــ الجملة القرآنية في المواضع المتعددة**

مثل قوله تعالى : ١ ــ « **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** » ٨٢ : النساء

وقوله : ٢ ــ « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » ٢٤ : محمد

**٤ ــ الكلمة القرآنية في الموضع الواحد**

مثل قوله تعالى : « **فمنهم شقي وسعيد** » ١٠٥ : هود

فقد جاءت كلمة ( شقي ) بموضع واحد في القرآن كله ، ومثلها كلمة ( سعيد ) وسنرى ( بعد ذلك ) أن تعدد المواضع أو تفردها ، له شأنه العظيم في نظم آيات الله القرآنية ، ثم نظم آيات الله الكونية .

**٥ ــ الكلمة القرآنية في المواضع المتعددة**

مثل قوله تعالى : « **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** » ٨٧ : الحجر

وقوله : « **وبنينا فوقكم سبعا شدادا** » ١٢ : النبأ

فكلمة ( سبعا ) كلمة واحدة من حيث نصها ، ولكن لها ارتباطا بمشهد جديد ، مع كل موضع من موضعيها .

**٦ ــ الحرف القرآني في الموضع الواحد**

مثل حرف الصاد بقوله تعالى : « **ص والقرآن ذي الذكر** » ١ : ص

وقوله تعالى : « **ق والقرآن المجيد** » ١ : ق

وقوله تعالى : « **ن والقلم وما يسطرون** » ١ : القلم

وستأتي تفصيلات كثيرة ، فيما يخص هذه الحروف ، في ثنايا هذا البحث

**٧ ـــ الحرف القرآني في المواضع المتعددة**

مثل واو العطف بالآيات الأوائل ، من سورة ( ص ) وسورة ق وسورة القلم .

هذه هي التراكيب السبعة التي يظهر معها نظم القرآن الكريم .

وسنجد مع مواصلة قراءتنا لهذا البحث ، أن كل ما في القرآن من جملة على مستوى آية أو أقل من آية ، أو كلمة ، أو حرف ، لها في تعدد مواضعها أو تفردها ، حكمة بالغة ، تنطوي على كل قوانين البحث العلمي ، في آيات الله الكونية وتراكيبها وتراتيب أجزائها .

ونخص بالذكر هنا ثلاث قواعد أساسية ، **أولها** : ثبات المكونات الأساسية ، في نصوص القرآن كما سبق بيانها ، ثم ثبات المكونات الأساسية لآيات الله الكونية ، سواء نظرنا إلى المجتمعات وكيف تتكون من أفرادها ، أو نظرنا إلى الأفراد وكيف يتكون كل نوع منها من أجزائه .

والمقصود بالثبات ، نفي التبديل والتغيير .

**وثانيهما** : اقتران الحركة لأي نص قرآني ، يتجدد المشاهد ، وزيادة وجوه العلم ، على قدر عدد المواضع .

وكذلك الشأن في كل نوع من أنواع آيات الله الكونية ، فالماء واحد من حيث ثباته على نوعه وتركيبه ، وترتيب مكوناته ، ولكنه في تجمعه وتفرقه ، تتجدد منافعه وتزداد ، على قدر مواضع حركته في آفاق الوجود .

**وثالثها** : ترتيب أي نص قرآني ، من حيث توالي حركته ، في مواضعه على قدر تعددها .

وكذلك نجد أنواع الخلق يتوسط بعضها بعضا ، ويتفرق بعضها في ثنايا بعض ، ولكل نوع منها مع ذلك ، ترتيب وجوده الذاتي ، كما يتوالى غرس كل نوع من الشجر ، ولا بد مع ذلك من ترتيب لتكاثره ، يتوالى في الزمان والمكان(٥) .

ثم إن هذه التراكيب السبعة ، لها دليلها النقلي ، في القرآن والسنّة .

يقول الله تعالى : « **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** » ٨٧ : الحجر

ويقول سبحانه :

« **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** » ٢٣ : الزمر

ثم إن النبي ﷺ ، يقول : السبع المثاني ، فاتحة الكتاب(٦)

وأخرج بن جرير عن ابن عباس أنه قال : المثاني ما ثني من القرآن( ٦ ) ألم تسمع لقول الله « **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** » ٢٣ : الزمر

وأخرج بن جرير عن الضحاك أنه قال : المثاني القرآن يذكر القصة الواحدة مرارا(٧)

إننا حين ننظر الى الموضعين القرآنيين ، اللذين جاءت فيهما كلمة « المثاني » وكلمة « مثاني » ، نجد كل موضع منهما قد

وصلنا في سياقه ، بحقيقة خاصة به

فسورة الحجر أشارت بطريقة مجملة ، إلى أن فاتحة الكتاب هي « السبع المثاني » ، وهكذا ارتبط الحديث النبوي الذي مر بنا آنفا ، بهذه الحقيقة القرآنية المجملة ، ففسرها بما يؤكد أن الفاتحة ، هي السبع المثاني أما الآية التي جاءت بها كلمة ( مثاني ) في سورة الزمر ، فقد وصلتنا بحقيقة جديدة ، هي أن المواضع المتعددة ، لكل آية وأجزائها

في القرآن ، تتشابه علينا ، ولكنها لا تتكرر هذا التكرار الجامد الذي نعهده في كلامنا البشري ، بل هي تتجدد معها تراكيب النص الواحد وتراتيبه ، بحيث يتسلسل بها ترتيب تفصيلي يخصها ويصلها بألوان من العلم ، بعدد مواضعها في القرآن كله .

وقد أكدت السنّة المطهرة هذه الحقيقة ، التي يجدها في القرآن ، كله من تدبره تدبرا ، عمليا ، حيث أشار ابن عباس ، إلى أن المثاني ، هي ما ثُنّي من القرآن ، أي ما تعددت مواضعه ، ثم استشهد بآية سورة الزمر .

فهناك تنوع مترابط لبيان الحقيقة الواحدة ، حين نجدها في القرآن ، ثم في حديث النبي ﷺ ، ثم في كلام صحابي مثل ابن عباس ، ثم يتصل هذا التنوع ، حتى نجد الضحاك يبين لنا أن المثاني هي القصة الواحدة ، يذكرها القرآن مرارا .

إن هذا التأثير العلمي القرآني المتجدد ، يحمل الحقيقة الواحدة ، فيضعها في مواضع متوالية من المكان والزمان ، والرؤى والمشاهد ، والمجتمعات والأفراد ، فإذا الحقيقة في ذاتها لها شأنها ، وإذا حركتها وتفاعلها العملي ، بالمجالات المناسبة لذلك ، زيادات لها حسابها ولها تقديرها ، ولها دورها البناء في الحياة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة ، فيسعد المتبعون للقرآن ، ويشقى المخالفون له(٨)،(٩)

من هنا كان علينا ، أن ننظر في نصوص القرآن في ذاتها ، ثم ننظر في نصوص القرآن من حيث ارتباطها بمواضعها المتعددة في القرآن كله ، لنتلقى هذا الدرو القرآني ، العملي ، فنتعلم كيف نبحث في الحقائق الذاتيه لكل أشياء الوجود من الذرة الى المجرة ، وكيف نعرف كل شيء في ذاته ، ثم نعرفه في ارتباطه بغيره ، حيث تتنوع التراكيب والتراتيب ، والنتائج التي تحققها هذه الحركة الدائبة ، في هذه المخلوقات الكثيرة ، التي أبدعها الله رب العالمين (١٠)

والفوائد التي نحصل عليها من هذه الحقائق ، التي يدور عليها هذا البحث فوائد كثيرة ، أهمها ترسيخ عقيدة التوحيد ، وبيانها للعقول والقلوب ، المتعطشة إليها في العالم كله .

ويكفي أن ننظر في كلام عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية الأمريكي ، وولتر أوسكار لندبرج . ح حيث يقول : « في جميع المنظمات الدينية المسيحية ، تبذل المحاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة الإنسان »

ويواصل هذا العالم كلامه ، فيبين أن تركيب الكونَ المادي الذي نعيش فيه وترتيب أجزائه ، يشهد بوجود إله واحد لا شريك له .(١١)

ثم إن عالم الرياضيات والفيزياء إيرل تشستر ريكس يقول : إن الظواهر العديدة التي تدل على وحدة الغرض ، في هذا الكون ، وتشير إلى نشأته والسيطرة عليه ، تبين كذلك ، انه لابد أن يتم هذا كله ، على يد إله واحد لا آلهة متعددة(١٢)

فما بالنا إذا أوضحنا لأمثال هذين العالمين الكبيرين ، وهم كثيرون جدا بين علماء العالم كله ، أن تركيب الكون المادي ، قائم على منهج التركيب والترتيب لآيات القرآن وأجزائها مع استقلال كل منهما بحقيقته الخاصة به ، وأن السنن النبوية هي أداة الوصل بين معرفتنا نحن البشر ووجودنا ، وبين هذا المنهج العلمي العملي الواحد في آيات الله القرآنية ، وآياته الكونية إننا حينئذ لن نجد تفرقة بين الماديات والأخلاقيات ، ولا بين العلم النظري ، والتطبيق العملي ، وسنعود جميعا إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها .

بل إن المسلمين أنفسهم ، سيتعلمون كيف يحتكمون إلى كتاب ربهم ، وسنة نبيهم في كل مشكلاتهم مهما تختلف هذه المشكلات .

والله ولي التوفيق .

**مواضع تعريف الإعجاز الإلهي في آيات القرآن وسوره**

**١ ــ عجز الإنسان في معرفته ووجوده ما لم يهتد بهدي الله**

جاءت الكلمات الدالة على الإعجاز الإلهي ، في القرآن كله ، حاملة معها حقيقة العجز في إمكانات المخلوقين ، أن يتحدوا إرادة خالقهم أو أقواله وأفعاله .

١ ــ ونجد أول موضع يصلنا بأهم وجوه هذا التعريف القرآني حيث يقول الله تعالى :

**« قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي »**

٣١ ــ المائدة

فالقرآن يبدأ ببيان عجز الإنسان أن ينتصر على دوافع الشر في نفسه ، كلما تخلى عن طاعة الله سبحانه .

وهكذا قتل قابيل أخاه هابيل ، ثم عجز أن يواري سوأته .

وهذا متعلق بمعرفة الإنسان ، ولا مخرج للإنسان من هذا العجز ، إلا بالخضوع للأحكام التي جاء بها دين الله ، مع البراءة من كل ما يخالفها .

**٢ ــ عجز الإنسان أن يخرج من حدود المكان والزمان .**

ثم نمضي إلى موضع قرآني آخر يبين لنا عجز الإنسان ، أن يخرج من حدود وجوده في المكان والزمان ، فهما ــ معا ــ حجاب من الغيب يجعلنا بحاجة دائمة إلى الإيمان ، بما جاء به دين الله ، من حقائق الوحي في القرآن والسنّة .

**« إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »** . ١٣٤ ــ الأنعام

فالمستقبل علمه عند الله ، والماضي ننسى منه ما ننسى ، ونذكر ما نذكر ،

**٣ ــ حتمية انتصار الإسلام في الدنيا والآخرة**

أما الموضع القرآني الثالث ، الذي يبين لنا حقيقة جديدة من حقائق الإعجاز الإلهي ، وأسباب العجز البشري ، فهو حيث يقول الله تعالى :

**« ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون »**

**« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »**

٥٩ ــ ٦٠ الأنفال

فحيث سبق في الموضع الأول أن الإنسان عاجز عن حفظ نوعه ، منساق وراء دوافع الشر ، حتى إنه ليقتل أخاه لو لم يكن له رادع من أوامر الله ، ونواهيه .

وحيث جاء في الموضع الثاني ، حتمية الإيمان بكل ما جاء من عند الله ، عن حقائق وجودنا ومصيرنا ، وانتهينا في الموضع الثالث إلى أن الذين يأبون أن يؤمنوا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر ، ستكون لهم معارك ضد المؤمنين ، وسيكون لهم سباق في التسلح ، ودعاوى غير صحيحة في السبق الحضاري ، فكذبهم الله وبين أنهم لا يعجزون الله الذي خلقهم ثم أمر عباده المؤمنين أن يعدوا لهم ، ما استطاعوا من قوة وأن لا يظنوا أن الآخرة تغنيهم عن طلب النصر في الدنيا والأخذ بأسباب التقدم فيها .

**٤ ــ عجز المشركين أن يقاوموا القوة الإسلامية**

ونصل الى الموضع الرابع حيث قول الله سبحانه

**« وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم »** .

٣ ــ التوبة

وهنا نجد الإعجاز الإلهي ، يبين لنا عجز المشركين أن يدفعوا عن أنفسهم عذاب الله لهم في الدنيا بمحاربة النبي لهم بمن معه من المؤمنين ، حتى يتوبوا عن الشرك أو يقتلوا وهم مشركون ، فيكون عذابهم في الآخرة أشد من عذابهم في الدنيا .

**٥ ــ عجز المشركين أن يخرجوا من العذاب الأبدي**

ثم نجد في الموضع الخامس قوله تعالى :

**« ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون ويستنبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين »** .

٥٢ ــ ٥٣ : يونس

وهنا نجد الإعجاز الإلهي مبينا للمشركين أنهم خالدون في العذاب يوم القيامة ، لا مفر لهم من ذلك وأن دين الله حق لا ريب فيه ، وأنهم عاجزون عن الفرار من مصيرهم ، إذا ماتوا على الشرك .

ففي الموضع الرابع جاء ذكر العذاب عاما .

**« وبشر الذين كفروا بعذاب أليم »**

أما في الموضع الخامس فقد ذكر العذاب

خاصا بما يلقي المشركون يوم القيامة « **ذوقوا عذاب الخلد** »

**٦ ــ وفي الموضع السادس نجد قوله تعالى :**

« **أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** »

٢٠ : هود

إن أوامر الله ترقى بالبشر من مستويات عجزهم إلى آفاق التقدم بكل أنواعه .

أما الذي ينهى الله عنه فهو حماية لنا من مفتريات أهل الباطل ، ومن موالاة أهل الشر .

فمن أطاع الله في كل ما أمر به ثم اجتنب كل ما نهى عنه فهو الذي انتفع بما يسره الله له من نعمة السمع والبصر .

أما الذي لم يأتمر بما أمر الله به ، ولم ينته عما نهى الله عنه ، فهو من الذين « **ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون** »

وهكذا ندرك أن الإعجاز الإلهي ، إنما هو ظاهر دائما في كل نعم الله على عباده وأن عجزهم عن طاعة الله ، هو أول ما يكشف عن استحقاقهم للعجز وتخلفهم في كل أمورهم ابتداء من عدم استطاعتهم أن ينتفعوا بأقرب نعم الله منهم ، فهم لا يستطيعون أن يسمعوا أو يبصروا مع وجود آذانهم وأعينهم .

ولعلنا نلحظ عظمة الترتيب القرآني ، حيث جاء ببيان العذاب الدنيوي والأخروي بوجه عام ، في الموضع الرابع ، ثم جاء بعده الموضع الخامس بعذاب الآخرة خاصة ــ ثم جاء الموضع السادس بشيء جديد ، ولكنه متعلق بالموضعين السابقين ، وهو مضاعفة ــ العذاب لنوع من العصاة ، الذين صاحبوا رفقاء السوء ، وعجزوا عن انتفاعهم بنعم الله عليهم ، في وحي الله حيث أمرهم ونهاهم ، فلم يستجيبوا ، وفي خلق الله ، حيث منحهم سمعا وبصرا ، فلم ينتفعوا بهما(١٢)

**٧ ــ وهكذا جاء الموضع السابع بقوله تعالى :**

« **قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين *قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين** » .

٣٢ ــ ٣٣ : هود

لقد جاءت هذه النقلة القرآنية الجديدة ، حاملة معها مشهدا تاريخيا يتبين لنا معه ، حدود قدرة الأنبياء وإطلاق القدرة الإلهية .

فالله هو القادر وحده على أن يأتي بما شاء فيما يشاء من الزمان والمكان .

ولقد رأينا في الموضع السادس عجز العصاة عن انتفاعهم بنعم الله عليهم لا في وحي الله ، ولا في خاصة أنفسهم ، حيث نعمة السمع ، ونعمة البصر .

فها نحن في الموضع السابع نشهد عناد البشر إذ يؤثرون هلاكهم ، على تصديقهم

بالحق الذي جاء من عند الله .

وقد كان الطوفان هو الجزاء الذي استحقوه ، فإذا الماء الذي تقوم عليه حياتهم هو سبب غرقهم ، وهلاكهم ، فقد عجز البشر — أولا — أن ينتفعوا بنعمتين في أجسامهم ، هما السمع والبصر ، ثم عجزوا — ثانيا — أن ينتفعوا بنعم الله المتصلة بالكون الذي يعيشون فيه .

**٨ — كل ما في العالم من النعم فهو من الله وحده لا شريك له .**

— وفي الموضع الثامن نجد قول الله تعالى :

**« قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا »**

٧٢ — هود

وهكذا تتصل حلقات الإعجاز الإلهي ، حتى نجد حفظ السلالة الإنسانية وتكاثرها ، تاليا من حيث ترتيب هذا النوع من الكلمات في القرآن لحادث الطوفان ، الذي أهلك الله به قوم نوح .

فكأن الله يذكرنا أنه هو القادر على خلق الإنسان ، وتكثير ذرية البشر ، ولو كانت الأم عجوزا طاعنة في السن ، وكان زوجها شيخا فانيا .

وكلمة ( عجوز ) تنتسب من حيث أصولها في اللغة ، إلى العجز ، الذي يزول من وجودنا البشري بمقدار ما يمنحنا الله من أنواع نعمه الدالة على الإعجاز الإلهي .

٩ — وتتصل هذه الحقائق المترابطة بالموضع التاسع لهذا النوع من كلمات القرآن ، حيث نصل إلى قوله تعالى :

**« أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ★ أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين ★ أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم »**

٤٥ — ٤٦ — ٤٧ : النحل

لقد وصلنا — هنا — إلى أصحاب المذاهب الإلحادية الفاسدة وذوي المناهج الباطلة ، فالله تعالى يبين لهم عجزهم أن يتحكموا في الأرض التي أسكنهم الله فيها ، وعجزهم أن ينتفعوا بأنواع نشاطهم ، الذي يظنون أن فيه من التقدم ، ما يجعلهم في حل من العمل بدين الله والنزول على حكمه .

ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ، مفسرا قوله تعالى « **أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين** » .

( تقلبهم ) أي اختلافهم (١٣)

والمقصود اختلاف حركتهم وأنواع نشاطهم في الدنيا ، مزهوين بما استحدثوا من البدع الصارفة لهم ، عن الدين الذي أمرهم الله باتباعه ، والاحتكام إليه .

ونلحظ الترتيب المعجز حيث جاء التكاثر في النوع البشري ، في الموضع الثامن ، بينما جاء في الموضع التاسع ، النهي عن التكبر ، بما يستكثر الإنسان ، من متاع الدنيا ، حتى يصرفه عن طاعة ربه .

**١٠ — وحي الله في القرآن مرتبط به وحيه في السنّة :**

وفي الموضع العاشر ثم نصل إلى قوله تعالى :

**قل يأيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم »**

٤٩ — ٥١ : الحج

إن آيات الله تشمل آيات القرآن ، وما يبينها لنا من سنة النبي ﷺ ، كما تشمل آيات الله الكونية ، وبذلك يعلم البشر أنهم عاجزون عن تبديل شيء مما قدر الله لهم في دنياهم وآخرتهم ، فالجنة لمن أطاع الله والنار لمن عصاه .(١٤)

ولذلك اجتمع في هذا الموضع ذكر السنّة مجملة — في بيان النبي لما أوحى الله إليه .

« **إنما أنا لكم نذير مبين** ) وقد أنذر النبي الناس بالقرآن والسنة كذلك .

ثم تبع ذلك ، ذكر الجنة للصالحين من عباد الله ، وذكر النار للذين سعوا في آيات الله معاجزين ، أي واهمين أنهم سيغلبون الحق بأباطيلهم ! وهذا لا يكون أبدا .

ونلحظ الإعجاز في الترتيب ، حيث جاء الموضع الثامن عن كثرة النوع الإنساني ، ثم جاء الموضع التاسع ببيان استكثار الكافرين من طيبات الدنيا واستكبارهم بما يجمعون ، وبعدهم عن جادة الحق ، بينما الموضع العاشر جاء مبينا أن الناس جميعا في هذه القضية فريقان ، فمنهم الصالحون ، ومنهم غير ذلك .

**١١ — العمل بالقرآن والسنّة وحتمية انتصار المسلمين والتمكين لهم في الأرض :**

وفي الموضع الحادي عشر نصل إلى قوله تعالى :

« **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض** » إلى قوله سبحانه « **لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض** »

٥٥ — ٥٧ : النور

إن النتائج الكبرى ، لكل ما تقدم في المواضع السابقة ، هي مجملة في استخلاف الله للمؤمنين في الأرض ، يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله .

ولابد حينئذ من عجز الكافرين ، أن ينالوا من المؤمنين شيئا وقد بدل الله ضعفهم قوة ، وخوفهم أمنا .

والواقع العملي ، يبين لنا أن الفتوحات الإسلامية ، ظلت موجودة دائما ، تحقيقا لوعد الله رغم كل ما ذهب منها .

وفي السنة المطهرة تفصيل ذلك(١٥)

**١٢ — الإعجاز القرآني في السبق إلى حقائق العلوم**

وفي الموضع الثاني عشر نصل إلى قوله تعالى :

**«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير »**

٢٠ — ٢١ — ٢٢ : العنكبوت

ها هنا يتصل الإعجاز الإلهي ، بقضيه جديدة ، ولكنها وثيقة الاتصال ، بما جاء في المواضع السابقة إذ أن الجديد هنا هو بيان السير في الأرض للنظر في أحوال السابقين من البشر ، ثم بيأن أن البشر ليسوا معجزين في الأرض ولا في السماء .

فالكلام عن عجز البشر أن يحيطوا بحقائق الأرض والسماء ، مما يظهر معه التطور الحديث في حياتهم ، وهو أمر لم يكن معروفا أيام نزول القرآن ، وإنما تحقق بعد ذلك بزمن طويل حيث عرفنا نحن المعاصرين صناعة الطيران ، وما يسمى عصر الفضاء ، والأقماز الصناعية أو الصواريخ(١٦)

١٣ ــ وهكذا نصل إلى قوله تعالى :

**« وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين »** .

**« والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم »** .

٣ ــ ٥ : سبأ

ومن الجديد هنا لبيان الإعجاز الإلهي ، في الإحاطة بكل ما هو أكبر أو أصغر في خلق الله ، مع إنذار الناس بيوم القيامة .

بعد ما سبق من بيان عجز البشر عن معرفة كل حقائق الأرض والسماء وبيان أن القرآن قد سبق بكشف وصولهم إلى الفضاء قبل أن يصلوا إليه فواجبهم ــ إذن ــ أن يؤمنوا بيوم القيامة ــ قبل أن يأتي هذا اليوم .

ونلحظ الترتيب المعجز حيث جاء الكلام عن الفضاء في الموضع الثاني عشر بينما جاء الكلام عن يوم القيامة في الموضع الثالث عشر ، إذا الوصول إلى الفضاء غاية ما يتطلع إليه الإنسان ، في الدنيا

**١٤ ــ الإعجاز الإلهي في كل النواحي الاقتصادية :**

وفي الموضع الرابع عشر نصل إلى قوله تعالى :

**« وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون * والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون »**

٣٧ ــ ٣٨ : سبأ

ومن الجديد هنا بيان الجانب الاقتصادي بين نعم الله على الانسان وأن الذين يستغلون هذه النعمة ــ في غير ما أمر الله به ولا يبتعدون عما نهى الله عنه ليسوا بمنجاة من عقاب الله لهم .

**١٥ ــ الإعجاز الإلهي وتقويمه لعلوم البشر :**

وفي الموضع الخامس عشر نصل الى قوله تعالى :

**« وإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم »** الى قوله تعالى **« والذين ظلموا من هؤلاء**

**سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين »**

٤٩ ـــ ٥١ : الزمر

ومن الجديد هنا بيان جهل الكثير من الناس بحقائق الإعجاز الإلهي في كل ما يصيب الناس من ضر أو نعمة فهم يضرعون إلى الله بالدعاء إذا أصابهم الضر ثم يغترون بالنعمة إذا رزقهم الله بها ظانين أنها جاءتهم بما لديهم من العلم .

ونلحظ الترتيب المعجز ، حيث جاء الكلام عن المال في الموضع الرابع عشر وجاء بيان عن جهل الانسان بحقيقة نعم الله في الموضع الخامس عشر . وواضح أن الإنسان لا يفكر في هذه الأمور إلا بعد تحقيقها فلذلك سبق ذكر المال ثم تبعه من حيث الترتيب الكلام عن معرفة نعم الله .

**١٦ ـــ الإعجاز الإلهي وتأديب العصاة :**

وفي الموضع السادس عشر نصل الى قوله تعالى :

**« وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير * وما أنتم بمعجزين في الأرض »**

٣٠ ـــ ٣١ : الشورى

ومن الجديد هنا بيان مسئولية الإنسان عما يصيبه من المصائب وأن الله يعفو مع ذلك عن كثير من ذنوب البشر مع كونهم غير معجزين في الأرض ، وإنما الإعجاز الإلهي هو الغالب عليهم ، وقد جاء ترتيب هذا الموضع بعد ما جاء في الموضع السابق ليكون تفصيلا له وبيانا لمسئولية الإنسان عن أفعاله .

**١٧ ـــ حتمية العمل بالقرآن لمن أراد السعادة في الدنيا والآخرة :**

وفي الموضع السابع عشر نصل إلى قوله تعالى :

**« ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض »**

٣٢ : الأحقاف

وفي هذا الموضع إشارة إلى اجتماع القرآن والسنّة ، على حمل دعوة الله إلى الناس كافة ليدخلوا في دين الله وهو الإسلام .

فمن أبى أن يجيب داعي الله وهو محمد ﷺ ، وما جاء به من عند الله فليس بمعجز في الأرض ، وإنما هو خاضع لحكم الله عليه في الدنيا والآخرة .

ولا ريب في أن النبي ﷺ ، قد دعا الناس بالقرآن ، والسنّة معا .

وواضح أن ترتيب هذه المواضع بعد كل ما سبق ، مناسب لجعل الدعوة قائمة في الناس إلى يوم القيامة .

١٨ ـــ وأخيرا ننتهي الى قوله تعالى ، حكاية عن الجن « **وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا »**

١٢ ـــ الجن

وهذا الموضع الأخير من المواضع القرآنية التي جاء بها ذكر الإعجاز الإلهي قد تفرد بعجز الجن عن الهرب من الله تعالى .

فلما كان هذا النوع من الخلق ، مع ما خصه الله به ، من القدرة على التشكل والتحول ، عاجزا عن الهرب ، فإن البشر

أظهر عجزا ، عن مثل ذلك .

**ومع بعض ما جاء في السنّة عن هذه الحقائق نواصل النظر ، والتدبر**

**١ ــ الإعجاز الإلهي وحتمية الايمان بالقدر**

**الحديث الأول** : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس (١٧)

وهذا الحديث يربط بين العجز والكيس وبين القدر .

والقدر حق وعدل لأسباب كثيرة ، منها أنه يقوم على علم الله بما سيفعله كل إنسان ، بعد أن يخيره الله بين الطاعة أو العصيان .

يقول الله تعالى :

**١ ــ « إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا »**

٣ : الإنسان

ويقول الله تعالى :

**« ألم نجعل له عينين * ولسانا وشفتين * وهديناه النجدين »**

١٠ : البلد

وكذلك فإن هذا الحديث يبين لنا الحدود الفاصلة بين العجز وأهمية تفريط الإنسان في طاعة ربه ــ وبين الكيس وأهمية قيام الإنسان بحق الله عليه فيكون مطيعا له عاملا بأوامره ، مجتنبا نواهيه .

**٢ ــ الإعجاز الإلهي والحث على الإنفاق :**

**الحديث الثاني :**

يقول الله تعالى : « ياابن آدم ، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا (١٨) حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، وللأرض منك وئد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق ، وأنى أوان الصدقة (١٩)

ومن الجديد هنا أن الله يبين لنا في هذا الحديث القدسي ، أصل خلق الإنسان في رحم أمه ، وكيف يرعاه الله فيكبر ويملكه الله من الأموال ، فيبخل ولا يتصدق ، ولا يفكر في ذلك إلا بعد فوات الأوان .

**٣ ــ الإعجاز الإلهي والتيسير على الناس**

**الحديث الثالث :**

خرج رسول الله ﷺ ــ في جوف الليل ، فصلى في المسجد فثاب رجال فصلوا معه بصلاته ، فلوا أصبح الناس وتحدثوا أن النبي ﷺ ، قد خرج فصلى في المسجد من جوف الليل فاجتمع الليلة ــ المقبلة ــ أكثر منهم .

فخرج النبي ﷺ ، اغتسل من جوف الليل فصلى وصلوا معه بصلاته ثم أصبح فتحدثوا بذلك فاجتمع الليلة ــ الثالثة ــ ناس كثير ، حتى كثر أهل المسجد .

فخرج النبي ﷺ من جوف الليل ، فصلى فصلوا معه فلما كانت الليلة الرابعة ، اجتمع الناس حتى كاد المسجد أن يعجز عن أهله ، فجلس النبي ﷺ ، فلم يخرج حتى سمع ناسا منهم يقولون الصلاة ، فلم يخرج النبي ﷺ .

فلما صلى صلاة الفجر ، سلم ثم قام في الناس فتشهد ثم قال : « أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها[(٢٠)]

وفي هذا الحديث بيان أنواع العجز في المخلوقات ، فالمسجد يعجز عن أهله لضيق مساحته .

والنبي ﷺ يخشى أن تفرض صلاة الليل على المسلمين فيعجزوا عنها !!

فالعلاقات بين الأسباب وغاياتها ، قد أحاط الله بعلمها ، وجعل سبحانه لكل شيء قدرا .

وكل شيء خرج عن حدوده التي وضعه الله فيها ، فهو باطل .

### ٤ ـ الإعجاز الإلهي ومحو أسباب الزرق

### الحديث الرابع :

أيما عبد كوتب ثم **عجز** فهو رقيق[(٢١)]

وهذا الحديث يقدم لنا قضية جديدة هي قضية المنهج الإسلامي في تخليص الإنسان من دوافع العجز ، والخضوع للقهر في نفسه .

فالرقيق أما في فرصة العمل ، ليتخلص من رقه ، الذي يكون من أسبابه في أغلب الأحوال ، الميل للكسل ، والعجز عن مطالب الحرية ، والعظمة في الحياة .

فالتغلب على الرق بالعمل الكثير ، فيه تدريب على بلوغ آفاق العظمة ، ومراتب القوة ، كما يريدها الله لعباده جميعا ، ولهذا جعل عجزهم هو نقطة الانطلاق نحو الكيس بمعناه السابق .

### ٥ ـ الإعجاز الإلهي وبيان نسبية العجز بين المخلوقين :

### الحديث الخامس :

جاء فيه أن امرأة ركبت العضباء ونجت عليها من مختطفيها ، فجاء في الحديث ( فطلبوها فأجزتهم ) .

ثم إن المرأة نذرت لئن أنجاها الله على هذه الناقة لتنحرنها فقال النبي ﷺ بئس ما جزتها ، لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم[(٢٢)]

ومن الجديد هنا أن الإنسان ليس مطلق الإرادة في كل ما يقول ويفعل ، وإنما هو عاجز أن ينذر في معصية الله ، وفيما لا يملك البشر .

ومن الجديد هنا كذلك ـ أن العجز يكون في التسابق وبه يظهر العجز على من لم يلحق بما يطلبه .

### ٦ ـ الإعجاز الإلهي وبيان أن الاستعانة ـ بالله تنقذ الإنسان من عجزه

### الحديث السادس :

المؤمن القوي ، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا **تعجز** .

وإن أصابك شيء فلا تقل ، لو أني فعلت كذا لكان كذا . ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان[(٢٣)]

من الحقائق الجديدة هنا في تعريف الحقائق التي نحن بصددها ان الله جعل

الاستعانة به طريقا أمام الإنسان ، يتمكن بها من مفارقة العجز ، والوصول إلى الكيس ، والتقدم نحو الخير والسعادة والقوة التي جاء معرضها في أول الحديث .

والحديث ينهى عن التردد ويأمر بالمواصلة في طلب الخير ومحاولة الوصول للقوة .

وهذه معان عملية ، لا بد من معرفتها ، للوصول إلى فهم حقائق القرآن التي سبقت في تعريفه للإعجاز الإلهي والعجز البشري .

### ٧ ـ الإعجاز الإلهي والتوجه بالدعاء إلى الله وحده

**الحديث السابع :**

« اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن وضلع الدين ، وغلبة الرجال »(٢٤)

وما يزدنا تعريفا بالإعجاز الإلهي والعجز البشري ، أن هذا الدعاء يبين لنا فيه النبي ﷺ ، حاجة الإنسان إلى الله تعالى ليعينه على دفع الهم والحزن ، وهما يدلان على فساد الأحوال ، واختلاف النظم ، بعد انصراف المسلمين عن العمل بما جاء به دين الله في كثير من أمورهم .

فإذا كان ذلك ركن الضعفاء من الناس إلى العجز والكسل .

فإذا كان ذلك ، أمسكوا عن الإنفاق ، وبخلوا ، فأصابهم الجبن .

فإذا كان ذلك ، وقعوا فريسة للفقر والدين ، الذي لا يجد أحدهم له وفاء .

فإذا كان ذلك ، كان هناك قهر وانهيار وتسلط .

فلهذا ختم النبي ﷺ هذا الدعاء النبوي باستعاذته بالله من غلبة الرجال وهو معنى يتسع لأنواع كثيرة من الاحباط والهزائم منها ، هو خاص بالنفس البشرية ، فيما يخص الفرد الواحد أو هو خاص بانهيار المجتمع ووقوع أفراده ، بعضهم تحت ظلم البعض .

فإذا كان ذلك عز النصر على الأعداء وتعطلت الدعوة إلى الحق وكثر الترويج للباطل .

**الحديث الثامن :**

« اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل ، والهرم والقسوة والغفلة والعيلة ، والذلة ، والمسكنة » .

« وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والفسوق والشقاق ، والنفاق والسمعة والرياء »

« وأعوذ بك من الصم ، والبكم ، والجنون ، والجذام ، والبرص ، وسيء الأسقام »(٢٥) .

وهذا الحديث وثيق الصلة بالحديث الذي قبله بل هو امتداد له يبدأ بالاستعاذة بالله تعالى ، من العجز والكسل ، ثم بالاستعاذة به سبحانه من أنواع القهر ، وما يتبعه من أهوال .

وتأتي بعد الاسعاذة بالله ، من أنواع الفقر البادي ، والأخلاقي ، والعلمي

والاستعاذة بالله من أنواع الأمراض .

**الحديث التاسع :**

اللهم أني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم ، وعذاب القبر وفتنة الدجّال .

اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها .(٢٦)

وهذا الحديث امتداد للحديثين السابقين ، ابتداء من الاستعاذة بالله من العجز والكسل ، ثم يأتي الجديد هنا في الاستعاذة من عذاب القبر ، وفتنة الدجّال .

قدم عذاب القبر لأنه أشد على من استحقه ، من فتنة الدجّال وأن كانت هذه الأخيرة ، أسبق في التسلسل الزمني .

ولهذا الترتيب حكمته القائمة على النظر للأحداث من حيث خطرها وشدتها ، وترتيبها تبعا لذلك .

ثم دعا النبي ربه عز وجل ، أن يؤتي نفس الانسان تقواها ويزكيها مع الإقرار بأن الله هو الولي وهو المولى ، الذي لا ملجأ منه إلا إليه .

ثم استعاذ النبي بربه جل شأنه من أربعة أمور ، الأول : هو العلم الذي لا ينفع ، إذ النفع مقترن بالعلم ، ولولاه لتعطلت آثار العلم .

والثاني : هو القلب الذي لا يخشع لله تعالى ، لأنه يكون قلبا غير مؤد لأهم وظائفه .

والثالث : هو النفس التي لا تشبع ، لأن العلم إذا كان مؤديا إلى الرياء ، والكبر ، لم يكن نافعا وكان ضارا فيقسو القلب ولا يخشع لله ولا يحب عباد الله تقربا إليه ، فتكون النفس شرهة ، قاسية ، جامدة .

وهذا ليس بسبب العلم ، وإنما بسبب تعطيل العمل به

والرابع : هو الدعاء الذي لا يستجيب الله له .

وهذا نتيجة لكل ما سبق ، لأن الله إنما يستجيب لمن دعاه وهو تقي ، نقي . تدرج في الترتيب مما هو سابق زمانا ، إلى ما هو لاحق .

فإذا نظرنا نظراً أعم ، وجدنا هذا التسلسل الواقعي محتويا على ترتيب عام قائم على تقديم العذاب ، لعظمة المصاب فيه .

على فتنة المحيا ، والممات مع ان فيها الاختبار الذي يكون أولا ، ثم تتبعه العذاب .

فبذلك يكون الترتيب في أجزاء الحديث واقعيا من حيث التسلسل الزماني

بينما هو متضمن من الناحية الموضوعية ، ترتيبا مراعيا لأحوال الإنسان ، وما يصيبه من الكوارث التي لا منجى منها إلا باللجوء الى الله ، فقدم النتيجة لأنها أشد وقعا وألما على المقدمة المؤدية إليها .

وقد رأينا أن الترتيب القرآني أعظم من ذلك كثيرا ، ثم يتبعه كلام النبوة ، الذي لا يدخل في كلام البشر ، وانما هو وحي الهي خص الله به عبده وخاتم رسله ، وأجراه على لسانه .

**الحديث العاشر :**

« اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن ، والبخل ، والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار .

وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات[٢٧]

هذا الحديث ، امتداد للأحاديث السابقة التي دارت كلها حول الاستعاذة بالله من العجز والكسل ، ومن المآسي التي تتفرع من هذين الأصلين .

ومن الجديد هنا ـــ الاستعاذة بالله ، من عذاب القبر وعذاب النار . وفيه تدرج في الترتيب من العذاب الأدنى إلى العذاب الأكبر .

ثم عاد إلى أسباب ذلك كله فاستعاذ بالله من فتنة المحيا والممات .

## ٨ ـــ الإعجاز الإلهي وقبول شفاعة النبي يوم القيامة :

**الحديث الحادي عشر :**

حديث طويل عن أهوال القيامة .

وقد جاء في نهايته قول النبي ﷺ

ونبيكم قائم على الصراط يقول :

رب سلم سلم

حتى تعجز أعمال العباد[٢٨]

وهذا الحديث يبين لنا أن أعمالنا الصالحة انما هي طريق إلى رحمة الله وليست وفاء بحقوق الله علينا[٢٩]

وعجز أعمالنا الصالحة عن القيام بكل ما يجب علينا لله تعالى ، معنى جاءت به السنة وتفردت به ولكنه وثيق الصلة بالحقائق التي سبقت بها آيات القرآن واستخلصت منها التعريف للإعجاز الإلهي في الخلق والوحي . ثم جاءت الأحاديث السابقة بوجه من العلم ، يكتمل بها فهمنا وتتم بها معرفتنا لجملة ـــ الحقائق الخاصة بذلك .

ولقد جاء في هذا الحديث ، بيان لشفاعة النبي ﷺ ، لمن استحق شفاعته يوم القيامة .

وهذه الشفاعة تكون بإذن من ربه عز وجل .

وهذا أمر له مغزاه في بيان الإعجاز الإلهي والعجز البشري .

هذه كلها أصول أجمل الوحي الإلهي فيها الحدود الفاصلة بين ما جعله الله ، مناطا لقوة الإنسان ومجالا للتقدم في العلم النافع والعمل الصالح ، وبين ما جعله الله سبحانه سببا في عجز الإنسان وتخلفه ، فطاعة الله معها التقدم والتعلم والنجاح والفلاح ، وعصيان الله معه دائما الخسران المبين والعجز الأليم .

## من أصول الإعجاز العلمي
## عند طائفة من العلماء السابقين

سننظر — بعون الله — إلى ما سبق به الرواد الأوائل ، ممن كتبوا عن الإعجاز ، ابتداء من الخطابي في القرن الرابع الهجري ، وانتهاء بالسيوطي في القرن التاسع الهجري .

ثم نختم هذا العرض ، بمثل واحد من العلماء المعاصرين ، هو العلامة الراحل ، الدكتور الغمراوي .

### ١ — مع الخطابي وكلامه عن المنهجين المعنوي والتركيبي :

القرآن الكريم ، يحمل معه علوما بعدد كلماته ، وعدد تراكيبها ، وتراتيبها .

والخطابي يركز اهتمامه على منهجين اثنين ، يستخلصهما من سور القرآن وآياته(٣٠) .

فأما المنهج الأول : فهو المنهج المعنوي ، وأساسه أن يستخلص كل من يقرأ القرآن ، ما يتسير له من معانيه ، لتكون فرقانا يعرف به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال .

ذلك أن معاني القرآن حق خالص ، ويقين دائم ، ومهما تكن الفترة التاريخية ، لكل أمة من الأمم ، التي تحيا في نوره ، فإن كل أمة تأخذ منه ما يناسب عصرها ، ومبلغها من العلم ، ومع ذلك فإن الذي يقف عند النور القرآني ، لا يتعداه بأوهامه ، وظنونه ، لا يزال في حصن حصين من عثرات الفكر ، وسقطات الضلال ، وسيئات الأقوال والأعمال .

يقول الله تعالى :

**« الشمس والقمر بحسبان »**

٥ : الرحمن

فأهل العلم القدامى قالوا عن قوله تعالى « **بحسبان** » ، أي بحساب فعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال في حديث عن مقادير الزكاة ، ( ولا يفرق أبل عن حسبانها )(٣١) ، أي حسابها .

وعن أبي مالك رضي الله عنه .. « **الشمس والقمر بحسبان** » قال عليهما حساب وأجل كأجل الناس ، فإذا جاء أجلهما هلكا(٣٢) .

ومجاهد من كبار التابعين ، وتلميذ الصحابي الجليل ابن عباس ، فسر لنا هذه الكلمة بقوله أي بحسبان كحسبان الوحي ، وزاد القرطبي : يعني يدوران في مثل القطب(٣٣) .

حتى إذا وصلنا الى الراغب الأصفهاني المتوفي سنة ٥٠٣ هـ وجدناه يقول عن قوله تعالى « **بحسبان** » أي ما يحاسب عليه فيجازي بحسبه(٣٤) .

أما في القرن الثامن الهجري فإن ابن كثير المتوفي سنة ٧٧٤ يقول عن قوله تعالى « **بحسبان** » أي يجريان متعاقبين ، وبحساب مقنن ، لا يختلف ولا يضطرب .

والمعاصرون من أهل العلم ، يربطون بين هذا كله في تنوع لا تناقض فيه ، ليؤكد لهم ما وصلوا إليه من الحقائق الدالة على أن لكل ذرة فما فوقها ، حسابا خاصا بها .

فهذا التنوع الذي يتسع لكل درجات الفهم للحقيقة الواحدة ، ليصلها جميعا باليقين من وجوه كثيرة ، لا يقدر البشر أن يحققوه لمعانيهم بحال من الأحوال .

والقرآن مهما تتنوع الصيغ في كلماته ، فهي دائما تصلنا بمدلولاتها العملية في الوجود كله ، وصلا دائما لا انقطاع له ، لأنه قائم على الحق الذي لا يختلف ، واليقين الذي لا يزول .

وانظر — مثلا — إلى قول الراغب الأصفهاني عن قوله تعالى « **وهم من كل حدب ينسلون** »

٩٦ : الأنبياء

الأصل في الحدب حدب الظهر ، يقال ناقة حدباء ، ثم شبه به ارتفاع من الأرض .

فكأن الراغب نظر إلى أن قوله تعالى « **من كل حدب** » أي من كل مكان مرتفع(٣٥) .

ولكن أهل العلم من المعاصرين يعلمون يقينا أن الأرض كروية الشكل ، فكلمة حدب تتسع لكل مكان من الأرض ، وقوله تعالى ينسلون يتسع ، لكل مشاهد النزول من أعلى إلى أدنى ، وهذا هو شأن الزحام حين نشاهده ، من بعيد .

ولو جاء هذا المشهد في كتاب بشري ، يحدثنا اليوم عن كروية الأرض ما التفت صاحبه إلى تضمين هذا المعنى في كلمة واحدة هي كلمة ( حدب ) فربما قال من كل صوب ، أو من كل سبيل ، ولم يذكر الحدب ، على وجه التحديد .

وتتنوع الكلمة في مثل هذا الشأن حيث يقول الله تعالى :

« **يأتين من كل فج عميق** »

٢٧ : الحج

فأنت ترى أن كلمة عميق بعد كلمة فج أفادت معنى التكور ، على نحو من الوجوه ، فالعمق تصحبه الاستداره تعني الانثناء والانحناء ولهذا قالوا :

الفجاج جمع فج منها الظليم أي ذكر النعام ، يبيض بيضة واحدة ، وجاء في شعرهم

بيضاء مثل بيضة الفجاج

وقالوا حافر مفج مقبب

وقالوا واد أفجيج أي عميق وربما سمى به التثني في الجبل(٣٦) .

فها نحن نرى أن حقيقة استدارة الأرض ، لم تفارق أي كلمة من الكمات التي لم تأت أصلا في هذا الشأن ، وإنما جاءت في أمور أخرى ، وفي صيغ لغوية شديدة التنوع ، مما كان يحتمل معه أن لا تتسع لمثل هذه الحقائق البعيدة عن سياقها وقصدها .

انه كلام الله وكفى .

وإعجازه يحمل معه ، دفعا متواصلا لكل حقائق التقدم العلمي .

أما المنهج الثاني : فهو المنهج التركيبي ، الذي ننظر من خلاله ، الى عدد المواضع الذي يخص كل قدر من الكلام في القرآن

كله ، فمهما تكثر مواضع كلمة قرآنية فهي واحدة في نصها ، ولما كانت كثرة مواضعها ، مما يظن معه الاختلاف أو التناقض ، فهي في هذه الحالة تتصل بوجوه متجددة ، ولكنها مترابطة في حركة واحدة لا تنقطع ، مع الترتيب المعجز في مقاصدها(٣٧) .

وهذا وجه آخر من وجوه التقدم العلمي المتواصل الذي يحمله معه إعجاز القرآن

١ — والخطابي يصف المنهج المعنوي حيث يقول :

في إعجاز القرآن ، وجه آخر ، ذهب عنه الناس ، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم .

وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك تسمع كلاما غير القرآن ، منظوما أو منثورا ، إذا قرع السمع ، وخلص له إلى القلب ، من اللذة والحلاوة ، في حال ، ومن الروعة والمهابة ، في أخرى ، ما يخلص منه إليه .

٢ — ثم يتجه إلى المنهج التركيبي فيقول :

إنما يقوم الكلام ، بهذه الأشياء الثلاثة فقط :

لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لها ناظم .

وإذا تأملت القرآن ، وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ ، أفصح ولا أجزل ، ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظاما أحسن تأليفا ، وأشد تلاؤما ، وتشاكلا من نظمه .

٣ — ثم يربط بين المنهج المعنوي ، والمنهج التركيبي — معا — فيقول :

وأما المعاني فلا خفاء على أي عاقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقي الى أعلى درجات الفضل في نعومتها ، وصفاتها(٣٨) .

ومعاني القرآن زاجرة بحقائق العلم ، التي تفتح الطريق دائما أمام التقدم في آفاقها .

ثم يبين الخطابي أن الأصول الثلاثة وهي اللفظ الحامل ، والمعنى ، الذي يقوم به ، والرباط الذي ينظمه ، لا تأتي بتمامها إلا في كلام الله ، الذي أحصى كل شيء عددا ، وأحاط بالكلام كله علما(٣٩) .

والخطابي في هذا القدر من كلامه ، ربط بين الوحي القرآني في معانيه وتراكيبه ، وبين وقائع الوجود كله ، وبهذا جاءت السنّة ضمن وقائع الوجود .

ولكن السنّة أصل تشريعي ، مصاحب للأصل الأول وهو القرآن ، فلو خصها بالذكر ، وبحث في تركيبها بالنسبة لآياته وسوره ، لزادنا بيانا ، على بيان ، وتم هذا الكلام القيم من كل وجوهه .

فلعله جاء بهذا الطلب في موضع آخر من كلامه ، ولم أطلع عليه .

ولعله اكتفى بالاجمال حيث كنا نحتاج إلى التفصيل .

ومهما يكن من أمر ، فإننا بحاجة إلى

كلام الخطابي ، في عصورنا هذه المتأخرة ، أكثر مما احتاج إليه المتقدمون .

وهذا من روعة هذا الكلام ، وكثرة وجوه العلم فيه .

**٢ ــ مع الباقلاني ورأيه في الإعجاز بين القرآن والسنّة :**

إن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل ، والعلو والنزول ، والتقريب والتبعيد ، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم ، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع .

أما القرآن فهو على اختلاف فنونه ، وما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة ، والطرق المختلفة فهو يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الإفراد إلى حد الآحاد .

وهذا أمر عجيب ، تبين به الفصاحة ، وتظهر به البلاغة ، ويخرج معه الكلام ، عن حد العادة ، ويتجاوز العرف[٤٠] .

ونقف عند قول الباقلاني ( إن القرآن يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب ، والمتنافر في الإفراد إلى حد الآحاد ) .

ومن معاني هذا الكلام للباقلاني رحمه الله ، أن القرآن كله ، في جملته وتفصيله ، متجدد في صلاته ، فلكل قدر من كلماته ، تفرد في مبناه ومعناه ، وحركة دائبة في مواضعه ، من الآيات والسور ، فلا ينبغي أن يؤمن الناس ببعض منه ويكفروا ببعض ، وإنما كلام الله ، وما يفسره ، ويطبقه ، من سنة نبيه ﷺ ، ملزمان للناس كافة ، بوجوب العمل بهما معا ، إلى يوم القيامة .

ولكن الباقلاني ، جاء بخطب من خطب النبي ﷺ ، وكتب من كتبه إلى ملوك العالم ، وقال : ( قد بينا أنّا إذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه ، وبين نظم القرآن ، تبين من البون بينهما ، مثل ما بين كلام الله عز وجل ، وبين كلام الناس .

فلا معنى لقول من ادعى ، أن كلام النبي ﷺ ، معجزه وان كان دون القرآن في الإعجاز[٤١] .

وهذا كلام يقتضينا أن نتبين معا أن السنّة القولية والعملية والتقريرية ، ليست داخلة في كلام البشر ، ولا أفعالهم ، ولا تقريرهم ، وإلا كان الإلزام بهذا كله من النبي ﷺ ، كالإلزام بما صدر من غيره من سائر الناس ، سواء بسواء .

وما كان لمؤمن بالله ورسوله ، أن يدعي هذا أو يعتقده ، بحال من الأحوال .

**« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »**

٨٨ : الإسراء

وكيف يتصور أحد ذلك ، مع قول النبي ﷺ : ( ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول :

عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فله أن يُعْقِبَهُم بمثل قراه )(٤٣) .

فالآية السابقة من سورة الإسراء ، جاءت ببيان عجز البشر أن يأتوا بمثل القرآن .

أما الحديث النبوي السابق ، فقد جاء ببيان عجز البشر أن يأتوا بمثل السنّة ، لأنها تتضمن حقائق تشريعية جديدة بالنسبة ، للحقائق التشريعية في القرآن .

فهكذا نعلم أن عجز البشر ، أن يأتوا من عند أنفسهم بمثل كلام الله ، كعجزهم أن يأتوا من عند أنفسهم بمثل السنّة ، التي خص الله بها نبيه من بين عباده جميعا .

عن أبي إمامة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : ( ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي ، مثل الحيين ربيعة ومضر ، وإنما أقول ما أُقَوَّلُ )(٤٤) .

إن هذه الكلمة الجامعة في هذا الحديث النبوي « إنما أقول ما أُقَوَّل » تَرُدُّ الإعجاز في أحاديث النبي ﷺ ، إلى الفعل الإلهي ، في انطاق الله تعالى ، لعبده وخاتم رسله بما أنطقه به .

يقول الله تعالى : « **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** »

٣ ــ ٤ : النجم

ولكن الباقلاني ــ رحمه الله ــ وقف عند خوفه من أوهام الملحدين ، أن يدعوا أن القرآن ، من كلام محمد ﷺ ، وهؤلاء لا وزن لهم ، ولا ينبغي أن نسكت عن الحق من أجلهم .

ولقائل أن يقول بعد ذلك أن ــ الباقلاني رحمه الله ــ نظر إلى ما تفرد به القرآن من الفصاحة التي لا ينبغي أن تجدها في أي كلام غيره .

والحق مع الباقلاني في ذلك ، ولكن الله تعالى ، جعل للإعجاز القرآني ، آثارا ، بكل مقوماتها القولية ، والعملية ، والتقريرية .

ولهذا جاءت بعد قول النبي ﷺ : ( ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ) أو أمر من النبي ﷺ ، متصلة بأصول قرآنية ، ولكنها منفصلة في الحديث تفصيلا لم يأت بنصه في القرآن .

فقوله تعالى : « **يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** »

١٥٧ : الأعراف

يتسع لكل المعاني السابقة ، من حقيقة الإلزام الإلهي ، بالقرآن والسنّة معا ، كما يتسع لقوله ﷺ ( ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ) .

فقد شاء الله أن يحرم ، كل الخبائث إجمالا كما جاء في القرآن ، وأن يحرم رسوله بما علمه الله ، وبما أذن له ، أكل لحم الحمار الأهلي ، كما جاء هذا التفصيل في السنّة ،

وبذلك نظل ملتزمين بالوحي الإلهي ، من قرآن وسنّة ، التزاما دائما .

هذه الأمور لم يتحدث عنها الباقلاني ، ولو تحدث عنها ، وهو أهل لذلك ، لما وقف عند حد الخوف ، مما يدعيه الملحدون ، بل لغلبهم على أمرهم ، بهذا التنسيق المعجز ، بين معاني القرآن ، ومعاني السنّة ، وهو أمر لا يقدر على أن يأتي من شاء من عباده ، ويجعله ملزما للناس كافة ، إلا الله وحده .

فهذا كله يؤكد لنا أن الإعجاز في حقيقته الأساسية ، إنما هو في كل أفعال الله ، أوقواله ، وإحاطته بكل شيء ، من خلقه ووحيه .

ثم إن الباقلاني — رحمه الله — حيث وقف عند الناحية اللغوية وحدها ، بما هو متعلق بها من الفصاحة ، والبلاغة ، لم ينفذ إلى المضمون المعجز الذي جاء في كلام النبي ﷺ .

ذلك أن الباقلاني ، ضمن كتابه ، عددا من خطب النبي ﷺ ، محاولا بها أن يؤيد رأيه في أن الفرق ، بين القرآن ، والحديث النبوي هو كالفرق ، بين كلام الله ، وكلام سائر الناس (٤٥) .

ثم ذكر الباقلاني أنه يخشى أن يقول إن السنة غير كلام سائر الناس ، حتى لا يظن الملحدون أن القرآن نفسه ، من كلام النبي ﷺ !!

وفي الحقيقة أن كلام الله تعالى ، له من الفضل على سائر الكلام ، ما ليس لغيره .

ولكن الله شاء جلت حكمته ، أن يلزمنا بوحيه القرآني ، ثم بوحيه في الحديث النبوي ، الزاما واحدا ، لا اختلاف فيه ، من حيث وجوب اتباعه ، والاحتكام إليه ، والتسليم له .

فهكذا نعلم ، أن الحديث النبوي ، مع سائر أعمال النبي ﷺ ، وتقريراته ، كل هذا له حظه من الإعجاز ، بمعنى أنه لا يقدر أحد غير خاتم رسل الله ، أن ينطق به ، أو يكلفنا بالأعمال المستفادة منه .

ولو كان كلام النبوة ، بالنسبة لكلام الله ، مثل كلام سائر الناس ، لاستطاع مسيلمة الكذاب ، وسجاح ، والأسود العنسي ، أن يؤيدوا دعواهم الكاذبة ، بألوف القصائد الرائعة ، والخطب الفصيحة ، ولو انتحلوها ، انتحالا ، وأعانهم عليها ، أتباع كثيرون .

ولكن صلة السنّة النبوية ، بكلام الله ، وهي صلة عقدها الله تعالى ، هي مناط الإعجاز في السنّة .

ولولا ذلك لكانت الدنيا بأسرها ، بوسائل اعلامها الحديثة ، ومطابعها ومكتباتها ، وفلاسفتها ، وعلمائها ، قادرة أن تلزمنا بهذا كله ، أو بشيء منه ، أو تقنعنا

بأنه كلام لا ريب فيه ، ولا مجال لأي خطأ فيه ، ولكن هيهات هيهات ، ان كلام الله وسنّة رسوله ، مصدران تشريعيان لا خطأ فيهما البته ، وهذا هو الجانب العملي في إلزامهما للناس كافة ، إلزاما يقوم على الاقناع بلا قهر ولا تسلط ، لأنه هو الحق الذي لا باطل فيه ، وهذا هو سر تغلغلهما في القلوب ، ورسوخ حبهما الدائم في النفوس .

أما كل النظريات الفلسفية ، فهي تختلف عن شروحها ، ويعارضها الكثير من تفسيراتها ، بوعي من المفسرين ، أو بغير وعي منهم ، لأن الناس يكتشفون فيهما الخطأ بعد الخطأ ، والتناقض مع حقائق الوجود ، بعد التهافت .

وبذلك ندرك الأصل العملي ، للحدود الفاصلة بين الإعجاز في كلام الله وسنّة رسوله ، وبين نظريات البشر ، وما يتداعى عليها من شروحها القولية ، وتطبيقاتها العملية ، وسائر ما يقر عليه أصحابها بعضهم بعضا ، من أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم .

ولننظر في خطبة أيام التشريق ، التي ضمنها الباقلاني كتابه ، ليبني عليها وعلى غيرها من كلام النبي ﷺ ، رأيه الذي ناقشناه — معا — في هذا السياق .

( يأأيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم ، وفي أي يوم أنتم ، وفي أي بلد أنتم .

قالوا : في يوم حرام ، وشهر حرام ، وبلد حرام .

قال : فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، إلى يوم تلقونه .

ثم قال : اسمعوا مني تعيشوا ( ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا )

ألا إنه لا يحل مال امرىء إلا بطيب نفس منه ، ألا وإن كل دم ومال ومأثرة ، كانت في الجاهلية ، تحت قدمي هذه ، إلى يوم القيامة ، وان أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، كان مسترضعا ، في بني ليث ، فقتلته هذيل .

ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع ، وان الله عز وجل ، قضى أن أول ربا يوضع ، ربا العباس بن عبد المطلب .

لكم رؤوس أموالكم ، لا تُظلَمون ولا تَظلِمون .

ألا وإن الزمان ، قد استدار كهيئته ، يوم خلق الله السموات والأرض ، ثم قرأ « **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** »

٣٦ : التوبة

ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

إلا إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ، ولكنه في التحريش بينكم .

فاتقوا الله عز وجل في النساء ، فإنهن عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وان لهن عليكم ، ولكم عليهن حقا ، أن لا يوطئن فرشكم أحدا غيركم ، ولا يأذنَّ في بيوتكم لأحد تكرهونه ، فإن خفتم نشوزهن ، فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، ضربا غير مبرح .

ولهن رزقهن ، وكسوتهن ، بالمعروف ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن ، بكلمة الله عز وجل .

ومن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وبسط يديه فقال : ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ، ألا هل بلغت ثم قال : ليبلغ الشاهد الغائب ، فإنه رب مبلغ أسعد من سامع (٤٦) .

إن الباقلاني — رحمه الله — نظر إلى ناحية الفصاحة اللغوية وحدها ، كما يفهمها هو ومعاصروه ، في القرن الرابع الهجري ، وكل ما فيها هو فخامة الديباجة ، واختيار الغريب من الألفاظ ، وإظهار البراعة في سبك المعاني ، وحسن صياغتها .

ولو نظر إلى الصلة التي عقدها الله تعالى ، بين القرآن والسنّة ، لفتحت أمامه ، كنوز الحقائق ، التي لا سبيل إليها في غير الوحي الإلهي .

لقد تحدث النبي ﷺ ، عن المكان والزمان ، وعن الحلال والحرام ، وصلتهما بما يهتم به الناس ، من دمائهم وأموالهم وأعراضهم .

ثم بين حقائق العدل ، حيث نهى عن الظلم ، وبين حرية الإنسان في أن يحتفظ بأمواله ، فلا يأخذها أحد ، عن غير طيب نفس منه .

ثم بين النبي ﷺ ، أن الله أمره أن يضع دماء الجاهلية ، وربا الجاهلية ، وأمره أن يخص بالذكر دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وربا العباس بن عبد المطلب .

ثم بين النبي ﷺ ، أن رؤوس الأموال ، هي الأصول التي أمر الله أن يحتفظ بها أصحابها ، ليستقبلوا بها أيامهم المقبلة ، في الحياة الإسلامية .

وهنا بين النبي صلوات الله وسلامه عليه ، إن الزمان قد استدار ، كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض .

واستدارة الزمان ، شيء يعرفه في تاريخنا المعاصر ، كبار العلماء الذين يعرفون تكوين أجزاء السموات والأرض وما بينهما ، ومكوناتهما الدقيقة ، على مستوى الذرة ، والخلية ، وصلة كل شيء من ذلك بالزمان والمكان .

وهؤلاء العلماء ، هم الذين يدركون سر العظمة ، في قول النبي ﷺ ( إن الزمان استدار ) .

وقد تكون الاستدارة بمعنى الحركة ، التي علمنا أخيرا أنها دائرية ، كما أن مكونات كل

شيء فيَ خلق الله دائرية الشكل ، والهيئة ، وبذلك ندرك سر العظمة ، في قول النبي ﷺ ، ( إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ) .

وهنا قرأ النبي ﷺ ، الآية السادسة والثلاثين من سورة التوبة .

وهذه الآية تأتي من حيث الترتيب في المصحف ، في بداية الترتيب لأربعة آيات ، جاء فيها كلها ، قوله تعالى : « **ذلك الدين القيم** » موصولا بباب جديد من أبواب العلم في القرآن كله ، مع كل آية بذاتها ، من بين هذه الآيات الأربع .

١ ــ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا إلى قوله تعالى : « **ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** »

٣٦ : التوبة

إن الزمان من أهم حقائق الغيب الذي يواجهه الإنسان ، منذ شعوره بذاته ، فوق الأرض ، وتحت السماء .

فلهذا ولكثير مما لا نحيط بعلمه ، جاءت هذه الآية في المقدمة من حيث ترتيب الآيات الأربع السابقة الذكر ، بين سور المصحف .

**٢ ــ « ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »**

٤٠ : يوسف

فلما تم بيان علاقة الإنسان بالزمان ، في آية التوبة ، جاء في الآية السابقة من سورة يوسف ، بيان أول ما يحتاج الإنسان من أعلى أنواع المعرفة ، وهو معرفته لإلهه الحق ، وهو الله لا إله غيره .

**٣ ــ « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »**

٣٠ : الروم

لقد جاءت هذه الآية في ترتيبها بين الآيات الأربع التي نجد فيها قوله تعالى « **ذلك الدين القيم** » لأنها بينت لنا أن النبي ﷺ ، مكلف من ربه أن يتبع دين الله الذي فطر الله عليه كل المجتمعات الصالحة ، فيما خلا من التاريخ قبله ، وفطر عليه السموات والأرض ، وسائر خلق الله الذي لا تبديل له .

فها هنا يظهر لنا النظم الإلهي للزمان والمكان ، في حقيقة جامعة .

**٤ ــ « فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله »**

٤٣ : الروم

إن هذه الآيات الأربع ، بترتيبها القرآني ، العظيم في إعجازه ، قد انتهت بنا مع آخر آية فيها ، إلى يوم القيامة ، وبينت أن النبي ﷺ ، مكلف أن يستمر على العمل بدين الله ، لا لنفسه وحده ، وإنما لكل الناس ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فلهذا وجدنا خطبة أيام التشريق ، قد أخذت بعد قراءة الآية السادسة والثلاثين من سورة التوبة ، الطريق المنتهي إلى بيان النهي عن الحرب بين المسلمين بعضهم بعضا ، وبيان أن الشيطان قد يئس أن يعبده المسلمون ، بعد أن أسلموا ، ولكنه يحرش بينهم ، أي يوقع بينهم العداوة والبغضاء .

ولأن المسلمين يتكاثر عددهم ، منذ عهد النبي إلى قيام الساعة ، فقد قال النبي ﷺ : فاتقوا الله في النساء ، ثم بين حقوق الرجال على النساء ، وحقوق النساء على الرجال ، ثم أمر بالأمانة ، حتى أنهى خطبته بقوله : ألا هل بلغت ( ثلاثا ) ، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أسعد من سامع .

إن هذه الخطبة ، تقوم على ترابط وثيق بين قضايا كل مكان وزمان ، كما جاءت مجملة في القرآن ، وكما فصلتها هذه الخطبة في السنّة أو أن حاولنا — معا — أن نصيب بعض الحقيقة أكثر من ذلك ، فإننا نقول : ( إن معاني القرآن والسنّة ، كما ظهرت معجزاتهما معا ، في الآيات الأربع التي فتحت لنا هذه الخطبة أبوابها ، وكذلك في الخطبة ذاتها ، إنما هما متفاعلان تفاعلا لا يقدر على تنسيق أجزائه ، وربطه بتأثيراته الدائمة ، في جملة الحقائق الخاصة به ، في كل زمان ومكان ، إلا الله وحده لا شريك له .

وهذه الحقائق لا تخفى على الباقلاني الذي تعلمنا منه ، كيف نفكر في الإعجاز .

ولكنه كان يتحدث عن النص القرآني في ذاته ، لا عن تأثيره العملي في الحياة ، وهو معجز بنصه وتطبيقاته العملية معا ، غير أن هذه الأخيرة لا يتم الكلام عنها ، إلا مع الكلام عن السنّة .

فلا ريب في أن التقدم العلمي ، بكل أنواعه ، يجد آفاقه الرحيبة ، في الربط بين القرآن ، والسنّة النبوية ، والسنة الكونية ، بما يتفق مع كل قضية بذاتها من قضايا العلوم .

**٣ — مع الخطيب الاسكافي في بيانه للآيات المتشابهات :**

في كتاب ( درة التنزيل وغرة التأويل ، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ) يحدثنا الخطيب الاسكافي[(٤٧)] عن التركيب القرآني ، المتجدد المقاصد ، مهما تتشابه آيات القرآن .

وننظر إلى ثلاث آيات متشابهات لنرى كيف تحدث عنها الخطيب الاسكافي .

**١ — « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**
٦٢ : البقرة

**٢ — « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** ٦٩ : المائدة

٣ ــ آية سورة الحج وفيها قول الله تعالى : **« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة »**
١٧ : الحج

يقول الاسكافي ــ رحمه الله ــ

للسائل أن يسأل فيقول : هل في اختلاف هذه الآيات ، بتقديم الفرق وتأخيرها ورفع الصابئين في آية ، ونصبها في أخرى ، غرض يقتضي ذلك ؟

والجواب أنه ( لا بد من حكمة هناك تطلب ، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم ، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم )(٤٨)

١ ــ ونلخص ما قاله الإسكافي عن ذلك فنجده يبين لنا أن ترتيب المقاصد لآية البقرة قد تم على أساس الفترات التاريخية التي جاءت فيها الكتب السابقة بحسب فترة كل كتاب منها .

أما الصابئون فهم قوم يتقلبون من دين إلى آخر ، ولهذا جاء ذكرهم بعد ذكر أهل الكتابين .

٢ ــ أما الترتيب في آية المائدة فقد تم على أساس كل أمة من هذه الأمم فالصائبون وجدوا قبل النصارى ، ولهذه ذكروا قبلهم ، وقد جاءت الصابئون مرفوعة على أن النية فيه التأخير بعد خبر ان وتقديره ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فهو مبتدأ والخبر محذوف(٤٩) .

٣ ــ أما آية الحج فقد ذكرت فيها هذه الأمم ، وفق أزمنتها كذلك ، مع تأخير الذين أشركوا ، لأن النبي ﷺ ، بعث فيهم ، وجاءهم بالدعوة الخاتمة الى دين الله تعالى .

وبانتهاء ملحوظات الاسكافي ، رحمه الله يتبين لنا أن هذه الآيات الثلاث قد جاء في أولها ترتيبا وهي آية البقرة قوله تعالى :

**« فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »** .

بينما آية المائدة وهي الثانية ، في ترتيب المصحف ، قد جاء فيها قوله تعالى :

**« فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**

ولم نجد فيها **« فلهم أجرهم عند ربهم »**

فتبين بذلك أن آية البقرة لمن مات منهم ، بينما آية المائدة لمن بقي على دينه منهم ولم يمت سواء أدرك النبي ﷺ ودخل في دينه ، أو لم يدركه ، وإنما كان مؤمنا به ، ومات على ذلك قبل بعثته ، على أساس انه قرأ عنه في التوراة والإنجيل .

وبذلك تكون الآيتان قد صورتا حالة هؤلاء جميعا ، في حال موتهم أو حياتهم ما داموا كما قال الله عنهم **« من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا »** .

والإيمان بالله واليوم الآخر ، يقتضي أن يكونوا أهل توحيده ، وأن يكونو مؤمنين ببعثة النبي محمد ﷺ ، فهم على هذا الاعتقاد سواء أدركوه فآمنوا به أو ماتوا قبله مؤمنين ، بأنه مبعوث لا محالة .

ومن الدليل على ذلك أن الآية الأخيرة ،

في ترتيب المصحف ، وهي آية الحج جاء بها قوله تعالى :

**« إن الله يفصل بينهم »**

ولم نر بها تأمينهم من الخوف والحزن ، كما جاء في آية البقرة وآية المائدة .

فهذا يدل على أن آية الحج ، تخص المعاصرين للنبي ﷺ ، من هؤلاء جميعا .

ومع أن هذا الفهم يقوم على مجرد الاجتهاد في الرأي إلا أن نصوص هذه الآيات المتشابهات ، تؤكد ثلاثتها ما ذهبنا إليه والعلم كله عنده تعالى .

ثم ان مما يؤكد هذا أيضا ، هذا الحديث الذي يبين لنا ، سبب نزول آية البقرة .

فقد روى مجاهد قال : قال سلمان الفارسي رضي الله عنه ، سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم ، قلت يارسول الله : كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنك تبعث بيننا ، فأنزل الله هذه الآية(٥٠) .

وهكذا نفهم ان ما جاء في هذه الآية إنما هو أمر مخصوص ، يخص حالة بعينها هي حالة الذين آمنوا بالكتب الإلهية السابقة وعملوا بها ، وعرفوا منها نبوة محمد ﷺ ، وآمنوا به ثم ماتوا قبل بعثته .

وهكذا نعلم أن السنّة تضع لنا أي حقيقة قرآنية ، في صيغة مترابطة مع الواقع العملي للحياة المتجددة وهذا المنهج يفتح آفاق التقدم العلمي ، حيث يعلمنا كيف ترتب أحداث التاريخ ونترقب ، ما هو غيب منها حتى يجيء أوانه .

ولكن الاسكافي ــ رحمه الله ــ لم يربط اجتهاده في فهم الآيات المتشابهات بما يفسرها من السنّة .

ولو فعل الاسكافي ذلك ، لكان كتابه أكثر نفعا ، وأوضح بيانا ، ولكل درجات مما عملوا .

والحمد لله رب العالمين

## ٤ ــ مع تاج القراء الكرماني في نفس التكرار عن القرآن

التكرار في كلام البشر ، هو استعمال قدر من الكلام ، مرات كثيرة ، حيث تكفي مرة واحدة .

أما القرآن فإن كل صلة بين الكثير والقليل من كلماته ، دائمة التجدد ، موصولة التفرد .

وكلام هذا شأنه ، لا مكان فيه للتكرار وإنما هو الإحكام والتفصيل ، الذي لا يقدر على مثله إلا الله وحده .

ولقد بين تاج القراء الكرماني بعض الأصول التي يقوم عليها هذا النظم ، الذي لا تكرار فيه ، مهما تتعدد ، مواضع الآيات ومواضع أجزائها في جملة القرآن وتفصيله(٥١)

فمما بين الكرماني ، أنه ينفي التكرار عن الكلمة القرآنية المتعددة المواضع ، انه نظر في قوله تعالى :

**« صراط الذين أنعمت عليهم غير**

**المغضوب عليهم ولا الضالين »**
٧ : الفاتحة

ثم قال :
إن كلمة ( عليهم ) لا تكرار فيها ، لأن كل واحد من موضعيها متصل بفعل غير الآخر ، وهو الانعام والغضب .
فإذا نظرنا إلى الأسس التركيبية ، التي تقوم عليها هذه الحقيقة ، التي تحدث عنها الكرماني ، فإننا نعود ــ معا ــ إلى القواعد الثلاث التي تحدثنا عنها من قبل .
١ ــ فكلمة ( عليهم ) ثابتة على نصها مهما تهدد مواضعها .
٢ ــ وهذه الكلمة متصلة بجديد من المقاصد ، مع كل موضع نجدها به .
٣ ــ وهناك إعجاز في ترتيب هذه المقاصد لأن قوله تعالى :
**« صراط الذين أنعمت عليهم »**
قد اتصلت فيه كلمة عليهم ( بالإنعام ) وهو موضعها الأول في سورة الفاتحة .
أما قوله تعالى :
**« غير المغضوب عليهم ولا الضالين »**
فقد اتصلت فيه كلمة عليهم بالغضب والضلال
ولقد جاء في السنّة قول النبي ﷺ ، لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي (٥٢)
فبذلك ندرك سر الإعجاز في ترتيب الإنعام قبل الغضب .
والنظر في ترتيب كل كلمة قرآنية متعددة المواضع ، يعلمنا البحث العلمي ، في مكونات السموات والأرض ، وكيف نجد كل نوع من أنواع الخلق ، ثابتاً على نوعه شكلا ومضمونا ، ثم نجده متجدد الصلة بكل موضع من مواضعه في الوجود ثم نجده مرتبا في مجتمع يخصه .
ويتحدث الكرماني عن مواضع قوله تعالى **« من شر »** كما نجدها في سورة الفلق ، حيث ارتبطت في الآية الثانية بالشر كله حيث قال تعالى **« من شر ما خلق »**
ثم تبع ذلك ما هو أصغر مما قبله وأكبر مما بعده ، حيث جاء ذكر القبر إذا أظلم .
**« ومن شر غاسق إذا وقب »** ثم تبعه أصغر منه وأكبر مما بعده حيث جاء ذكر الساحرات وهن يجمعن بين الحمد ، وبين عمل من الأعمال الناتجة منه وهو السحر .
**« ومن شر النفاثات في العقد »**
وأخيرا جاء ذكر الحاسد إذا حسد ، لأنه لم يبلغ ما بلغته النفاثات في العقد إذ جمعن بين الحسد والعمل به ، بينما هذه الآية الأخيرة جاء فيها الاستعاذة بالله من الحاسد إذا حسد ، فهذا أخف لأنه فيه شرطا إذا وقع فعلا ، فقد سبقته الاستعاذة منه ، وكهذا تأخر ترتيبه ، حيث ختمت هذه السورة بقوله تعالى : **« ومن شر حاسد إذا حسد »**
أما الذي جعلنا نفهم أن الغاسق إذا وقب هو القمر إذا دخل في الظلام ، فهو حديث نبوي صحيح الاسناد .

عن عائشة رضي الله عنها قالت ، نظر رسول الله ﷺ إلى القمر لما طلع فقال

ياعائشة استعيذي بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب[٥٤] .

فهذا تفسير لمعنى من معاني الشر وبيان لسر من أسرار الخلق ، هو أن في كثير من المخلوقات خير من وجه وشره من وجه آخر .

فالقمر إذا هو منير فهذا مما أودع الله فيه من الخير ، بينما هو إذا ذهب نوره ، كما هو شأنه عند قيام الساعة ، فهذا شر على الكافرين .

ولو ربط الكرماني بين تفسيره لنظم القرآن وما فيه من نفي التكرار ، عما تتعدد مواضعه من آياته وأجزائها ، وبين ما يفسر من السنّة لزادنا بيانا كما رأينا .

أما أصول التقدم العلمي ، التي يقدمها لنا إعجاز القرآن ، وما يفسره من السنن النبوية ، والسنن الكونية ، فهي — هنا — في هذا الترابط بين الحقائق العلمية المتنوعة ، التي نجدها في علوم بشرية مختلفة ، مثل الفلسفة التي تختص بالبحث في الخير والشر ، ومثل الفلك الذي هو علمي كوني مستقل بذاته ، ومثل الحسد الذي يستقل به علم الأخلاق .

فالربط بين هذه العلوم كلها ، في علاقات مترابطة ، نوع من أنواع الإعجاز القرآني ، الذي يعيد التفكير العلمي إلى فطرته الأصلية من الوحدة الجامعة ، حيث لا مكان للتناقض بين الحقائق ، وإن تفرقت بها الاختصاصات العلمية المختلفة .

**٥ — مع عبد القاهر الجرجاني ، ونظريته في نظم القرآن**

تتلخص نظرية عبد القاهر الجرجاني في أن الإعجاز القرآني ، يعود في جملة وتفصيله الى النظم[٥٥]

والنظم كما تبينه عبد القاهر الجرجاني في آيات القرآن وسوره ، تجتمع فيه كل وجوه الإعجاز ، بحيث لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله ، مع أن البشر أنفسهم لا تقاس بلاغتهم إلا من خلال نظمهم لكلامهم

فهيهات أن يأتي المخلوقون بمثل نظم الخالق لكلامه !!

يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله

معلوم ان ليس النظم سوى تعلق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض .

والكلمة ثلاث ، اسم وفعل وحرف ، وللتعلق فيما بينها ، طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام :

١ — تعلق اسم باسم

٢ — تعلق اسم بفعل

٣ — تعلق حرف بهما

ثم يسهب عبد القاهر — رحمه الله — في بيان نظريته ، مبينا أن أسبابها هو حسن التصرف في وجوه النحو .

ويصل عبد القاهر رحمه الله ، بين وجوب نظرنا للمعاني المجردة للكلمات ، مع نظرنا للنواحي التركيبية ، في نظم الكلام ، فيقرر أن المزية للكلام إنما هي في نظمه باعتبار ملاءمة معنى اللفظة التي تليها ، وليس الفضل والمزية في الكلام أن ننظر في مجرد معناه[٥٦] .

وخلاصة ما يقرره عبد القاهر

١ ـــ انه لا فصل بين الكلام ومعناه ، ولا بين الصورة والمحتوى .

٢ ـــ ان البلاغة في النظم لا في الكلمة المفردة ولا في مجرد المعاني .

٣ ـــ ان النظم هو توخي معاني النحو ، وأحكامه وفروقه فيما بين معاني الكلم .

٤ ـــ ولذلك أخذ عبد القاهر يعرض لوجوه تركيب الكلام ، وفق أحكام النحو ، مستنبطا الفروق بينها ، عارضا لأسرار المزية والحسن والبلاغة فيها( ٥٧ ) .

ولقد اعترض طائفة من العلماء المعاصرين له ، على أساس أن النحو لا بد منه في كلام الله ، ثم في كلام البشر .

ولكن الجرجاني بين لهم انه لا يرى مجالا للنظر في النظم ، إلا فيما يتعلق بالنحو كما سبق في كلامه من قبل ، واحتج بأن عمل النحو في الكلام المعجز وغير المعجز لا يغير حقيقة كل منهما .

ثم نجد الجرجاني رحمه الله ينظر في قول الله تعالى

**« وقيل يأرض ابلعي ماءك وياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين »** .

ثم يقول ما معناه ان الإعجاز يتجلى في ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض .

ثم يقول انظر في كلمة ( ابلعي ) واعتبرها وحدها من غير أن ننظر في ما قبلها وما بعدها ، في السياق والنظم حتى تظهر البلاغة ، ويتجلى الإعجاز ونقول ـــ معا ـــ في أثناء عرضنا لكلام الجرجاني ، إن كلمة ابلعي معجزة في ذاتها ، لأنها تدلنا على حقيقة المياه الجوفية ، قبل اكتشافها أخيرا .

والجرجاني لا ينفي الإعجاز في كلمات القرآن وهي فرادى ، وإنما يقول إن الإعجاز يزداد أثره ، وتظهر مزاياه كاملة في النظم والترتيب .

فهو يقول :

هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي بمكانها من الآية( ٥٨ )

والحق مع الجرجاني في ذلك ، فالنظم يزيد وجوه الإعجاز ، لأنه يجمعهما كلها في صعيد واحد .

ولكن الحقيقة ، ان وجوه النظم في القرآن ، تظهر في الكلمات وهي فرادى كما تزداد في الكلمات وهي متصل بعضها ببعض ، ثم إذا أمعنت النظر في أجزاء الكلام من أحرف وجملة ـــ صغيرة أو كبيرة وجدنا في كل شيء من ذلك ـــ وجوها من الإعجاز يدل بعضها على بعض .

ولقد لخص الفخر الرازي كتاب دلائل الإعجاز تحت عنوان جديد هو نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز .

فحذا حذو الجرجاني في قوله

النظم عبارة عن توخي معاني النحو بين الكلم( ٥٩ ) .

ثم ختم كتابه هذا بفصول بين فيها أن القرآن لا تكرار فيه[٦٠] .

وهنا نعود إلى مناقشة عبد القاهر الجرجاني ، في اتخاذه علم النحو سببا أساسيا في تحقق الإعجاز في نظم القرآن .

ان ما وصل إليه الفخر الرازي في نهاية تلخيصه ، لنظرية النظم للجرجاني وهو نفيه للتكرار في القرآن ، هو الباب الذي ندخل منه إلى سر الإعجاز في نظم القرآن .

وسنرى أن هذا السر ، هو مواضع الكلم .

ذلك أن معاني النحو وتراكيب الصرف في كلام البشر يعملان معا — على توزيع حروف اللغة ، في مواضعها المتجددة من الكلمات ، وجمع بعضها هنا بينما هي متفرقة هناك .

وبذلك نجد حروف الأبجدية العربية وهي بضع وعشرون حرفا هي التي تتكون منها مئات الألوف من الكلمات .

فالنحو يربط المعاني

والصرف يتولى وضع كل حرف بموضعه وترتيبه في كل كلمة — ثم تتخذ كل كلمة موضعها — كذلك — بين الكلمات وبذلك يتفاضل كلام البشر بمقدار مناسبة كل كلمة لموضعها بين الكلام وحسن نظمها فيه .

فإذا خلا كلام البشر من الحشو كان بعيدا عن التنافر في موضع كلماته ، فهذا مجال الفضل بين أي كلام بشري وغيره من سائر كلام البشر[٦١]

غير أن البشر ، لا يستطيعون أن يجعلوا كل كلمة — من كلماته ، ثابتة على مبناها ومعناها ، وهذا أول عائق يحول بينهم وبين التحكم الكامل ، في نظم كلماتهم فيما بينها ، على نفس مستوى نظم الكلمات ، من الحروف ، التي تتكون منها .

ونستطيع أن نفهم ذلك ، بأن نعلم أن الله جعل الكلام كله ، من حيث النظم على ثلاثة أحوال .

**أولا** : كلام الله تعالى ، وفيه تتحرك الحروف بمواضعها من الكلمات ، ثم تتحرك الكمات بمواضعها فيما بينها ، بحيث لو مضينا مع كل كلمة قرآنية واحدة وقد جاءت بمواضع كثيرة ، فإنها تكون ثابتة على نصها الواحد ، ثم تكون متجددة الارتباطات بكل موضع وأخيرا تكون مرتبة فيما تقدم لنا من المعلومات ، التي تبين لنا ترتيبها ، ما يتصل به من حقائق الوجود كله .

وهذه شروط معجزة لا ينبغي أن نجد مثلها في كلام البشر .

**ثانيا** : كلام النبوة ، في كل ما نطق به النبي ﷺ ، من كلمات الوحي التالي للقرآن ، وهو السنّة ، وهذا النوع من الكلام ليس من الكلام العادي لعامة البشر ، ولكنه هو كلام النبوة ، الذي أنطق الله به رسوله ﷺ ، بوصفه خاتم أنبيائه ورسله .

ومن معجزات كلام النبوة ، من حيث التركيب أن أي كلمة جاءت في القرآن ثم جاء ما يماثلها في السنّة ، فإنها تربط بين ما يتصل بها من مقاصد القرآن والسنّة ، برباط يظهر معه التنوع في كل منهما ، مع وحدة — الأصول — المعلقة بمعانيهما معا ، بحيث يظل الناس بحاجة دائمة إليهما معا .

ولننظر إلى كلمة — الجار — بقوله تعالى :

**١ « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل » .**

٣٦ : النساء

**٣ — « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وأني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إن بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب »**

٤٨ : الأنفال

فلهذذ المواضع القرآنية الثلاثة ، التي جاءت بها كلمة الجار وكلمة جار ، قد أجملت لنا حقوق الجيران الصالحين ، ونفرتنا من جوار الشيطان لعنه الله .

ثم جاءت السنّة ، بتفصيل هذه المعاني المجملة ، كما نجد في قول النبي ﷺ .

١ — عز جارك وجل ثناؤك

٢ — لا يمنع جار جاره ان يغرز خشبه في جداره

٣ — الجار أحق بالجوار

وقوله ﷺ

٤ — الجار أحق بسبقه(٦٢)

وقوله ﷺ

٥ — الجار أحق بشفعة جاره

وقوله ﷺ

٦ — جار الدار أحق بالدار

وقوله ﷺ

٧ — من سعادة المرء الجار الصالح(٦٣)

فلقد تفرد كل حديث من هذه الأحاديث ، بإضافة حقيقة جديدة متصلة بحق الجار ، وبذلك جاء في السنّة ، تفصيل ما أجمل في القرآن .

وهذا الترابط والتجدد ، والتفاعل بين كلمات القرآن والسنّة يجعل لحقيقة النظم القرآني امتدادا عمليا في السنّة باعتبارها تفسيرا للقرآن ووحيا مصاحبا له .

**ثالثا** : كلام البشر نعمة من الله على عباده ، ولكن الله حد له حدودا لا ينبغي له أن يتعداها .

وتلك الحدود ، لا ينبغي للنظم فيها ، أن يعلو عن مجرد الحركة للحروف بمواضعها من الكلمات .

أما أن يكون للكلمات البشرية ، مواضع متجددة الصلات ، مرتبة الأهداف ، على قدر ورود كل كلمة منها وتفرقها في ثنايا الكلام ، فليس من ذلك شيء ، وإنما هو وجه من وجوه الإعجاز القرآني ، كما رأينا ، من قبل .

وأما أن يكون للكلمات البشرية ، امتداد

متجدد في شروحها ، فليس لها من ذلك شيء ، وإنما هو شيء خص الله به السنّة ، باعتبارها تفسيرا لكلام الله تعالى .

هذه طائفة من أسس التركيب للوحي كله من قرآن وسنّة ، وهي تقوم على مواضع الكلمة بما فيها من صرف ونحو ، وتقدير كمي وكيفي معا ، لحركة الكثير والقليل من النصوص القرآنية ، وتأثيرها العظيم في السنّة ، وفي صياغتها لنواحي العظمة في الحياة الإسلامية ، على عهد النبي والذين معه .

ولقد فتح لنا الجرجاني هذه الأبواب جميعا ، مع أنه وقف بنا قريبا من بدايتها .

وكلام الجرجاني عن النظم ، يفتح للعلماء مجالات التقدم في اللغة العلمية ، لأنه يعلمهم ، كيف يتخلصون من الصعوبات التي تواجههم في الاتفاق على مصطلحات العلوم ، التي تتغاير على قدر الاختلاف في مستويات الوصول الى حقائق كل علم بين الباحثين فيه بسائر دول العالم .

بالإعجاز في نظم القرآن ، وترتيب كلماته يقدم للعلماء دروسا لا يستطيعون الاحاطة بها ، أو الوصول إلى مثلها ، في تدوين مصطلحاتهم العلمية .

ولكن حسب هؤلاء العلماء ، أن يتعلموا من القرآن كيف يفكرون في ترقيم مرات استعمال كل مصطلح علمي ، وأن يرمزوا لكل مرة من هذه المرات ، بما يفيد في بيان درجتها ونوعها من حيث الظن أو الافتراض أو اليقين العلمي وبذلك يكون لكل مصطلح علمي تاريخ مسلسل يستطيع الباحثون في مختلف فترات التاريخ أن يقفوا عنده ، ويفيدوا منه .

وهذا قليل من كثير ، يمكن أن يفيده العلماء ، من الإعجاز في نظم القرآن ، وترتيب كلماته ، فضلا عن شروحه في السنّة ، ومما فيها من الترابط الكلي والجزئي ، مع آياته البينات .

## ٦ ــ ابن حزم الأندلسي وكلامه في القدر المعجز من القرآن

لقد كان لابن حزم رحمه الله موقف راجح في قضية القدر المعجز ، من القرآن وسنعرض لهذه القضية ، بشيء من البيان ، ثم نعود إلى موقف ابن حزم منها(٦٤)

والقدر المعجز من القرآن قضية مرتبطة بآيات التحدي التي جاءت لبيان عجز البشر ، عن الاتيان بمثل كلام الخالق سبحانه وتعالى .

ومن ذلك قول الله تعالى :

**« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »**

٨٨ : الإسراء

وهذه الآية تحمل معها الحكم القاطع في القدر المعجز من القرآن ذلك أن كلمة القرآن تطلق على الكثير والقليل من الآيات والسور .

يقول الله تعالى :

**« وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »**
٢٠٤ : الأعراف

ويقول سبحانه :
**« وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه »**
٦١ : يونس

وهكذا نفهم أن أي قدر من القرآن يسمى قرآنا
ويقول الله تعالى :
**« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله »**
٣٧ : يونس

وهكذا نعلم ان اسم القرآن ، يطلق على القرآن كله ، كما رأينا أنه يطلق على أي قدر منه .

فهذه قضية واضحة لا لبس فيها .
ولكن المتكلمين كعادتهم ، جعلوها مجالا للجدل ، الذي لا خير فيه .
ومما جاء عن هذه القضية ، بكتاب البرهان في علوم القرآن ، للزركشي أنه قال :
قال القاضي أبو بكر : ذهب عامة أصحابنا ، وهو قول أبي الحسن الأشعري في كتبه ، إلى أن أقل ما يعجز عنه من القرآن ، السورة قصيرة كانت أو طويلة ، أو كان بقدرها .
قال : فإذا كانت الآية بقدر حروف سورة ، وان كانت كسورة الكوثر فذلك معجز .

قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة ، في أقل من هذا القدر .
وذهبت المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهي معجزة . (٦٥)
ولقد ثار — ابن حزم — رحمه الله — على هذه الآراء المتعارضة في هذه القضية التي لا تحتمل المراء فقال :
لا يختلف اثنان ، في أن كل شيء من القرآن ، معجز .
ثم يشعر ابن حزم ، بأن الإعجاز في حقيقته ، مرتبط بنظم القرآن وتركيبه ، وترتيب كلماته في آياته وآياته في سوره وسوره في المصحف .
ولكن هذا الشعور لا يظهر في كلامه ، مرتبطا بقضية النظم ، الا على وجه الإجمال ، لا التفصيل .
لذلك فهو يتوجه الى الذين قالوا إن القدر المعجز من القرآن ، هو ما كان مثل أقصر سورة وهي سورة الكوثر فيقول لهم :
إن سورة الكوثر عشر كلمات اثنان وأربعون حرفا .
وقد قال الله تعالى : **« وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان »**
١٦٣ : النساء
اثنا عشرة كلمة ، اثنان وسبعون حرفا .
وان اقتصرنا على الأسماء فقط ، كانت عشر كلمات اثنين وستين حرفا ، فهذا أكثر كلمات وحروفا من سورة الكوثر .

فينبغي أن يكون هذا معجزا عندكم ويكون « ولكم في القصاص حياة »
١٧٩ : البقرة

غير معجز ...

ثم يقول ابن حزم ، عن الآية التي جاء فيها أسماء الرسل صلوات الله عليهم

فإن قالوا إن هذا غير معجز تركوا قولهم في إعجاز ، مقدار أقل من سورة في عدد الكلمات وعدد الحروف .

وإن قالوا بل هو معجز تركوا قولهم في أنه في أعلى درج البلاغة .

وفي موضع آخر يتساءل ابن حزم عن الآية نفسها فيقول :

فإن قالوا ليس معجزا كفروا .

وان قالوا انه معجز صدقوا وسئلوا : هل على شروطكم في أعلى درج البلاغة ؟

وفي موضع آخر يتساءل ابن حزم عن الآية نفسها فيقول :

فإن قالوا نعم ، كابروا وكفوا مؤونتهم لأنها أسماء رجال فقط ، وليس هذا على شرطهم في البلاغة .

وينتهي كلام ابن حزم هنا ، حيث يتبين لنا أنه لم يصل الى سر النظم ، وأصل التركيب والترتيب لكلمات القرآن فإذا هو يقول :

وأيضا فلو كان إعجاز القرآن لأنه في أعلى درج البلاغة ، لكان بمنزلة كلام الحسن أو سهل ابن هارون والجاحظ وشعر امرىء القيس .

ومعاذ الله من هذا لأن كل ما يسبق في طبيعته لم يؤمن من أن يأتي من يماثله ضرورة ، فلا بد لهم من هذه الخطة ، أو من المصير إلى قولنا : إن الله تعالى منع من معارضته فقط !!

ويعلق على كلام ابن حزم هنا ، العالم المعاصر الأستاذ/ أحمد عز الدين عبد الله خلف الله في كتابه القيم ( القرآن يتحدى ) فيقول :

كان ابن حزم يذهب في الإعجاز ، مذهب المعتزله في الصرفة(٦٦)

هكذا يعلق هذا العلم المعاصر ، على موقف ابن حزم كما ظهر لنا في هذا السياق ولكنني قد أرى ان ابن حزم ، لم يرد بكلامه هذا الصرفه بمعناها المعروف عند النظام(٦٧) وغيره من المعتزلة ، وإنما أراد أن في نظم القرآن سرا لم يصل هو إليه !! ولذلك يقول ابن حزم في موضع آخر عن قولهم إن القرآن في أعلى درج البلاغة .

إن كنتم تريدون أن الله بلغ ما أراد فنعم ، وإن كنتم تريدون أن القرآن في أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين فلا ، لأنه ليس من نوع كلام المخلوقين ، لا من أعلاه ولا من أدناه ولا من أوسطه(٦٨) .

وينتهي هذا القدر من كلام ابن حزم لنقول معا :

ان كلام ابن حزم عن مجانبة القرآن لكلام المخلوقين ، من أعلاه وأدناه وأوسطه يصل بنا مباشرة إلى إعجاز التركيب والترتيب ، في كل كلمات القرآن ، وإن لم يشاهده ابن حزم مشاهدة ويعاينه معاينة .

انظر معي أيها القارىء العزيز ، إلى أي كلمة من قوله تعالى :

**« وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان »**

لقد اخترت أول كلمة متوسطة بين كلمتين هي قوله تعالى (**وأيوب** ) فلننظر في مواضعها القرآنية ، لنكشف معا ، بعض أسس الإعجاز الإلهي ، في نظم القرآن وتركيبه وترتيب كلماته .

إن لكلمة ( أيوب ) أربعة مواضع ، في القرآن كله ، كما هو مرتب في المصحف .

بقوله تعالى :

**١ ــ « وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان »**

١٦٣ : النساء

لقد جمع الله هؤلاء الرسل والأنبياء في هذه الآية ، ونحن نعجز أن نكشف بعض أسرار الإعجاز في النظم والتركيب والترتيب ، طالما نحن في هذه الكثرة من الأسماء ، حيث لا نستطيع النفاذ إلى ما يخص كل اسم بذاته ، في موضعه وترتيبه .

ولكننا حين نذهب الى الموضع التالي لكلمة ( أيوب ) يتبين لنا ما لم نكن نعلمه من قبل .

**٢ ــ « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك عليم حكيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين »**

٨٣ ــ ٨٤ : الأنعام

لقد تبينت لنا ملامح جديدة تحدد لنا نسب أيوب وصلته بآبائه وأجداده ، وفي هذا زيادة واضحة ، على ما سبق في سورة النساء بالآية ١٦٣

ونذهب الى الموضع الثالث لكلمة أيوب .

**٣ ــ « وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين »**

٨٣ ــ ٨٤ : الأنبياء

لقد جاء الموضع الثالث لكلمة أيوب بصلة جديدة ، بقضية مشهورة في حياته وهي قصة مرضه .

ولقد جاء المرض هنا مجملا ، حيث قوله الله تعالى حكاية عن أيوب عليه السلام .

أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين .

ثم يبين السياق أن الله شفاه وعوضه ما فقده من أهل ومال ، وزاده ، وضاعف له في الخير ، ليكون في هذا ذكرى للعابدين .

وهكذا نتجه الى الموضع الرابع والأخير لكلمة ــ أيوب ــ

**٤ ــ « واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب »** ٤١ ــ ٤٣ : ص

لقد زاد الله المسافة الزمانية المكانية ، وضوحا وظهورا ، بين عهد أيوب وعهد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وذلك في قوله تعالى :

**« واذكر عبدنا أيوب »**

ثم بين الله سبحانه حقيقة الداء والدواء فقال حكاية عن عبده أيوب عليه السلام

**« أني مسني الشيطان بنصب وعذاب »**

أي أن المرض كان مرضا له أسباب عضوية أحاط الله بعلمها وبأسبابها وبدوائها حيث قال : « **اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب** » .

وبعد أن كانت الذكرى للعابدين ، في سورة الأنبياء ، أصبحت الذكرى لأولي الألباب في سورة ( ص )

لقد سرنا مع الحركة الدائبة والصلات المتجددة ، بين كلمة أيوب لقد ظهر لنا هذا التسلسل المترابط ، المتزايد في الفعل ، والتأثير ، والتشخيص لتطور الحياة الإنسانية ، من حيث الزمان والمكان ، مع ثبات القيم الأصلية ، والتكاليف الشرعية وأسباب السعادة في الدنيا والآخرة ، وكلها في اللجوء إلى الله ، وإفراده بالحب والعبادة والضراعة والدعاء .

ولقد كان هذا كله ، خاصا بأربعة مواضع لكلمة قرآنية واحدة .

وهذا يدلنا أن في كل كلمة من كلمات القرآن ، مع كثرة المواضع من حيث الكم والكيف والمبنى والمعنى والترتيب الجديد ، ما يخصها من وجوه الإعجاز وبذلك نرى بأعيننا أن القرآن معجز إعجازا متجددا ، على قدر عدد كلماته فلكل كلمة إعجازها في ذاتها ، وإعجازها في تعلقها بغيرها .

لقد أوشك ابن حزم رحمه الله أن يعاين هذه المعاينة ، ويشهد هذه الشهادة ولكنه وقف عند الوصف العام فقال :

إن كلام الله من أعلاه وأدناه وأوسطه ليس كمثله كلام المخلوقين .

ومثل هذا البيان لا ينبغي أن يتفق معه أن ابن حزم تورط مع النظام في القول بالصرفة ، وإنما هو أراد أن القرآن معجز في كثيره وقليله ، ولكنه أي ابن حزم ، لم يصل إلى أساس هذا النظم القرآني الذي حاولنا معا أن نراه الآن لننفذ منه إلى وحدة نظام التركيبي في خلق الله ووحيه ، مع استقلال كل من الخلق والوحي بحقائقه الذاتية .

وهذا كله يفيد العلماء ، حيث يفتح أمامهم آفاق التقدم العلمي ، وهو يعلمهم أن حقائق وحي الله ، لا ينبغي أبدا أن تنفصل عن حقائق خلقه .

فالتقدم العلمي لا يتم في حدود العلوم المادية وحدها .

بل لا بد من الربط بين الإعجاز الإلهي في وحي الله ، والإعجاز الإلهي في خلق الله

وبذلك تتكامل منافع التقدم العلمي ، ويتعلم العلماء أن الفصل بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ينطوي على تأخر في أنواع

الاستفـــادة بحقائـــق العلـــوم

والحقيقة أن الإعجاز القرآني ، يعلمنا كيف نصل بين ما ينفع الإنسان من علوم الدنيا ، وبين ما ينفعه من علوم الآخرة وبين ما ينفع الإنسان من حقائق المادة والطاقة وغيرهما ، مع اتصال هذا كله ، بحقائق الأخلاق الفاضلة ، والسياسة الرشيدة ، للحياة الإنسانية في كل مجالات الحياة .

**٧ ــ مع ابن برجان وبيانه لمعاضدة السنّة للقرآن :**

أمر الله ورسوله ﷺ ، أن يتبع الوحي ، الذي أوحاه إليه وخصه بإبلاغه للناس كافة .

وجاء هذا الأمر ، في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى :

**« اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين »**

١٠٦ : الأنعام

والوحي هو القرآن والسنّة

وتتصل الآيات حتى يقول الله للأمة

**« وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم »**

١٢١ : الأنعام

والجدل في كلام البشر ، اختلاف لا خير فيه

ثم تتصل الآيات إلى قوله تعالى :

**« وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثلما أوتي رسل الله والله أعلم حيث يجعل رسالته »** ١٢٤ : الأنعام

حول هذه الحقائق تحدث ابن برجان فقال :

ما قال النبي ﷺ من شيء ، فهو في القرآن وفيه أصله قرب أو بعد فهمه ، وعمه من عمه عنه(٦٩)

ويقول الزركشي عند تقديمه لابن برجان في كتابه البرهان :

اعلم أن القرآن والحديث أبدا متعاضدان على استيفاء الحق وإخراجه من مدارج الحكمة ، حتى إن كل واحد منهما يخصص عموم الآخر ويبين إجماله(٧٠)

ألا تسمع إلى قوله ﷺ في حديث الرجم

لأقضين بينكما بكتاب الله

وليس في نص كتاب الله الرجم .

ويقول ابن برجان

وقد أقسم النبي ليقضين بينهما بكتاب الله

ثم يقول ولكن الرجم في تعريض مجمل في قوله تعالى :

**« ويدرأ عنها العذاب »**

٨ : النور

وأما تعيين الرجم من عموم ذكر العذاب ، وتفسير هذا المجمل فهو مبين بحكم الرسول وبأمره به ، وموجود في عموم قول الله تعالى :

**« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »**

٧ : الحشر

وقوله :

**« من يطع الرسول فقد أطاع الله »**

٨٠ : النساء

**معاضدة السنّة للقرآن بالقول والفعل والتقرير :**

وينتهي هذا القدر من بيان ابن برجان — رحمه الله — لنقول — معا — إن في هذا البيان نوعا من أنواع معاضدة السنّة للقرآن هو تفسير كلمة قرآنية مجملة ، بأقوال وأعمال وتقريرات مخصوصة ، لا مصدر لها إلا السنّة — بكل أقسامها من قول النبي ، وفعله ، وتقريره .

وفي هذه القضية ، التي أثارها ابن برجان بيان لأنواع السنّة جميعا ، وهي أقوال النبي ، وأفعاله ، وتقريراته .

عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني ، أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : إن ابني كان عسيفا على هذا ، فزنى بامرأته فأخبروني أن على ابني الرجم ، فافتديت منه بوليدة وبمائة شاه ، ثم أخبرني أهل العلم أن على ابني جلد مائة ، وتغريب عام ، وأن على امرأة هذا الرجم فاقض بيننا بكتاب الله .

قال النبي ﷺ

والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله

أما الفتى والوليدة فردٌ عليك

وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام

ثم قال لرجل من أسلم : يقال له أنيس

قم يا أنيس فاسأل امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها(٧١)

إن هذا الحديث السابق يبين لنا أنواع السنّة الثلاثة وهي :

١ — السنّة القولية

٢ — السنّة العملية

٣ — السنّة التقريرية

فأما السنّة القولية فمنها ما نطق به النبي ﷺ ، في هذا الحديث حيث قال :

١ — والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله

فعلمنا من ذلك أن الذي جاء مجملا في قوله تعالى : « **ويدرأ عنها العذاب** »

قد جاء بيانه مفصلا في هذا الحديث

ثم قال النبي ﷺ

٢ — أما الفتى والوليدة فردٌ عليك

وأما ابنك فعليه جلد مائة وتغريب عام

وقد جاء الجلد مجملا في قوله تعالى :

**« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده »**

أما تغريب عام ، فهو زيادة خص الله بها السنّة ، لنظل بحاجة إليها مع القرآن لا يفترقان أبدا ، في إلزامنا بهما .

ثم قال النبي ﷺ .

٣ — قم ياأنيس فاسأل امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها .

وأما السنّة العملية ، فمنها ما تضمنه هذا الحديث ، من الأعمال المترتبة على أقوال النبي ﷺ :

**أولا** : رد الغنم والوليدة إلى الوالد .

ثانيا : جلد الزاني غير المحصن وتغريبه عاما

ثالثا : اشتراط الاعتراف ، لإقامة حد الرجم على الزانية المحصنة ، ما لم يكن هناك أربعة شهود عدول .

ومن عظمة الإسلام ، أنه إذا اعترف أحد أنه زنى بامرأة ، فأنكرت هي ذلك ، ولم تعترف به ، فإنه يقام عليه الحد لاعترافه ، ولا يقام عليها لعدم اعترافها .

فقد روى سهل بن سعد ، أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : انه قد زنى بامرأة سمَّاها فأرسل النبي إلى المرأة فدعاها فسألها فأنكرت ، فحده وتركها( ٧٢ )

رابعا : تعددت مفاهيم الحد الخاص بالزاني المحصن من جهة جلده ورجمه ، أو رجمه فقط والحديث السابق ، حجة للذين لا يرون الجمع بين الجلد والرجم للزاني المحصن ، ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي( ٧٣ )

وأما السنّة التقريرية ، فمنها ما تضمنه هذا الحديث ، من إقرار النبي ﷺ وهو على وجوه .

١ ــ أقر النبي ﷺ ، أهل العلم ، الذين قالوا لوالد الشاب الزاني ، إن على ابنه جلد مائة وتغريب عام .

وهذا الإقرار لا يمنع كون هذا الحكم ، قد جاء أصلا من عند الله ، وليس رأيا جاء به أهل العلم من عند أنفسهم .

فالإقرار هنا بمثابة التصديق لهم ، أنهم أصابوا حكم الله .

٢ ــ قال أهل العلم لوالد الزاني ان على المرأة المحصنة الرجم .

ولكن النبي ﷺ لم يقرهم على هذه الفتوى ، إلا بشرط هام جدا هو اعترافها فقال : « فإن اعترفت فارجمها »

وهكذا نعلم أن النبي ﷺ لا يقر كل ما يصدر من صحابته على اطلاقه وإنما قد يكون تقريره موافقا لهم ، أو يكون فيه اتمام لأمر لم يدركوه .

والتقرير له أنواع أهمها نوعان هما

١ ــ التقرير على الأقوال مثل ما روى أحمد في قصة ماعــز انه اعترف بالزنى ، أمام النبي ثلاثا ، كل ذلك يرده رسول الله ﷺ ، فقال له أبو بكر إنك إن اعترفت الرابعة ــ رجمك رسول الله ﷺ احتج به الحنفية والحنابلة ، على أن العدد معتبر في الإقرار بالزنا من جهتين

الأولى : أن ذلك مما علمه أبو بكر من حال رسول الله ﷺ

الثانية : أن النبي ﷺ ، أقر ذلك ولم يخطىء قائله .

٢ ــ الإقرار على الأفعال ومنه إقرار النبي ﷺ .

خالد بن الوليد على أكل لحم الضب

ومن الإقرار على الأفعال إقرار النبي ﷺ على الترك ، كما نقل أن عمرو بن العاص تيمم من الجنابة في ليلة باردة ، وصلى بأصحابه فلما أخبروا النبي ﷺ قال له : صليت بأصحابك وأنت جنب ؟ قال : ذكرت قول الله تعالى :

« ولا تقتلوا أنفسكم اله كان بكم

رحيما » فتيممت ثم صليت ، فضحك النبي ﷺ ولم يأمره بالإعادة ، فكان في ذلك إقرار منه على ترك الإعادة[٧٤]

وينتهي هذا الكلام لنقول — معا — انه إذا كان هذا التصنيف ، قد فرّق بين الإقرار على القول ، والإقرار على الفعل ، ثم جعل للإقرار على الفعل وجهين ،

هما الإقرار على الفعل المعمول به ، والإقرار على ترك الفعل ، فإننا مع ذلك نلحظ في قصة عمرو أن النبي ﷺ ، أقره على الاجتهاد في فهمه للآية السابقة — من سورة النساء :

**« ولا تقتلوا أنفسكم إنه كان بكم رحيما »**

٢٩ : النساء

ولو كانت هذه المحاولة من عمرو ، في تطبيق بعض معاني غير صائبة ، ما رضي منه النبي ذلك .

ونلحظ أن النبي ﷺ ، سأله من البداية قائلا ( صليت بأصحابك وأنت جنب )

فلما ذكر عمرو ما كان من اجتهاده في فهم آية من القرآن ، وانه تيمم بناء على هذا الفهم ، أقره على أمور كثيرة منها الاجتهاد في التيمم بناء على ذلك ، وترك إعادة الصلاة نتيجة لكل ما تقدم .

فلهذا وغيره ، كما سبق في حديث خالد الجهني ، ما يبين لنا أن الإقرار له أحوال كثيرة تفهم من نصوص متعددة من القرآن والسنّة جميعا .

وانه ربما جمعت واقعة واحدة بين الإقرار على القول أو الفعل أو بعضها ، أو الإقرار على ترك شيء أو فعل غيره ، مما لا يفهم إلا بإكثار النظر في القرآن والسنّة معا .

## كلمات القرآن والسنّة ذات الأصول اللغوية الواحدة :

ويتصل بما سبق نوع جديد ، من أنواع معاضدة السنّة للقرآن ، أساسه أن نجد لكلمة — في السنّة ، أصولا قرآنية فإذا نظرنا في مواضع الكلمة الواحدة ، في القرآن ثم نظرنا بمواضعها في السنّة ، وصلتنا فيهما معا بمسيرة واحدة ، متصلة الفصول ، متجددة المقاصد ، تزيدنا علما كلما زدناها نظرا .

يقول ابن برجان :

إن قول النبي ﷺ

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[٧٥]

أصله في قوله تعالى

**« هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين**

٢٤ — الذاريات

ونقول — معا — انه مما يزيد هذه الحقيقة بيانا اننا نجد القرآن بمواضع كلماته الخاصة بإكرام الضيف ، يبين أن البشر لو وكلوا إلى أنفسهم ، لأفسدوا هذه السنّة الحسنة .

ففي الموضع الأول ، الذي جاء عن الضيف ، في ترتيب المصحف ، نجد قول الله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام .

**١ ـــ « فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد »**

٧٨ : هود

أما الموضع الثاني فهو بقوله تعالى :

**« ونبئهم عن ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون »**

**« قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم »**

٥١ ـــ ٥٣ : الحجر

ثم نجد الموضع الثالث : بقوله تعالى حكاية عن آل لوط مع قومه

**« قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون »**

٦٨ : الحجر

ثم نجد الموضع الرابع بقوله تعالى :

**« فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه »**

٧٧ : الكهف

والموضع الخامس : بقوله تعالى :

**« هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين »**

٢٤ : الذاريات

والموضع السادس : بقوله تعالى :

**« ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر »**

٣٧ : القمر

فهذا آخر المواضع وفيه نهاية قوم لوط ، بعد أن تصاعد موقفهم في إيذاء لوط وضيفه .

وإننا لنجد إبراهيم نفسه ، لم يبدأ بإكرام الضيف منذ بداية ما جاء عن ذلك في سورة الحجر ، وإنما جاء إكرامه لهم أخيرا في سورة الذاريات

( فهذا مما يبين أن إبراهيم لم يخترع إكرام الضيف من عنده ، وإنما هي سنة أوحاها الله إليه ) .

ثم نجد الخضر عليه السلام ، يكرم أهل القرية ، مع جهلهم بوجوب إكرام الضيف فهذا عمل يقتضي الله تعالى لعباده جميعا ، في الدنيا ، مهما يكن شأن من أحسن منهم ومن أساء . فالله تعالى يرزق البر والفاجر ، في هذه الدنيا ، ويطعم المؤمن والكافر ، حتى تقوم الساعة ، فهناك يجزي كل نفس بما عملت .

هذه الوجوه الكثيرة ، والمقاصد المتجددة ، التي نجدها في القرآن ، بهذا الترتيب المعجز لها تتمات في السنّة ، لا عن نقص في كلام الله وحاشا لله ، أن يحتاج كلامه إلى تكملة من غيره ، ولكن عن قلة فهمنا البشري ، لما جاء مجملا في القرآن ، فجعل الله السنّة مبينة له حاجتنا الى التنقل بين أنواع كثيرة من البيان ، حتى نتدرج في فهم الحقائق .

ومن أنواع البيان ، لما جاء مجملا في القرآن قول النبي ﷺ كان إبراهيم أول

الناس ضيّف الضيف[٧٦]

فهكذا تبين لنا السنّة أصل إكرام الضيف ، ومتى ألقى الله معانيه الجميلة ، في وقائع الحياة الإنسانية

ويقول النبي ﷺ :

الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة[٧٧]

وهكذا تحدد السنّة مدة إكرام الضيف .

وهذه أمور فرعية ، جعل الله بيانها من الوحي الآخر ، وهو السنّة على مقتضى نظرة الله فينا ، وهي حبنا للتنقل ، للتتواتر أمامنا المشاهد فيؤكد بعضها بعضا ، ويذكر بعضها ببعض .

فمن أهم العلوم التي يتقدم فيها الإنسان ، إذا نظر الى معاضدة السنّة للقرآن ، هذه العلوم الإنسانية ، التي تبين لنا مناهج التراحم بين الناس ، وأصول المعاملات بينهم ، وحقوق بعضهم على بعض ، والقصاص العادل ، وكيف يقع على من استحقه منهم .

### ٨ ـــ مع ابن تيمية

« مقدمة » في أصول التفسير

يبين العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية أن أصح طرق التفسير ، أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في موضع ، قد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان ، فقد بسط في مكان آخر .

فإن أعياك ذلك ، فعليك بالسنّة فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له .

ثم يقول ابن تيمية :[٧٨]

« يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ ، بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى : « **لتبين للناس ما نزل إليهم** » .

٤٤ : النحل

يتناول هذا وهذا .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل .

قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ، ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة[٧٩]

ثم يبين لنا ابن تيمية رحمه الله ـــ أن الاختلاف بين الصحابة ـــ على التفسير قليل جدا ، وأنه اختلاف تنوع ، وليس اختلاف تضاد .

وذلك مثل تفسيرهم للصراط المستقيم ، فقال بعضهم هو القرآن ، أي اتباعه فقول النبي ﷺ ، في حديث علي الذي رواه الترمذي ، ورواه أبو نعيم من طرق متعددة ( هو حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم )[٨٠] والذي نلحظه من

هذه الأصول العلمية ، التي أوردها ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أن الوحي من قرآن وسنّة ، في تكوينه لروح الأمة الإسلامية ــ يؤدي دوره في نظام مماثل للحقيقة التي تؤكد لنا دائما أن كل صلة بين الجزء والكل ، في خلق الله أو بين الجزء والكل في وحي الله ، لا بد أن تتضمن بابا جديدا من أبواب العلم ، يحمل معه تفسيرا خاصا بالحقائق المتصلة به ، في أي شيء من ذلك .

فالتفاعلات المتجددة ، التي تنتج من أي تركيب جديد ، لأي قدر من عناصر المادة ، تفسر لأصحاب التخصصات العلمية المختلفة ، وجوها من التفسير لحقائق علمية كثيرة ولكنها متنوعة . من حيث اختلاف تخصصاتهم ، وتنوع الأعمال المرتبطة بها عند كل أحد منهم .

ولولا الثبات في حقيقة كل جزء من أجزاء الخلق ، مع تجدد بصلاته بمواضعه التي قدرها الله له في الكون والحياة ، ما استطاع العلماء أن يتفقوا على حقيقة علمية واحدة ، وان تنوعت أهدافهم المنعقدة عليها ، بحكم اختلاف اتجاهاتهم العلمية .

وقد تبين لنا من قبل ، أن القرآن في تركيبه المعجز ، يقوم على الثبات في نصوصه سواء كانت هذه النصوص حرفا أو كلمة أو جملة ، مع تجدد الحركة دائما بين أي نص من ذلك ، وبين مواضعه التي قدرها الله له في الآيات والسور ، ثم في معاني السنّة التي هي امتداد للقرآن ، وتطبيق عملي له في واقع الحياة .

فهكذا ندرك ، أن هذا التنوع في أقوال الصحابة وتفسيرهم لحقائق الوحي المتصلة بوقائع الحياة ، إنما هو نتيجة عملية لتركيب الوحي من قرآن وسنّة ، وتركيب المجتمع البشري ، باعتباره جزءا من خلق الله .(٨١)

فقد اهتم ابن تيمية ، ببيان اختلاف السلف في التفسير ، وانه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد .

وقد فصل ابن تيمية القول في هذه الحقيقة ، وبين أن فيها أنواعا من وجوه العلم .

١ ــ فهناك التفرع القائم على التعبير عن المراد ، بصيغ لغويه ، تدل على معان متنوعة ولكن لها أصلا واحدا .

وذلك مثل أسماء الله الحسنى فهي تدل كلها على مسمى واحد .

٢ ــ وهناك التفرع ، الذي يظهر عند ذكر أمر خاص ، له أشباه تتصل معه ، بأصله العام .

كما في قوله تعالى :

**« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات »** .

فاطر : ٣٢

ويقول ابن تيمية رحمه الله

فمعلوم أن الظالم لنفسه ، يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات .

والمقتصد يتناول فاعل الواجبات ، وتارك المحرمات .

والسابق ، يدخل فيه من سبق ، فتقرب بالحسنات الواجبات .

٣ ـــ ومعرفة سبب النزول ، يعين على فهم الآيات ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب

ولهذا كان أصح قول للفقهاء ، أنه إذا لم يعرف ما نواه الحالف ، رجع الى سبب يمينه وما هيجها وأثارها(٨٢)

وقولهم نزلت هذه الآية في كذا ، يراد به تارة ، أنه سبب النزول ، ويراد به تارة ، أن هذا دخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول : عنى بهذه الآية .. كذا(٨٣)

٤ ـــ ومما يتصل بالتنوع في التفسير ما يكون اللفظ فيه محتملا للأمرين ، إما لكونه مشتركا في اللغة كلفظ قسورة ، الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد(٨٤)

ولفظ عسعس الذي يراد به إقبال الليل وإدباره .

٥ ـــ ومما يظن به الاختلاف بين الصحابة والتابعين ، في التفسير ، وليس كذلك أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة ، فإن الترادف في اللغة قليل ، وأما في كلمات القرآن ، فهو إما نادر ، أو غير موجود ، وهذا من إعجاز القرآن .(٨٥)

وكلام ابن تيمية هنا يذكرنا بالتفرد الدائم ، والتجدد المستمر ، أي قدر من النصوص القرآنية ، في ذاته ، أو في صلاته بمواضعه .

وهذا يذكرنا بفوائد علمية لا نحيط بكثرتها ، أوهمها النظر في كل حقيقة علمية من جهتين الجهة الأولى : هي الحقيقة في ذاتها

والجهة الثانية هي الحقيقة في وجوه العلم بها ، والفوائد المترتبة عليها

ويضرب ابن تيمية أمثالا لذلك فيقول :

إذا قيل ( ذلك الكتاب ) هو القرآن ، فهذا تقريب ، لأن المشار إليه ، وإن كان واحداً فالإشارة بجهة الحضور ، غير الإشارة بجهة البعد .

ولفظ الكتاب ، يتضمن من كونه مكتوبا مضمونا ، ما لا يتضمنه القرآن من كونه مقروءا .

فهذه الفروق موجوده في القرآن .

٧٠ : الأنعام

وكذلك إذا قال أحدهم ( ان تبسل ) أي تحبس ، وقال الآخر ، ترتهن ، ونحو ذلك لم يكن من اختلاف القضاء ، وان كان المحبوس قد يكون مرتهنا أو لا يكون إذ هذا تقريب للمعنى كما تقدم(٨٦)

ونقول ـــ معا ـــ إن هذا كله ، هو الأساس الجامع لربط الإسلام بين العلم والنفع ، وبينهما معا وبين كل قول صادق ، وعمل صالح ، وأمر بالمعروف ونهي عن

المنكر ، فلا مكان في الاسلام ، للعلم الذي يقف عند حدود الترف الفكري وحده .

ثم يربط ابن تيمية رحمه الله ، بين نفيه للاختلاف من تفسير الصحابة والتابعين وبين النقل وطرق الاستدلال .

وهنا يتحدث عن النقل والاستدلال فيقول :

العلم أما نقل مصدق ، أو استدلال محقق

والمنقول إما عن المعصوم أو غيره

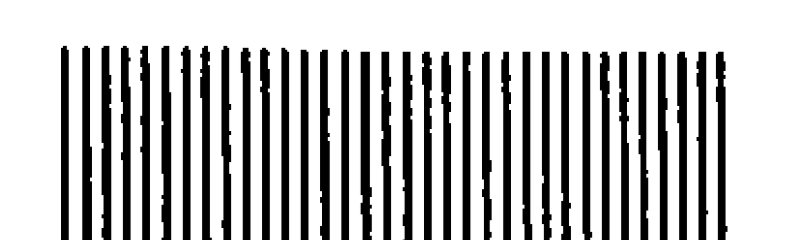
وهكذا يربط ابن تيمية ، بين التفسير وبين السنّة ، ويدعونا إلى النظر في إسنادها وشرطه .

ثم يحثنا على الإستدلال ، بنصوص الوحي ، لا بالرأي البعيد عنها .

ويقول ابن تيمية ، فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي ، فحرام

ويروي أحاديث في ذلك ، أهمها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار (٨٧)

وهكذا ننتهي — معا إلى أن الإعجاز الإلهي في الخلق والوحي ، قائم في أهم وجوهه على هذا الترابط والتكامل ، بين وجوه الحقائق جميعا ، في كل أجزاء الوحي من جهة ، وكل أجزاء الخلق من جهة ، فكل شيء من ذلك فيه تصديق للآخر وتفسير له ، وتوثيق متجدد ، لحقائقه العلمية والعملية ، بكل مكان وزمان .



# الهوامش

( ١ ) الموافقات للشاطبي ٤/١٧
( ٣ ) ( ٤ ) الفتح الرباني لمسند الإمام أحمد ترتيب العلامة أحمد عبد الرحمن البنا ١٨/١٩٠ ولزيادة التوسع في الموضوع انظر البرهان للزركشي ١/٢٦٠
( ٥ ) راجع موسوعة الثقافة العلمية مادة الروابط وأنواعها ص ١٦٧ وما بعدها
( ٦ ) صحيح الجامع الصغير ٣٥٧٥
( ٧ ) الدر المنثور للسيوطي ٤/١٠٥
( ٨ ) انظر الاعتصام للشاطبي ١/٢٣٧
( ٩ ) وللتوسع في دحض المفتريات الحديثة ضد القرآن والسنة راجع السنة المفترى عليها للأستاذ سالم البهنساوي .
( ١٠ ) للتوسع في بيان أنواع الترابط والتراتيب في القرآن ثم في السنة ، وتأثير ذلك في الوجود الإنساني راجع كتاب مقدمة في تفسير الرسول للقرآن الكريم لمحمد العفيفي .
( ١١ ) الله يتجلى في عصر العلم ص ٣٢
( ١٢ ) المصدر السابق ص ١٠٩
( ١٣ ) انظر معجم غريب القرآن ، مستخرجا من صحيح البخاري — باب القاف ص ١٧٢ تأليف : محمد فؤاد عبد الباقي
( ١٤ ) وانظر كذلك كتاب العمل والعمال ، بين الإسلام والنظم الوضعية المعاصرة ، للدكتور سعد المرصفي ص ٧٧ وما بعدها .
( ١٥ ) عن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه قال : صلى رسول الله ﷺ صلاة فأطالها قالوا : يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها ؟ قال أجل إنها صلاة رغبة ورهبة ، إني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها .
الترمزي جـ ٤ ص ٤٧١ الحديث ٢١٧٥ .
وفي أحاديث أخرى ، بيان معنى أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم ، ان عدوهم لا يستطيع القضاء عليهم أجمعين ، وان ذهب ببعض ما في أيديهم ، جزاء على بعض ذنوبهم .
( ١٦ ) راجع لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ص ٦٩١ مادة ( عجز ) حيث عجب العلامة بن منظور من قوله تعالى ( **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ) وأورد في ذلك أقوالا كثيرة ، لعدد من المفسرين القدامى لم يعرفوا الطائرات أو الصواريخ فقال الفراء : ما هم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء بمعجزين فيها ، وقول الفراء بعيد كما نرى لأن الله قال ( **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ) فتفسير ذلك لا يظهر بتمامه إلا بعد وصولنا إلى عصر الفضاء ، وما يأتي بعده .
انظر في الفصل الثاني كلام الدكتور محمد أحمد الغمراوي ، واقرأ — كذلك — كتاب سنريهم آياتنا للدكتور أحمد شوقي إبراهيم .
( ١٧ ) انظر كنز العمال جـ ١ ص ١٠٨ الحديث ٤٩٩ وقد جاء في هامشه انه حديث رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه .
( ٢ ) راجع معترك الأقران ١/٢٧ ، ٣٢ ، ٥٤
( ١٨ ) جاء في مسند أحمد جـ ٤ أن النبي ﷺ تفل في كفه ثم أشار بإصبعه إلى ذلك وذكر الحديث ، ومعنى قول الله تعالى ( من مثل هذا أي من مثل ما تفل النبي ﷺ )

( ١٩ ) انظر كذلك في صحيح الجامع الصغير للسيوطي جـ ٦ ص ٣٥٥ برقم ٨٠٠٠ وهو صحيح الاسناد كما يقول محققه ناصر الدين الألباني .
( ٢٠ ) سند أحمد جـ ٦ ص ١٦٩ .
( ٢١ ) انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي جـ ٤ ص ١٣٦ وهذا جزء من حديث جاء في صحيح البخاري ٢٩ وصحيح مسلم ٧٨ ( مسافرين )
( ٢٢ ) مسند أحمد جـ ٤ ص ٤٣٤ وصحيح مسلم نذر ٨ .

( ٢٣ ) كنز العمال جـ ٤ ص ١١٥ الحديث ٥٤٠ وجاء فيه انه رواه أحمد ومسلم وابن ماجه .
( ٢٤ ) صحيح الجامع الصغير للسيوطي جـ ١ ( ص ٤٠٨ الحديث ١٣٠٠ )
( ٢٥ ) صحيح الجامع الصغير جـ ١ ص ٤٠٦ الحديث ١٢٩٦ .
( ٢٦ ) صحيح الجامع الصغير جـ ١ ص ٤٠٧ الحديث ١٢٩٧ وجاء فيه انه رواه مسلم في صحيحه ٨١/٨ — ٨٢ .
( ٢٧ ) المصدر السابق جـ ١ ص ٤٠٦ وهو صحيح الاسناد وجاء فيه انه رواه البخاري ومسلم وغيرهم .
( ٢٨ ) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٨٦ ( الحديث ٣٢٩ ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
( ٢٩ ) وهناك حديث آخر يزيدنا فهما لقول النبي ﷺ ( حتى تعجز أعمال العباد ) فقد قال النبي ﷺ ( لا يدخل أحدا منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ، ولا أنا إلا برحمة الله )
( ٣٠ ) الخطابي هو أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو سليمان ، شارح سنن أبي داود ومؤلف كتاب اعجاز القرآن توفى بسنة ٣٨٨ هو ترجمته عند ابن خلكان ١ :١٦٦ انظر ذيل الاتقان للسيوطي جـ ٣ ص ٨٨ .
( ٣١ ) سنن أبي داود جـ ٢ ص ٢٣٣ برقم ١٥٧٥ وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي جـ ١ ص ٤٦٥
( ٣٢ ) الدر المنثور للسيوطي جـ ٦
( ٣٣ ) تفسير مجاهد تحقيق السورتي جـ ٢ ص ٦٣٩
( ٣٤ ) معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ١١٥
( ٣٥ ) معجم مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٠٨
( ٣٦ ) لسان العرب لابن منظور ص ١٠٥٣
( ٣٧ ) ارجع الى المدخل التفصيلي ، وانظر في السبع المثاني .
( ٣٨ ) الخطابي ( اعجاز القرآن ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٧٠ وهذا القدر من كلامه منقول عن عالم معاصر هو الاستاذ المحقق أحمد عز الدين عبد الله خلف الله وذلك في كتابه ( القرآن يتحدى ) ص ١٧٠ — ١٧١
( ٣٩ ) المصدر السابق ، وهذا يذكرنا بقوله بما جاء بكتاب ( القرآن يتحدى ) ص ١٧٨ — ١٧٩ — نقلا عن المخطوطه ٦٨ بالمكتبة الأزهرية .
( ٤٠ ) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٨ — والباقلاني هو أبو بكر محمد بن الطيب المتوفي سنة ٤٠٣ هـ
( ٤١ ) إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩١
( ٤٢ )
( ٤٣ ) انظر كتاب ( الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ) وقال الألباني هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه ، أحمد بسند صحيح .
( ٤٤ ) صحيح الجامع الصغير للسيوطي ، تحقيق الألباني ، جـ ٥ ص ٨٤ الحديث ٥٢٣٩

( ٤٥ ) انظر ما سبق من كلام الباقلاني وهو في كتابه اعجاز القرآن ص ٢٩١

( ٤٦ ) انظر هذه الخطبة النبوية ، بكتاب اعجاز القرآن للباقلاني ص ١٣٠ ــ ١٣١ وعزاها محققه الأستاذ السيد أحمد صقر الى العقد الفريد ٧٥/٤ ، والبيان والتبيين ٣١/٢ .

قلت : كتب الأدب ليست هي مصادر الأحاديث النبوية ، إنما مصادرها كتب السنن ، فانظر مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ٧٢ ــ ٧٣ وقد جاء فيه هذه الخطبة وهي صحيحة الإسناد كما جاء بكتاب الفتح الرباني : للعلامة أحمد عبد الرحمن البنا جـ ١٢ ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ قال عن هذه الخطبة اسنادها صحيح وأوردها الهيثمي ، ولم يقف عليها في غير مسند الإمام أحمد .

( ٤٧ ) الخطيب الاسكافي هو أبو عبد الله محمد ابن عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي ــ كان اسكافا ثم نبغ في العلم وولي الخطابة بالري وتوفى سنة ٤٢٠ هـ .

( ٤٨ ) درة التنزيل ص ٢٠ ــ ٢١

( ٤٩ ) هذا القول ذكره العكبري ٥٣٨ هـ ــ ٦١٦ في كتابه املاء ما من به الرحمن ص ٢٢١ وعزاه الى سيبويه وكذلك صنع الاسكافي اذ جاء بهذا القول وعزاه إلى صاحبه ص ٢١ درة التنزيل .

( ٥٠ ) أسباب النزول للواحدي ص ١٤ ، أسباب النزول للسيوطي ص ١٩ ، أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٣

( ٥١ ) تاج القراء الكرمان هو محمد بن حمزة بن نصر الكرماني من علماء القرن الخامس الهجري وليس هو الكرماني شارح صحيح البخاري ــ انظر ص ١١ ــ ١٧ من كتاب ( أسرار في القرآن ) للكرماني تحقيق الاستاذ عبد القادر أحمد عطا .

( ٥٢ ) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني المتوفي في سنة ١١٦٢ هـ جـ ١ ص ٢٦٣ برقم ٦٩٧ وقد جاء في هذا الحديث في الصحيحين فهو حديث متفق عليه .

( ٥٣ ) انظر تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٧٣

( ٥٤ ) سنن الترمذي كتاب التفسير ورقم الحديث ٣٣٦٦ وقال أبو عباس حديث حسن صحيح وانظر كذلك تفسير فتح البيان للعلامة حسن خان جـ ١٠ ص ٤٩١ .

( ٥٥ ) الجرجاني هو عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ أبو بكر الجرجاني النحوي المتكلم على مذهب الأشعري الفقيه على مذهب الشافعي توفى عام ٤٧١ هـ

انظر تعريفه في الصفحات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ من بداية كتاب دلائل الاعجاز وكذلك في بقية الاماة للسيوطي ص ٣١٠ ، ٣١١ كما جاء في المرجع السابق .

( ٥٦ ) انظر تقديم محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب دلائل الإعجاز للجرجاني ص ٢٦ وما بعدها .

( ٥٧ ) المصدر السابق والحقيقة ان هناك تعمية لمسألة النحو على حقائق النظم وهي كثيرة منها ما يتصل بعدد مواضع كل كلمة قرآنية وصلاتها المتجددة بسياقها من كل موضع وترتيب كل كلمة بين غيرها من كلمات القرآن .

وهذه أمور أهم من النحو وهو جزء بسيط منها .

( ٥٨ ) المصدر السابق ص ٨٩ .

(٥٩ ) انظر ص ١٠٥ من نهاية الإيجاز المطبوع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنة ١٣١٧ هـ

( ٦٠ ) نهاية الايجاز للفخر الرازي ص ١٦٧ ــ ١٦٨ والفخر الرازي هو المفسر المعروف محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة ٦٠٦ .

( ٦١ ) اقرأ كتاب الفيلسوف والعلم تأليف جون

جيمني ترجمة أمين الشريف ، لتقف على الصعوبات التي تواجه العلماء في تدوينهم لمصطلحات العلوم ، وكيف أنهم بحاجة إلى أن يفيدوا من الهدي القرآني في ذلك .

( ٦٢ ) كلمة سقيه معناها قربة من جاره ـــ انظر النهاية لابن الأثير الجزري جـ ٢ ص ٣٧٧ .

( ٦٣ ) انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي جـ ١ ص ٤٠٧ .

( ٦٤ ) ابن حزم هو الإمام العلامة أبو محمد علي ابن أحمد أبو سعيد بن حزم بن غالب المتوفي سنة ٤٧٥ هـ

( ٦٥ ) البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ٢ ص ١٠٨

والزركشي هو بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ـــ أحد علماء مصر في القرن الثامن انظر مقدمة ـــ البرهان جـ ١ ص ٥

( ٦٦ ) القرآن يتحدى ص ١٨٢

( ٦٧ ) انظر المصدر السابق ١٧٣ لبيان كلام النظام عن المعرفة أي أن القرآن ـــ الله تعالى قد صرف الناس عن معارضة القرآن ومذاهب كل ما في الإعجاز ونقول ـــ معا ـــ ان كلام النظام وهم وافتراء .

( ٦٨ ) ابن الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٣ ص ١٧ ـــ ١٩ وقد جاء هذا المصدر في المصدر السابق ص ١٨٤ .

( ٦٩ ) ابن برجا هو الإمام عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام الأشبلي المعروف بابن برجان أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه ذكره السيوطي في بغية الدعاة ٣٠٦ ( وهذا التعريف من حاشية الصفحة ١٢٩ جـ ٢ لكتاب البرهان لعلوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، وفي طبقات المفسرين للداودي جـ ١ ص ٣٠٠ قال توفى سنة ٥٣٦ هـ )

( ٧٠ ) الزركشي هو الإمام محمد بن بهادر الزركشي أحد علماء مصر الاثبات في القرن الثامن وتوفى بمصر سنة ٧٩٤ هـ وانظر حاشية جـ ١ ص ٥ من كتاب البرهان ط عيسى البابي الحلبي .

( ٧١ ) مسند أحمد جـ ٤ ص ١١٥

( ٧٢ ) فقه السنة للشيخ سيد سابق جـ ٩ ص ١١٥ ـــ ١١٦ دار البيان وقال عن هذا الحديث رواه أحمد وأبو داود .

( ٧٣ ) انظر أحكام القرآن للشافعي جـ ١ ص ٣٠٥ وقد احتج الشافعي بهذا الحديث على عدم الجمع بين الجلد والرجم للزاني المحصن فيكتفي عنده بالرجم فقط .

( ٧٤ ) ما بين القوسين من كتاب أفعال الرسول ودلالتها على الأحكام الشرعية لمحمد سليمان الأشقر جـ ٢ ص ١٢٣ ـــ ١٢٤ وعزا المؤلف قصة ما عز الى نيل الأوطار ١٠٠/٧ وما جاء عن خالد وعمر إلى نيل الأوطار ٢٨٠/١

( ٧٥ ) انظر صحيح مسلم ١ :٣١ كتاب الايمان

( ٧٦ ) الموطأ صفة النبي ( ٤ )

( ٧٧ ) البخاري أدب ٣١ ، ٣٥ ، ٨٥ ومسلم لقطة ١٤ ، ١٥

( ٧٨ ) مقدمة ـــ في أصول التفسير ( ٩٣ ) لابن تيمية وهو العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ٦٦١ ـــ ٧٢٨ هـ .

( ٧٩ ) يقول الدكتور عدنان زرزور ـــ محقق الكتاب ـــ ص ٣٦ ( راجع تفسير الطبري ) ٨٠/١ وقارن بالقرطبي ٣/١ ولابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ استشهاد بالحديث من وجه آخر انظر مجموعة الرسائل الكبرى ٣١/٢ .

أما عبد الرحمن السلمي فهو عبد الله بن حبيب الكوفي المقرىء من كبار التابعين ـــ ثبت ولاية صحبه ( انظر تقريب التقريب ) لابن حجر ٤٠٨/١ .

( ٨٠ ) ويقول الدكتور عدنان زرزور محقق الكتاب انظر — حول الحديث : الطبري ١٧٣/١٧١/١ بتخريج الشيخ أحمد شاكر — رحمه الله .

( ٨١ ) انظر الفصل الثالث .

( ٨٢ ) المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٨ — ٤٧ .

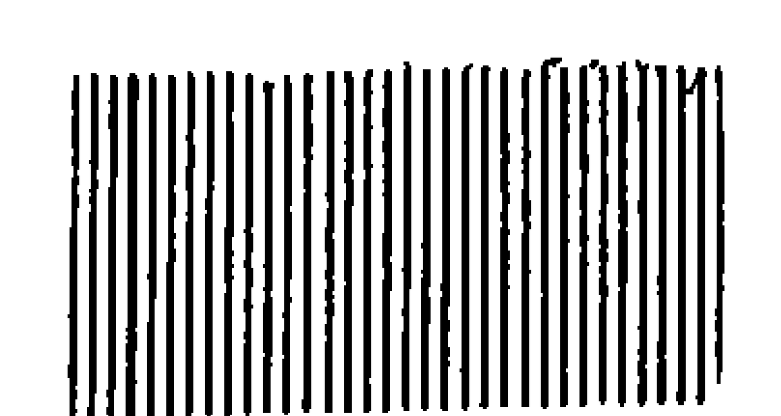
( ٨٣ ) المصدر نفسه ص ٤٨ .

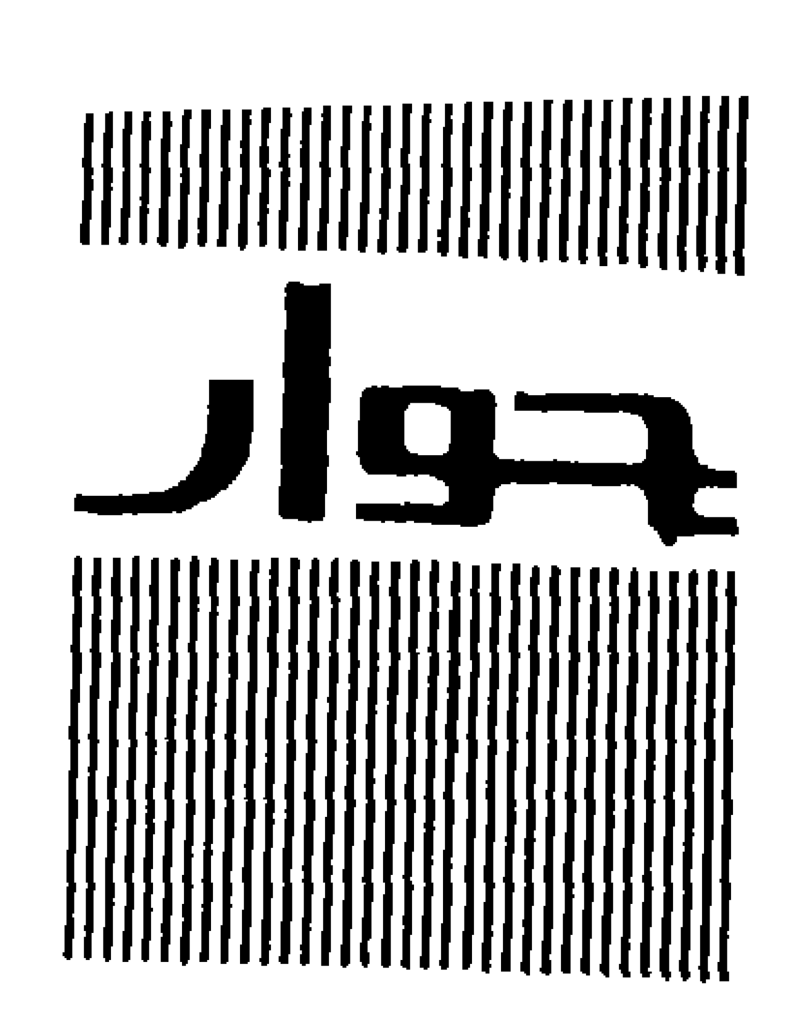
( ٨٤ ) انظر تعليق الدكتور زرزور حيث قال في حاشية ص ٤٨ من هذا الكتاب : ان ابن فنية يقول ان فورة من القر وهو القهر والأسد يقهر السباع وعن بعضهم أنه النيل كذلك راجع الطبري ١٦٨/٢٩ .

( ٨٥ ) تلخيص لما أورده ابن تيمية في المصدر السابق ص ٥١ .

( ٨٦ ) المصدر السابق ص ٥٣ ) .

( ٨٧ ) جاء في كلام الدكتور زرزور عن تخريج هذا الحديث انه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح من الترمذي ١٤٦/٨ وشرح أبي داود ٢٤٩/٥






رد على نقد
حـــول

# بيع المرابحة للآمر بالشراء

**د .سامي حمود**

البنك الإسلامي للتنمية ــ جدة

**مقدمة الرد :**

**اطلعت على التعليق المنشور في مجلة « المسلم المعاصر » في العدد رقم ٣٢ بقلم الدكتور رفيق المصري بعنوان كشف الغطاء عن بيع المرابحة للآمر بالشراء .**

**وليس لي من عتب على النقد فإن اختلاف الآراء مصدر ثروة وإثراء لتراث الفكر الإنساني ، ولكن العتب هنا ينصب على الأسلوب والاتهام المتجني الذي لم يكن يليق بباحث من أهل الدنيا أن يتجاوز فيه حدود الاطار العلمي في المناقشة فكيف بباحث يحمل مشعل الفكر الإسلامي الذي يلقي على المستنير به جوا من الالتزام بما هو فوق الأدب المعروف في الخطاب ، فالمسلم لا يظلم أخاه ولا يبخس الناس أشياءهم .**

والتزاما بهذا المنهج فإني لا أرد على التجني بمثله وإنما أوضح الحقائق التاليه :

١ ــ ان قول الناقد بوجود انقاص أو حذف من كلام الإمام الشافعي المنقول عن كتاب الأم فيه إيهام للقارىء بأن هذا الانقاص كان متعمداً لاخفاء حقيقة لا سمح الله ، ولو استعمل الناقد المعيار العلمي المتبع في كتابة الأبحاث العلمية وهو يعلم ذلك ولا شك ــ لوجد ان الجزء المنقول هو الجزء المستشهد به للاستدلال على جواز أصل هذا التعامل في بيع المرابحة الجاري بناء على طلب الراغب في الشراء ، وليس هناك محل في مجال البحث العلمي للنقل بما يزيد عن الحاجة وإلا كان

عيباً من عيوب البحث ، وقد جرت العادة عند وجود تكملة للكلام أن يضع الباحث نقطاً في نهاية الفقرة ( ... ) وهذا ما هو موجود في موضعه من كتابنا الذي يشير إليه الناقد .

٢ ــ ان الزوبعة التي أثارها الناقد ابتداء من العنوان المثير في كشف الغطاء عن بيع المرابحة للآمر بالشراء وانتهاء بالتطويل الذي لا مبرر له للتشكيك في أصل العملية وفروعها ، كانت معركة بلا هدف لأنه عاد ليقرر في الاستنتاج رقم ٨ من استنتاجاته ان هذه العملية ــ والكلام كلامه ــ إذا كانت بدون الزام للطرفين فكل فقيه يصححها .

وهذا يدل ان الأجدر به ما دام يوافق على أصل عملية المرابحة ان يجعل عنوانه معبرا وبالسجع أيضا كما يشاء ليقول « كشف الغطاء عن القول بلزوم الوفاء في بيع المرابحة للآمر بالشراء » .

٣ ــ ان للناس في مسلكهم منهجين ، واحد يراعي مصلحة الناس ضمن حدود الشرع الذي لم يجعل الله فيه على الملتزمين به من حرج ، وآخر لا تَهُمُّهُ إلا نفسُه ظنا منه أن ينجو ولو تعطلت مصالح الجماعة . فالمسلك الأول بنّاء والمسلك الثاني هدَّام والهدم أسهل من البناء لأنك قد تبني البيت في عام كامل ليكون سكنا للأسرة ويهدمه الظالم في لمحة البصر لكي يضيع الأمل كله في ثوان .

أقول هذا رداً على تشبيه عملية المرابحة للآمر بالشراء بعملية حسم السندات مع وضوح الفارق لمن يريد أن يعرف ، فالبيع في المرابحة مقصودا به امتلاك سلعة مقابل ثمن والحسم في المستندات هو اقراض مال مخصوم منه الفائدة ، فكيف يتساوى هذا وذاك ، لقد بين القرآن الكريم قول الجاهلين في اعتراضهم المشبوه على تحريم الربا حين قالوا « **إنما البيع مثل الربا** » وجاء الرد في الآية نفسها من الله سبحانه وتعالى :

**« وأحل الله البيع وحرم الربا »**

فالفارق واضح بلا حاجة الى دليل أو بيان .

ومن الغريب أن يصبح هذا العقد الذي هو عماد القوة في عمل البنوك الإسلامية المعاصرة محلا للهجوم عليه بحجة الاشتباه فيه بأنه قد لا يكون جائزا بينما تُخْتَلَفُ الآراء المفكرة للدفاع عن الربا الصريح الذي حرمه الله في محكم كتابه عن طريق القول باختلاف الظروف وان المقترض كان هو الضعيف المحتاج أما الآن فإن البنك هو القوي وليس بحاجة الى الاقتراض وأن ما يعطيه ليس ربا وهكذا يقولون ، فما هي حقيقة عقد المرابحة المظلوم من مهاجميه .

**بيع المرابحة وقضية الآمر بالشراء :**

عند بدء البحث في إنشاء البنوك الإسلامية قبل ما يقرب من عشرين عاما كان التصور العام ان الطريق المفتوح هو

اعطاء المال أو استثماره بطريق المضاربة ، وهو العقد الذي تتمثل فيه إصالة الفكر الإسلامي في توجيه المال للتلاقي مع جهد الإنسان لكي لا ينقسم المجتمع إلى طبقات بين مالكين وعمال .

ورغم أهمية المضاربة كعقد فريد إلا أن المسألة كانت في نظري أوسع مدى من حدود الاقتصار على ترديد ما يقال دون اعتبار لحاجة الجماعة التي سوف يعمل البنك الإسلامي على خدمتها إذا ما قدر له أن يرى النور .

فالمضاربة عقد محدود بالايجار مع التضييق أو التوسيع لإخراج التصنيع أو إدخاله ، ولكن المضاربة لا تغطي عددا من الاحتياجات التي لا بد من تغطيتها في نطاق العمل الاستثماري والتمويل الشامل لمتطلبات الجماعات والأفراد .

— هناك الاحتياجات الشخصية للناس كالسيارة والثلاجة والتلفاز ...الخ .

— هناك الاحتياجات المهنية كالأدوات الخاصة بالطبيب أو آلة القص للمطبعة أو كرسي الحلاقه للحلاق ...الخ .

— هناك الاحتياجات الخاصة بالخدمات في المرافق العامة كأنابيب المياه وأسلاك الهاتف وأجهزة التلكس ....الخ .

كل هذه الاحتياجات لا سبيل الى تمويلها بطريق المضاربة لأنها ليست للتجارة أو التصنيع وإنما هي للاستعمال اما لسد حاجة شخصية أو المساعدة للقيام بعمل .

فماذا يكون موقف البنك الإسلامي إذا جاءه من يريد شراء سيارة لاستعماله الشخصي ولا يملك ثمنها نقدا ؟ .

هل يقول اذهب إلى من يقرضك بالفائدة في هذه الحالة وائتنا عندما تكون تاجرا ؟ .

أقول لو حدث هذا لكان دليلا على العجز ومدعاة للقول — دون وجه حق — بالحرج في دين الله ، وما جعل الله على الناس في دينه من حرج .

من هنا أردت أن أدلل على أهمية البيان الذي جاء اطلاعي عليه أثناء البحث في كتاب الأم — للإمام الشافعي رحمه الله — فيما بينه بالقول الواضح أنه إذا أرى الرجل الرجل السلعة وقال اشتر هذه وأربحك فيها كذا فاشتراها الرجل فالشراء جائز ...الخ .

فالواضح من النص أن المبادرة كانت من القائل الراغب في شراء السلعة لأنه هو الذي أراه إياها ، فالقائل هو الذي بحث ووجد وجاء إلى من يملك المال قائلا اشتر هذه السلعة وأربحك فيها كذا .

فالقوال هنا من الأول وأربحك فيها أي أشتريها منك بربح قدره كذا هو وعد منه .

وقوله اشتريها منك بربح كذا وهو يعلم رأس المال والربح هو مرابحة .

والتركيبة هنا « بيع المرابحة للآمر بالشراء » هي تركيبة مبتكرة للتعريف بهذه العلاقة التي تشمل أطراف العملية ، وقد رضيها الأستاذ المشرف على الرسالة الشيخ زكريا البري رئيس قسم الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة القاهرة كما رضيها كذلك استاذي واستاذ استاذي فضيلة الشيخ محمد فرج السنهوري — رحمه الله تعالى — الذي كان قمة في الدّقة والتبصر الفقهي السليم .

**أين جوهر القضية :**

إن جوهر القضية عندي هو القبول بهذا الأمر الذي يتمثل في مبادرة شخص بالقول للآخر اشتر هذه السلعة وأربحك فيها كذا دون أن يكون الأخير تاجراً أو راغباً في الشراء لنفسه . فإن صح ذلك — على نحو ما يقول الإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى — فإن المسألة كلها تصبح ميسرة .

والذي لم يدركه الدكتور صاحب النقد أن الإمام الشافعي عندما أورد القيد الأخير في عبارته بأنه « إذا تبايعا به على أن الزما أنفسهما الأمر الأول فهو مفسوخ من قبل شيئين ..الخ « هو ما يراه الإمام بحق ان اتمام العقد بين المأمور والآمر بالشراء قبل أن يكون هناك تملك فهو مفسوخ . وهذا أمر واضح ولا خلاف عليه وذلك لأن المسألة تتدرج كما يلي :

١ — صدور الأمر أي وجود طلب من زيد إلى عمرو . .

٢ — وجود الوعد بالشراء مع تحديد الربح .

٣ — قبول عمرو الطلب وشراؤه السلعة فعلا .

٤ — إجراء البيع بين زيد وعمرو .

فإذا تمت الخطوة رقم ( ٤ ) من الابتداء يكون هناك موجب للقول بالفسخ كما يقول الإمام الشافعي في المسألة « وإن تبايعا به على ان الزما أنفسهما الأمر الأول فهو مفسوخ من قبل شيئين : أحدهما انه تبايعاه قبل ( ان ) يملكه البائع والثاني انه على مخاطره انك ان اشتريته على كذا أربحك فيه » .

وهذا المفهوم للمقصود أوضحه بكل جلاء وعمق استاذنا الفاضل الشيخ مصطفى الزرقاء في المجلس العلمي الذي دعا إليه الأستاذ الدكتور محمد عمر زبير — رئيس جامعة الملك عبد العزيز سابقا ، وحضره صاحب النقد وعدد من أساتذة المركز العالمي للاقتصاد الإسلامي .

**الرد على الاتهام :**

من هنا يتضح ان اتهامات صاحب النقد بالحذف المتعمد وعدم تكملة النص ليس له ما يبرره خاصة وأن المقصود كان كما واضح من معالجة الموضوع في كتابنا — إبراز أصل المسألة في قول شخص لآخر

اشتر هذه السلعة واشتريها منك بربح قدره كذا . .

أما قول صاحب النقد بأن المسألة وردت عند غير الشافعي ، فالرد عليه ان الإمام الشافعي قد فصل المسألة بما لم يفعلها غيره بهذا الشكل الذي اطلق فيه الأمر بشراء الشيء المعين بذاته « اشتر هذه » أو المعين بوصفه له « أو المطلق » متاعا أي متاع شئت « أما المالكية فإنّ ما أوردوه في المسألة فإنه يمثل نوعا من التوسع في مفهوم بيع العينة مما هو ليس منها عند التحقيق والفرق واضح بين البيعين .

فالمرابحة بيع مقصود فيه حقيقة تملك السلعة للاستعمال أو للاتجار ، أما العينة فهي بيع صوري مقصود فيه القرض حقيقة ، وإذا كان التحايل للاقتراض بالربا محرما شرعا فإن البيع الخالي من الحيلة جائز بلا خلاف . وأسأل صاحبنا ما الفرق بين ان اشتري سيارة بالتقسيط من الشركة إذا لم أكن أملك النقد الكافي أو أن اطلب من البنك الإسلامي أن يشتريها نقداً واشتريها منه بالتقسيط ؟ هل هناك عبء جديد بسبب دخول البنك الإسلامي في العملية .

أنا أفهم ان يعترض الناقد على البيع بالآجل بسعر أعلى من سعر النقد ، أما أن يعتبر دخول البنك في العملية تحايلا فليس له وجه ، علما بأن العلماء أجازوا اختلاف سعر الآجل عن سعر النقد .

وأخيرا فإن كشف العطاء عن بيع المرابحة للآمر بالشراء لم يقدم فيه الناقد شيئا جديدا طالما انه يناقض نفسه في كل ما استدل عليه عندما قرر في البند الثامن من النتائج التي توصل إليها ان [illegible] إذا كانت بدون الزام [illegible] يصححها .. الخ

أما [illegible] المفتعل ليقول من أول الطريق انه [illegible] فقط مسألة القول بالإلزام [illegible] على أصل العقد [illegible] ؟ .

فلننتقل إلى مسألة القول بالإلزام ؟ .

### هل الآمر ملزم بالوفاء :

لم يكن القول بلزوم الوعد الصادر عن الآمر بالشراء في بيع المرابحة محلا للمناقشة في رسالتنا للدكتوراه حول تطوير الأعمال المصرفيه بما يتفق والشريعة الإسلامية . ولكن المسألة أخذت دورها عند قيامنا بإعداد مشروع قانون البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار .

فقد جرت مناقشة مواد هذا القانون مادة مادة من قبل لجنة الفتوى التابعة لوزارة الأوقاف الأردنية واستقر الرأي على الأخذ بلزوم الوعد في بيع المرابحة للآمر بالشراء وذلك انسجاما مع ما ذهب إليه القانون المدني الأردني المستمد من الفقه الإسلامي

حيث أخذت اللجنة برأي ابن شبرمه في القول بلزوم الوفاء بالوعد مطلقا .

ولما كان المسلم ليس مطالبا في المصالح العامة بأن يأخذ بالرأي الأشد فإن هذا الاتجاه من لجنة الفتوى كان اتجاها محمودا لحماية البنك الإسلامي من الوقوع بلا ذنب تحت طائلة الخسارة وتضييع حقوق المستثمرين إذا نكل الآمر عن شراء ما أمر به لسبب لا يدَ للبنك الإسلامي فيه .

وقد اشتبهت المسألة على الناقد وغيره من المعترضين فقالوا ما هو الفرق بين القول بلزوم الوعد وبين التبايع الفوري منذ صدور الأمر الذي لا يجيزه الإمام الشافعي ؟ .

والفرق واضح ولكن من لا يريد أن يفهم فإن أمره يكون عجيبا .

الآمر يطلب السلعة والبنك الإسلامي يشتريها ، فإذا هلكت قبل التسليم فإن هلاكها على حساب البنك الإسلامي ، أما لو أن البنك الإسلامي باع السلعة ابتداء قبل الامتلاك فإنها تهلك على حساب الآمر ، لذلك كان التبايع قبل التملك مفسوخا في نظر الإمام الشافعي أما التبايع بعد التملك فإنه مقبول لأنه بيع على شيء مملوك وموجود .

حتى بعد البيع لو كان هناك في المبيع عيب خفي موجب للرد فعلى من يرد الآمر الذي أصبح مشتريا السلعة المشتراه ؟ إنه يردها على من باعها له وهو البنك الإسلامي .

ويأتي من يقول بأن البنك الإسلامي لا يخاطر لأنه يؤمن البضاعة وإذا ردت اليه السلعة فإنه يردها على البائع الأول ، لذلك فلا مخاطرة على البنك الإسلامي .

والرد على ذلك بأن التأمين شيء خارج عن العقد فالتاجر يؤمن بضاعته وهي في مخازنه ، فهل يعني ذلك أنه لا يخاطر ولا يستحق الربح ؟ ان المهم ان المشتري الأخير لا يدفع مالا إلا في مقابل سلعة ، وهذا هو البيع الحلال . وأما المقترض فإنه يدفع مالا لقاء مال ومعه زيادة من المدين إلى دائنه وهذا هو الربا الحرام . والأول بيع أحله الله والثاني ربا حرمه الله .

**هل يشترط الاضرار لتحقيق شرعية العقود :**

يقول الناقد في البند التاسع من نتائجه ان العملية إذا حدد فيها الثمن كانت حراما .. ويقول في البند العاشر ان هذه العملية عندما يكون فيها الخيار للطرفين جائزة بلا خلاف ...الخ .

أما بالنسبة لتحديد الثمن فكأنما الناقد يريد أن يبني العقود على الجهالة الموجبة للنزاع ، إذ ماذا يكون الموقف لو قال التاجر للبنك الإسلامي اشتر ألف طن اسمنت لأشتريها منك بالثمن الذي سأعرضه عليك وتأتي شحنة الاسمنت ويبدأ الحوار والتاجر

يعلم سرعة تلف المادة فيقوم بالتسويف والبنك الإسلامي يخشى فوات الوقت فيستعجل الاتفاق وبين هذا وذاك يتلف الاسمنت .

أهذا هو المأزق الذي يريد الدكتور الناقد للبنوك الإسلامية أن تقع فيه ؟ .

فإذا تحدد السعر وكان الوعد غير ملزم وصادف هبوط السعر وصول الاسمنت فالتاجر يملك عدم الوفاء بما وعد ولو كان الهبوط فلسا واحدا لأنه يستطيع أن يشتري من السوق نوعا آخر ، وعندما يعرض البنك الإسلامي الاسمنت للبيع ويجد انه من نوع مخصوص كان التاجر قد طلبه للبناء في المياه المالحة فلا بأس أن يخسر البنك الإسلامي قيمة الصفقة نتيجة اخلاف الوعد من التاجر وهكذا يريد الناقد أن تكون أمور المسلمين . لأن اخلاف الوعد صفة من صفات المنافق ديانة أما التجارة فإنها تقوم على عدم الوفاء بالوعد ؟ أليس هذا تفكير عجيب ؟ .

٤ ـــ ولكن الرأي الذي روج له الدكتور صاحب النقد وساعده فيه بعض الكاتبين لم يصمد أمام النقاش العلمي حيث نوقشت هذه المسألة بالتفصيل في اجتماع المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي الذي تم عقده في دولة الكويت بين ٢١ ـــ ٢٣ ـــ مارس ١٩٨٣ م وحددت عن لجنة العلماء التوصيات والفتاوى الخاصة بالمسائل المبحوثه ومن بينها مسألة بيع المرابحة للآمر بالشراء وذلك حسب النص التالي :

« ..... الفتوى رقم ٨ »

« يقرر المؤتمر ان المواعدة على بيع المرابحة للآمر بالشراء بعد تملك السلعة وحيازتها ، ثم بيعها لمن أمر بشرائها بالربح المذكور في الموعد السابق هو أمر جائز شرعا طالما كانت تقع على المصرف الإسلامي مسؤولية الهلاك قبل التسليم وتبعه الرد فيها يستوجب الرد بعيب خفي ، وأما بالنسبة للوعد وكونه ملزما للآمر أو المصرف أو كليهما فإن الأخذ بالإلزام هو الأحفظ لمصلحة التعامل واستقرار المعاملات وفيه مراعاة لمصلحة المصرف والعميل . وان الأخذ بالالزام أمر مقبول شرعا ، وكل مصرف مخير في الأخذ بما يراه في مسألة القول بالالزام حسب ما تراه هيئة الرقابة الشرعية لديه » .

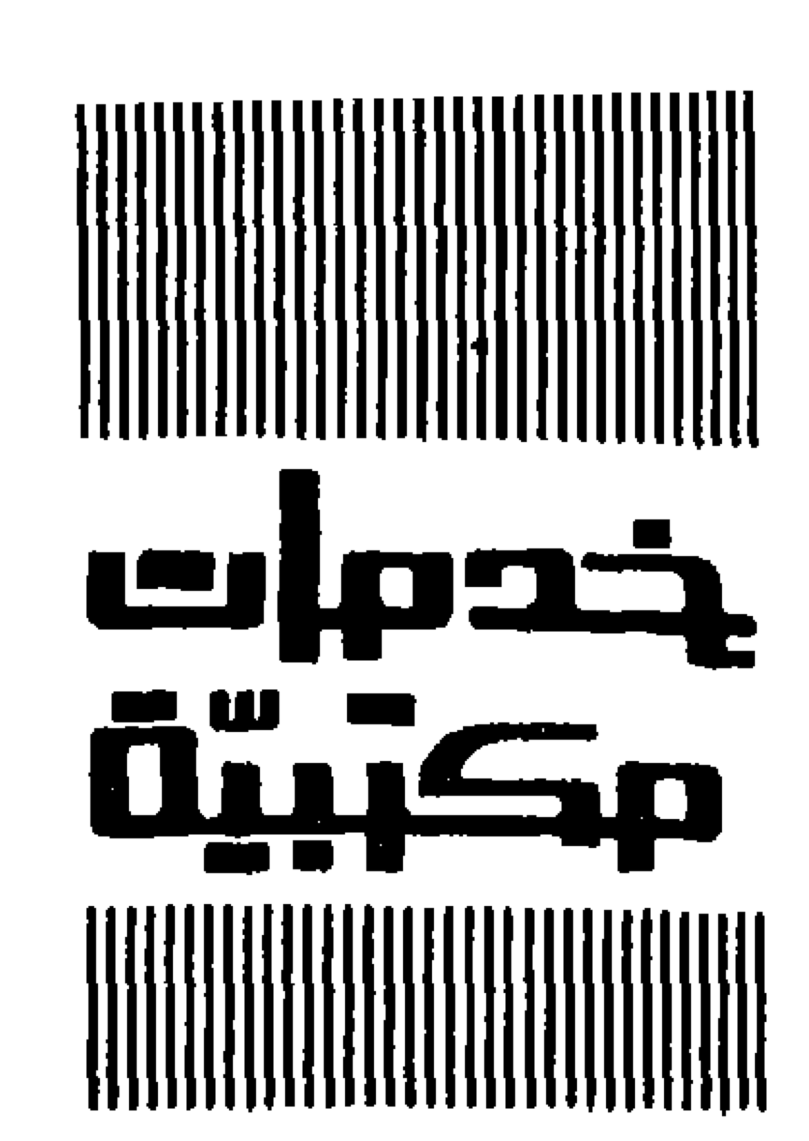
فهل يريد صاحب النقد كلاماً أوضح من هذا الكلام .

نسأل الله أن يوفق طلاب المعرفة من المسلمين ليرتفعوا عن مستوى المهاترة في فروع المسائل التي تحتمل الخلاف وتعدد الآراء لكي ينظروا إلى أساس البلاء الذي يهدد وجود الأمة الإسلامية كله بالفناء .

اللهم رحمتك وغفرانك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .






# دليل القارىء إلى الكتب الجديدة

صلاح الدين حفني
وزارة التربية ــ الكويت

**دسوقي ، فاروق/حرية الانسان في الفكر الإسلامي . بحث في القضاء والقدر والجبر والاختيار ــ الاسكندرية : دار الدعـــوة ، ١٩٨٢ ، ٤٥٠ ص .**

الكتاب بحث قديم من حيث الموضوع جديد من حيث الاسلوب ، فقد عالج المؤلف هذه القضية الحساسة قضية القضاء والقدر والجبر والاختيار باسلوب جديد وخرج بها من ضيق الفلسفة الى رحابة القرآن الكريم مستلهما منه الحل الشافي والحقيقة الناصعة التي لا يعتورها غموض او شك .

ولقد تناول المؤلف الموضوع من خلال تسعة فصول معتمداً بالدرجة الأولى على آيات من الذكر الحكيم في الدخول الى قضاياه وحلها ، فبعد التصدير وايراد شبهات ابليس في مجال الأدب والفلسفة والفكر الديني والرد عليها أورد الموضوع مقسماً كما يلي :

**الفصل الأول :** ستة قواعد للباحث عن الحقيقة في القرآن والسنة .

**الفصل الثاني :** ناقش فيه الأسس الغيبية للحرية الأنسانية .

**الفصل الثالث :** أسئلة واجاباتها عن الخلق ، خلق العالم وخلق الأنسان والابتلاء .

**الفصل الرابع :** تناول صلب الموضوع وهو الجبر والاختيار مع ذكر الآراء المختلفة والرد عليها ، والتركيز على جوهر الاختيار البشري في القرآن الكريم .

**الفصل الخامس :** تطرق فيه إلى حقيقة العقل البشري وأساس الوحدة فيه وحقيقة الشر وأصله في الحياة الدنيا وكذلك الأفعال

المجردة عن الخير والشر .

**الفصل السادس** : عن المعرفة والعلم والمسئولية عنهما .

**الفصل السابع** : تناول الحديث عن القضاء والقدر في بحث مستفيض حول القضايا المتعلقة بهذا الموضوع .

**الفصل الثامن** : خصصه للحديث عن العدل الالهي والكمال الانساني وعن الحرية كأساس لمنهج الحياة الإسلامية .

**الفصل التاسع** : خلص فيه إلى النتائج الغيبية للحرية الانسانية .

وكنا نود أن يثبت المؤلف قائمة بالمراجع والمصادر التي أخذ منها ورجع إليها وان كان قد ذكرها متفرقة في ثنايا الكتاب وهذا لا ينقص من قيمة البحث من الناحية الموضوعية فقد منح عليه المؤلف الماجستير مع درجة ممتاز ، ونسأل الله أن يجعل مجهوده في ميزان حسناته .

**عامر ، أحمد محمد/علم نفس الطفولة في ضوء الإسلام . جدة : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م . ـــ ١٥٢ ص ، ٢٤ سم .**

الكتاب يضم تسعة فصول تركز الأول منها على تعريف النفس في الإسلام ونظرة إلى البدايات الإسلامية والبدايات الغربية في علم النفس وقد أثبت المؤلف سبق العلماء المسلمين في هذا الميدان وعلى رأسهم الامام الغزالي وابن سينا والفارابي .

ثم انتقل إلى المرحلة التجريبية التي مر بها علم النفس على أيدي العلماء الغربيين وتعرض للمدارس المختلفة التي نشأت بعد ذلك ومبادىء كل مدرسة وما يترتب على ذلك من تطور في علم النفس **وفي الفصل الثاني** وهو مبحث بعنوان الطفولة ومطالب النمو ناقش الكتاب أساليب البحث في ظاهرة النمو وسيكولوجيته .

**ومن الفصل الثالث** وحتى الثامن تناول مراحل النمو بالتدريج وهي :

مرحلة ما قبل الميلاد ـــ مرحلة سنوات المهد وهي تبدأ بالميلاد وتنتهي بنهاية العام الثاني ـــ مرحلة الطفولة المبكرة وهي من سن ٣ ـــ ٥ سنوات ـــ مرحلة الطفولة المتوسطة وهي من سن ٦ ـــ ٨ سنوات ـــ مرحلة الطفولة المتأخرة وهي من سن ٨ ـــ ١٢ سسنة . وأخيراً مرحلة المراهقة . وقد ناقش في كل هذه المراحل النقاط التالية :

١ ـــ السنن الالهية في كل مرحلة .

٢ ـــ النمو الحسي والحركي .

٣ ـــ نمو الوظائف العقلية العليا .

٤ ـــ السمات العقلية لكل مرحلة .

٥ ـــ التوافق والنمو العقلي .

٦ ـــ السمات الانفعالية لكل مرحلة .

وفي الفصل التاسع والأخير تحدث الكتاب على العوامل التي تؤثر على النمو وفيه مبحثان طبيعة النمو والنضج والخبرة . وقد أثبت المؤلف في نهاية الكتاب قائمة بأسماء المراجع العلمية التي استقى منها معلوماته .

**يكن ، فتحي/الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية .ـ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م . ـ ١١٦ ص ، ١٩ سم .**

**الأخلاق الإسلامية ، التربية الإسلامية ، الدعوة الإسلامية**

الكتاب ثمرة محنة مرَّ بها المؤلف وعاشها وتأمل خلالها أحوال دعوته وانفعل وتفاعل بسلبياتها وإيجابياتها فخرجت هذه الكلمات لينير بها طريق إخوانه الذين يشاركونه آمال وآلام الدعوة .

وقد قسم المؤلف الاستيعاب إلى قسمين : خارجي وداخلي ، ويقصد بالاستيعاب الخارجي استقطاب الداعية لعناصر جديدة تصلح لأن تكون لبنات صالحات يدعم بها بناء دعوته ويعوض بها ما يستهلك من اللبنات السابقة .

أما الاستيعاب الداخلي ، فهو حسن استخدام طاقات هذه العناصر البشرية وتوجيهها لتكون قدرة فاعلة تدفع مسيرة الدعوة نحو هدفها المنشود .

وقد لخص المؤلف المتطلبات التي يحتاجها الدعاة في عملية الاستيعاب الخارجي في تسعة نقاط ، هي :ـ

١ ـ الفقه في دين الله .

٢ ـ القدوة الحسنة .

٣ ـ الصبر .

٤ ـ الحلم والرفق .

٥ ـ التيسير لا التعسير .

٦ ـ التواضع وخفض الجناح .

٧ ـ طلاقة الوجه وطيب الكلام .

٨ ـ الكرم والانفاق على الناس .

٩ ـ خدمة الآخرين وقضاء حوائجهم .

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الاستيعاب الداخلي وأوضح أنه يمر بمرحلتين .

الأولى الاستيعاب العقائدي التربوي .

والثانية الاستيعاب الحركي .

**أما الاستيعاب العقائدي** التربوي فقد استنار فيه بهدى الرسول ﷺ في تكوين الانسان المسلم وأهم نقاطه :

١ ـ تغليب الايجابية على السلبية .

٢ ـ تغليب الاعتدال على التطرف .

٣ ـ القليل الدائم خير من الكثير المنقطع .

٤ ـ تغليب الأولوية في التكوين .

٥ ــ التكوين من خلال القدوة .

٦ ــ التكوين الجزئي لا الكلي .

٧ ــ سلامة البيئة وأثرها في التكوين .

٨ ــ أثر الثواب والعقاب في التكوين .

**أما الاستيعاب الحركي** : فهو استيعاب الحركة والتنظيم للافراد وحسن استغلال طاقاتهم وتوظيفهم بطريقة مناسبة وكذلك استيعاب الافراد والقيادة للحركة وللظروف المحيطة بها علماً وتعاملاً والتكيف مع تلك الظروف بما يحفظ على الحركة استمرارها [illegible] .

| وزارة الأوقاف والشئون **الإسلامية** الموسوعة الفقهية الجزء ٣ ، [illegible] الكويت : وزارة [illegible] **الإسلامية** ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م . ــ ٤٠٦ ص ، ٢٨ سم |
|---|

بيان أيدينا الجزء الثالث من الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف بالكويت

وهو يضم أكثر من ثمانين بحثاً رئيسياً غير الاحالات .

ويبدأ بمصطلح ارادة وينتهي بمصطلح استظهار ضمن حرف الهمزة الذي يتوقع له أن يستغرق ستة أجزاء صدر منها ثلاثة حتى الآن .

البحوث مدعمة بالأدلة والبراهين ، والأحاديث مخرجة ، وقد ورد ذكر المرجع بطريقة تسهل على الباحث الرجوع إلى الموضوع بسهولة ويسر بحيث تم ذكر اسم المرجع والجزء والصفحة والطبعة المعتمدة في البحث .

وتهدف الموسوعة الفقهية بصفة عامة إلى اعادة صياغة وترتيب الموضوعات الفقهية المختلفة في شكل عصري جديد وبطريقة علمية سهلة لتسد بذلك نقصاً في المكتبة الإسلامية المعاصرة مستمدة مادتها من المصادر الفقهية المعتمدة .

| **جبر ، سعدي حسين علي/فقه الامام ابي ثور . ــ عمان : دار الفرقان ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م ، ٨٧٠ ص .** |
|---|

الكتاب رسالة قدمت لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ، للحصول على درجة الماجستير في الفقه المقارن ونالت مرتبة ممتاز .

الكتاب منسق غاية التنسيق بطريقة تسهل على الباحث والقارىء الوصول الى بغيته من خلال الفهرس بسهولة ويسر ، فقد قسم الكتاب الى بابين الأول وهو يعتبر مقدمة عامة حيث ألقى فيه المؤلف الضوء على أحوال المسلمين في عصر الأمام ١٧٠ هـ ــ ٢٤٠ هـ وما اتسم به من ازدهار في

التدوين والاجتهاد ، كما خصص فيه فصلا تحدث فيه عن حياة الأمام .

**والباب الثاني** : وهو صلب الكتاب قسمه المؤلف الى ستة فصول وقسم كل فصل إلى مباحث والمباحث إلى مطالب والمطالب إلى مقاصد والمقاصد إلى مسائل . وهكذا حتى تحصل على أي جزئية تحت عنوانها الكبير المتفرعة عنه ، وقد قسم موضوعاته على الفصول الستة كما يلي :

**الفصل الأول** : في أحكام العبادات بدءا من أحكام الطهارة والوضوء مروراً بالصلاة والزكاة وانتهاء بالحج وما يتعلق به من أعمال وأحكام .

**الفصل الثاني** : آراء الامام في بعض مسائل الأحوال الشخصية وتعرض فيه لبعض الأحكام المتعلقة بالنكاح من شتى الوجوه

ثم عرج إلى أحكام الرضاع ثم أحكام الطلاق والخلع وبعض أحكام الايلاء والظهار ثم أحكام اللعان ثم الميراث والوصاية .

**الفصل الثالث** : أحكام المعاملات ، البيع ، الربا ، السلم ، الرهن ، الحوالة والكفالة ، المساقاة والمزارعة ، الاجارة ، الهبة والعارية واللقطة ، ثم الحجر والتفليس .

**الفصل الرابع** : القصاص وما يتعلق به من أحكام ثم أحكام الديات ، القسامة ثم الحدود والتعزير .

**الفصل الخامس** : أحكام القضاء والبينات .

**الفصل السادس** : العلاقات الدولية وبعض أحكام الجهاد وما يترتب عليها من غنائم وجزية وغيرها من الأمور المتعلقة بالغزو .

**وفي الخاتمة** أورد المؤلف المسائل التي خالف فيها أبو ثور الأئمة الأربعة ، ثم اثبت في نهاية الكتاب قائمة بالمراجع والمصادر مرتبة ترتيبا موضوعيا ، فبدأ بكتب التفسير ثم كتب الحديث الشريف وعلومه ، فكتب الفقه ذاكرا مراجع كل مذهب على حدة ، ثم كتب الاصول فالتاريخ والسير وكتب اللغة ثم الكتب المساعدة الأخرى .

**عمرو ، محمد عبدالعزيز/اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية .ــ عمان : دار الفرقان ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م ، ٥٥٢ ص .**

الكتاب يعالج بعض القضايا التي تواجه المسلمين في حياتهم اليومية والاجتماعية وبالدرجة الأولى قضيتي اللباس والزينة على ضوء من الكتاب والسنة .

لقد مهد المؤلف بثلاثة مباحث هامة وهي نشأة اللباس وأهميته ، حاجة الانسان

إلى اللباس وتطور مفهوم اللباس عند الأمم ، مستعرضاً هذا الموضوع منذ نشأة البشرية مع خلق آدم عليه السلام حتى يومنا هذا .

والكتاب يتكون من ثلاثة أبواب :

**الباب الأول : أحكام العورة والحجاب وفيه ثلاثة فصول تتضمن عدة مباحث حول :**

**ستر العورة ، معناها ، حدودها ، عورة الرجل ، عورة المرأة ، عورة المرأة على محارمها ، العورة في الصلاة ، الحجاب ، معناه ، أحكامه ، الاستئذان معناه قواعده ، أدابه ، غض البصر ، معناه أحكامه .**

**الباب الثاني :** أحكام اللباس وفيه خمسة فصول وعدة مباحث حول : ما يحرم ومالا يحرم من اللباس ، لباس الصلاة ، أنواع اللباس ، هيئات اللباس ، أحكام عامة في اللباس ، آداب اللباس .

**الباب الثالث :** أحكام الزينة وفيه أربعة فصول وعدة مباحث حول : معنى الزينة وحدودها الاعتدال فيها ، أهميتها ، النظافة في الثياب والبدن ، سنن الفطرة ، زينة المرأة ما يباح وما يحرم منها ، التبرج ومضاره ، التحلي بالذهب وغيره ، زينة البيوت ، تعليق الصور المجسدة وغير المجسدة ، وغير ذلك من المباحث التي تواجهنا في حياتنا اليومية وفي حدود علاقاتنا الاجتماعية .

ولقد أثبت المؤلف في نهاية الكتاب قائمة بالمراجع الهامة التي رجع إليها في التفسير وعلوم الحديث والمذاهب الفقهية المختلفة وغيرها من المراجع المساعدة .

**خروفة ، علاء الدين/ عقد القرض في الشريعة الإسلامية ، دراسة مقارنة مع القانون الوضعي ، بيروت : مؤسسة نوفل ، ١٩٨٣ .ـــ ٣٩٠ ص ، ٢٤ سم .**

الكتاب بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه نالها المؤلف مع مرتبة الشرف الأولى ، وهو يبحث في عقد القرض بين الشريعة الإسلامية من جهة والقانون الوضعي الروماني والفرنسي والمصري من جهة أخرى ، اضافة الى مناقشة القوانين التجارية المعاصرة وأعمال الأسهم والسندات .

ولقد قسم المؤلف كتابه إلى سبعة أبواب :

**الباب الأول :** يبحث فيه العقد في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي متناولا تعريفه ، أركانه ، الوعد فيه ، أقسامه ، وقد احتوى كل فصل على عدة مباحث .

**الباب الثاني :** خصصه لبحث موضوع القرض وتعريفه في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي وهو يحتوي على أربعة فصول تناول من خلالها القرض من شتى زواياه ونقاط الجدل فيه كما أورد تعريفات وآراء المذاهب الفقهية في شتى صور القرض

ثم تطرق للموضوع في القانون الوضعي وأورد تعريفه في القوانين الوضعية المختلفة وناقش هذه التعريفات على ضوء من الشريعة الإسلامية .

**الباب الثالث** : أورد فيه أدلة ثبوت القرض وفضله ومحله .

**الباب الرابع** : في الفائدة على القرض أورد فيه فصلان ، الأول في الربا عند بعض الأمم القديمة والثاني في الربا في الشريعتين اليهودية والمسيحية ، وفي هذا الباب عرض تاريخي يطلعنا فيه على نظرة الأمم السابقة إلى الربا وحكم الأديان في الربا ، ثم انتقل المؤلف إلى الربا في الشريعة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة وآراء المذاهب الفقهية المختلفة فيه .

**الباب الخامس** : وهو عن تحريم الربا في الشريعة الإسلامية وهو من أربعة فصول ذكر من خلالها المؤلف في الفصل الأول نبذة عن حالة العرب قبل الإسلام ثم انتقل إلى أدلة تحريم الربا في القرآن الكريم والسنة المطهرة ثم تعريف الفقهاء للربا واختلافهم في علل التحريم .

**الباب السادس** : يبحث فيه رد القرض إلى المقرض في الشريعة الإسلامية وفيه ثلاثة فصول تناول من خلالها الزيادة على القرض ورأي الفقهاء المسلمين في ذلك ثم أخذ يفند محاولات تحليل الفائدة عن طريق الاستدلال بالأدلة الشرعية .

**الباب السابع** : يبحث فيه رد القرض إلى المقرض في القوانين الوضعية الروماني والفرنسي القديم ، والحديث ، ثم المصري القديم والحديث ثم في القانون التجاري وأعمال البنوك وفيه أربعة فصول .

وقد أورد المؤلف قائمة قيّمة بالمراجع والمصادر العربية والمترجمة التي أخذ منها ورجع اليها في بحثه .

وللحقيقة فان هذا الكتاب يعتبر مرجعا قيما في موضوعه ومرآة صادقة تنعكس عليها صورة الفقه الإسلامي في احاطته الشاملة بمصالح الناس واحتياجاتهم .

**الأمين ، حسن عبدالله/ الودائع المصرفية النقدية واستثمارها في الإسلام .**
**جدة : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ــ ٣٦٠ ص ، ٢٣ سم .**

الكتاب يتناول موضوع الوديعة من كافة جوانبه ويناقش كافة الآراء ويخلص في النهاية بالرأي الراجح فهو دراسة وافية شملت آراء المذاهب الفقهية.وآراء الاقتصاديين المسلمين والمجتهدين والفتاوى المختلفة بهذا الشأن .

**ولقد قسم الكتاب إلى قسمين رئيسيين :**

**القسم الأول** : دراسة الوديعة في ضوء الشريعة الإسلامية وموقف القانون الوضعي منها وهو منقسم إلى بابين . **الأول** فيه الوديعة في المذاهب الفقهية المختلفة وكذلك في القانون الوضعي وبيان خصائصها ومميزاتها وماهيتها . كذلك ويبحث في أركان عقد الايداع ، ومشروعية الوديعة وحكمها ، وفي هذا الباب عدة مباحث قيمة . أما **الباب الثاني** في القسم الأول فقد تناول الحديث عن واجبات كل من الوديع والمودع والتزاماتهما ومنازعات الوديعة وفيه كذلك بحوث عدة .

**القسم الثاني** : يتناول الحديث فيه عن الودائع المصرفية على ضوء قواعد وأحكام الشريعة الإسلامية وفيه بابان . **الأول** ويبحث الودائع المصرفية بحسب العرف المصرفي وتكييفها القانوني وتخريجها الشرعي . **الباب الثاني** يتناول استثمار الودائع المصرفية ومباحث الفائدة ، معناها ومجالات العمل بها والفرق بينها وبين الربح . وتعريف الفائدة فقهياً ولغوياً . كذلك تحدث في مبحث مستقل عن الفائدة والربا ومدى انطباق وصف الربا على الفائدة .

**وفي النهاية** يتناول موضوع استثمار الودائع المصرفية بما يتلاءم مع أحكام الشريعة الإسلامية في مبحثين . الأول بعنوان عقد المضاربة بدلا من الخصم وفتح الاعتماد . والثاني عن الاستثمار المصرفي في اطار المضاربة وبعض العقود المشروعه .

ولقد لخص المؤلف في نهاية الكتاب الآراء الراجحة التي وصل إليها وكذلك أورد قائمة باسماء المراجع التي اعتمد عليها بحسب التسلسل التاريخي لظهورها وعلى رأسها الكتاب والسنة ثم المذاهب الفقهية المختلفة واجتهادات الاقتصاديين الإسلاميين .

**ياجن ، مقداد/دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الانسانية ــ بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .ــ ١٢١ ص ٢/١١ ٢ سم .**

ركز المؤلف في هذا الكتاب على أهمية دور الأخلاق بصفة عامة والإسلامية بصفة خاصة في تربية الفرد وتقويم سلوكه ومن ثم في اقامة مجتمع تقوم دعائمه على الفضيلة والأخلاق ، والكتاب يضم أربعة فصول .

**الفصل الأول** : مدخل في خصائص التربية الأخلاقية الإسلامية ومميزاتها الأساسية ، ناقش فيه المؤلف اتجاهات المربين في التربية الأخلاقية ومميزات التربية الأخلاقية الإسلامية بصفة عامة .

**الفصل الثاني** : تحدث فيه عن دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد ورأي المفكرين والمربين في هذا الموضوع .

**الفصل الثالث** : تناول نفس المباحث السابقة وطبقها على بناء المجتمع .

**الفصل الرابع** : انتقل المؤلف في تسلسل منطقي بعد بناء الفرد والمجتمع إلى بناء الحضارة الانسانية بصفة عامة على نفس الأسس والمباديء من التربية الإسلامية الأخلاقية .

**وفي الختام** : طالب المؤلف بضرورة ادخال التربية الأخلاقية في نظام التربية والتعليم وتعميمها لتشمل الأفراد والمجتمعات .

كما ذيَّل كتابه بقائمة المراجع والمصادر التي استعان بها في بحثه ، العربية منها والأجنبية وقد بوبها تبويباً ألفبائياً بالنسبة للموضوع وذكر أمام العنوان باقي البيانات التي تسهل الحصول على المرجع من مصادره .

**العظم ، يوسف/الشعر والشعراء في الكتاب والسنة ، دراسات في أدب الدعوة . عمان : دار الفرقان ، ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .ــ ١١٠ ص ، ١٧ سم .**

الكتاب حلقة من سلسلة دراسات في أدب الدعوة للمؤلف . ولقد اعتمد في هذا البحث تفسير الآية الكريمة « **والشعراء يتبعهم الغاوون .. الآية** » واعتبرها هي المحور الأساسي لبحثه . وفي سبيل ذلك استعان بآراء بعض المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أمثال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وعطاء والحسن البصري رضي الله عنهم جميعا .. كما اعتمد بعض التفاسير المشهورة مرجعاً له مثل الكشاف للزمخشري وابن كثير .

ولقد أوضح أن الشعراء كانوا على عهد الرسول ﷺ ينقسمون إلى قسمين واضحين تمام الوضوح .. قسم يؤازر الدعوة وينافح عنها منهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير . وقسم آخر كان يناهض الدعوة الإسلامية ويحاربها بل ويزعمون أن القرآن شعر وأن في مكنتهم أن يصنعوا مثله ومنهم عبدالله بن الزبعري ، هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، مسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحي وكلهم من قريش وأخيراً أمية بن أبي الصلت من ثقيف .

ولقد هاجم القرآن الكريم هؤلاء النفر الأخير من الشعراء في صدر الآية المذكورة ثم استثنى في آخر الآية أولئك الذين ساندوا الإسلام وعزروه ونصروه .

وأورد الكاتب بعض مواقف للرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه تثبت أنه لم يكن يتحامل على الشعراء بصفة مطلقة بل يستمع إلى الشعراء أحيانا ويسمح بالقائه في مجلسه بل وقد تمثل به يوم الأحزاب مع المهاجرين والأنصار حيث دعا لهم .

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة
فاغفر للأنصار والمهاجرة

ولقد اجابوه

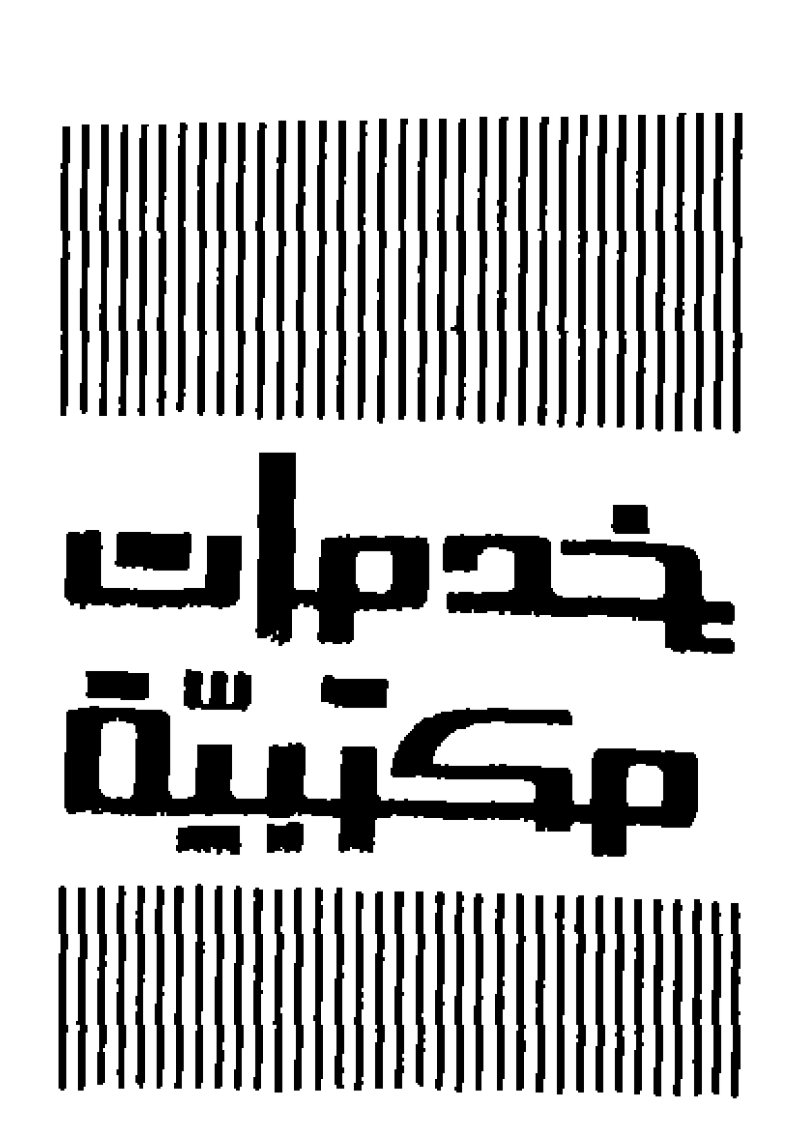
نحن الذين بايعوا محمداً
على الجهاد ما بقينا أبداً

ثم مثل آخر لشهيد من شهداء الإسلام وهو في طريقه إلى الخلود يتمثل بالشعر وهو خبيب الأنصاري .

أما ذمه ﷺ للشعر فقد ورد في ظروف خاصة ومواقف خاصة ولقد جاء ذلك في الحديث الصحيح « **لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً يريه خير من أن يمتلىء شعراً** » .

هذا اذا كان ذلك سيلهي الانسان عن عبادة ربه وأداء واجباته ويملك عليه حواسه ليشغله عن دينه .

هذا وقد أورد المؤلف كثيراً من الأشعار التي قيلت في المغازي والفتوحات الإسلامية .




## دليل الباحث

# في الدعـوة الإسلامية

محيي الدين عطية

دار البحوث العلمية

اقتصرنا في هذه القائمة الببليوجرافية عن الدعوة الإسلامية على ما صدر باللغة العربية في الثمانينات ( ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ حتى إعداد القائمة ) . وقد تضمنت عملية الرصد الكتب والمقالات والأطروحات الجامعية وبحوث المؤتمرات والمحاضرات . وقد رتبنا المداخل ـ تحت رؤوس الموضوعات ـ ترتيبا هجائيا طبقاً للمؤلف . ثم أتبعنا القائمة بفهرس قاموسي هجائي يضم أسماء المؤلفين والعناوين ، إلا أننا ميزنا أسماء المؤلفين بلون أسود تيسيراً للباحث . وأتبعنا الفهرس بقائمة هجائية للناشر في الدوريات والجامعات مع ذكر عناوين المراسلة الخاصة بها استكمالاً للنفع .

## الإخوان المسلمون

جبر ، محمد سلامة/ الإخوان المسلمون دعاة حق لا طلاب حكم .ـــ الكويت : شركة الشروق للنشر ، ١٩٨٢ م .ـــ ٧٦ ص ؛ ٢٤ سم . ( ١ ) .

ميشيل ، ريتشارد ب/ الإخوان المسلمون ، ترجمة محمود أبو السعود ، تعليق صالح أبو رقيق .ـــ أنديانا بوليس : دار النشر الأميركية ، الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م . ٥١٢ ص ؛ ٢٤ سم . ( ٢ )

## الإخوان المسلمون ـــ تاريخ

شادي ، صلاح/ صفحات من التاريخ ، حصاد العمر .ـــ الكويت : شركة الشعاع للنشر ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .ـــ ٤٠٠ ص ؛ ٢٤ سم ( سلسلة الحركة الإسلامية ـــ ٣ ) ( ٣ )

عبد الحليم ، محمود/ الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ـــ الجزء الثاني : رؤية من الداخل .ـــ الاسكندرية : دار الدعوة ، ١٩٨١ م .ـــ ٥٦٦ ص ؛ ٢٤ سم . ( ٤ )

## الإصلاح الديني

البنا ، حسن/ نظرات في إصلاح النفس والمجتمع ، سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور .ـــ القاهرة : مكتبة الاعتصام ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .ـــ ٢٢٤ ص ؛ ٢٤ سم . ( ٥ )

## الإعلام الإسلامي

إمام ، محمد كمال الدين/ النظرة الإسلامية للإعلام ، محاولة منهجية ، ط٢ مزيدة .ـــ الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ـــ ٢٦٤ ص ؛ ٢٤ سم ( ٦ )

البرازي ، سعد/ الإعلام الإسلامي .ـــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .ـــ ماجستير . ( ٧ )

عزت ، محمد فريد محمود/ بحوث في الإعلام الإسلامي ـــ توجيهات إسلامية : لمقاومة الشائعات ، لنشر أخبار الجريمة ، لنشر أخبار الجنس .ـــ جدة : دار الشروق ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ـــ ١٧٤ ص ؛ ٢٤ سم . ( ٨ )

غلوش ، أحمد/ الإعلام الإسلامي في المجتمع الحديث . **التضامن الإسلامي** .س ٣٧ : جـ ١١ ( ١٤٠٣/٥ هـ = ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٧٩ ـــ ٨٤ ( ٩ )

## الإعلام الإسلامي ـــ الاتصال

نجيب عمارة/ مكانة الاتصال الشخصي في الإعلام والدعوة . **هذه سبيلي** . س ٣ : ع ٣ ( ١٤٠٠ ـــ ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ م ) ص ص ٣٦ ـــ ٧١ ( ١٠ )

## الإعلام الإسلامي ـــ العالم الإسلامي

خليفة ، إجلال/ الإعلام الديني في الوطن الإسلامي المعاصر ( ١ ) .ـــ **منار الإسلام** . س ٨ : ع ٤ ( ١٤٠٣/٤ هـ = ١٩٨٣/٢٢١ م ) ص ص ٨٠ ـــ ٩١ ( ١١ )

خليفة ، أجلال/ الإعلام الإسلامي المعاصر ـــ ٢ ـــ **منار الإسلام** . س ٨ : ع ٥ ( ١٤٠٣/٥ هـ = ٢ ـــ ١٩٨٣/٣ م ) ص ص ١١٠ ـــ ١١٩ ( ١٢ )

## الإعلام الإسلامي والأمن

الدعيج ، فهد بن عبد العزيز بن حمد/ مكانة الأمن في الدولة الإسلامية وكفالة الدعوة والإعلام الإسلامي.ـــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ ماجستير . ( ١٣ )

## الإعلام الإسلامي والتربية

كامل ، عبد العزيز/ الإعلام الديني والتربية .ـــ **المسلم المعاصر** . س ٨ : ع ٣٢ ( ١٤٠٢/١٠ هـ ) ص ص ( ١٤ )

## الأفغاني ، جمال الدين

عبد الحليم ، علي/ جمال الدين الأفغاني والاتجاهات الإسلامية في أدبه .ـــ جدة : دار عكاظ ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .ـــ ٦٤١ ص ؛ ٢٤ سم . ( نحو أدب إسلامي معاصر ـــ ٢ ) ( ١٥ )

## الإعلام الإسلامي والحرب النفسية

نجار ، فهمي قطب الدين/ الإعلام والحرب النفسية في ضوء معايير الإسلام .ـــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ـــ ماجستير . ( ١٥ )

المرعشلي ، هاني عبد الوهاب/ التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر : دراسة في فكر جمال الدين الأفغاني .ـــ الأسكندرية : كلية الآداب جامعة الأسكندرية ، ١٩٨٢ م .ـــ ماجستير . ( ١٧ )

## أليجا محمد ( منظمة )

أبو سليمان ، عبد الوهاب/ منظمة إليجا محمد الأمريكية .ـــ جدة : دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .ـــ ٢١٢ ص ؛ ٢٤ سم .ـــ ١٥ ريال ( ١٨ )

## الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أبو فارس ، محمد عبد القادر/ الأمر بالمعروف والنهي عن النكر .ـــ عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٢ م .ـــ ١٠٤ ص ؛ ١٦ سم .ـــ ٣٠٠ر دينار ( ١٩ )

## التطرف الديني

الغزالي ، محمد/ حذار من التدين المغشوش .ـــ **العربي** . ع ٢٧٨ ( ١٩٨٢/١ م ) ص ص ٤١ ـــ ٤٤ . ( ٢٠ )

القرضاوي ، يوسف/ ٦ علامات للتطرف الديني .ـــ **العربي** . ع ٢٧٨ ( ١٩٨٢/١ ) ص ص ٣٢ ـــ ٣٦ . ( ٢١ )

الكتاني ، أدريس/ التطرف الديني كرد فعل للتطرف اللاديني . **العربي** . ع ٢٨٠ ( ١٩٨٢/٣ م ) ص ٤٦ . ( ٢٢ )

## التطرف الديني والجريمة

أبو المجد ، أحمد كمال/ التطرف غير الجريمة والتشخيص الدقيق مطلوب .ـــ **العربي** . ع ٢٧٨ ( ١٩٨٢/١ ) ص ص ٣٦ ـــ ٤٠ ( ٢٣ )

## التطرف الديني والحكم

البهنساوي ، سالم علي/ الحكم وقضية تكفير المسلم .ـــ الكويت : دار البحوث العلمية ، ط٢ .ـــ ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .ـــ ٣٧١ ص ؛ ١٩ سم . ( ٢٤ )

## التطرف الديني والسياسة

إبراهيم ، سعد الدين/ التطرف الديني والسياسة . **العربي** . ع ٢٧٩ ( ١٩٨٢/٢ م ) ص ٣٥ . ( ٢٥ )

## التطرف الديني والقمع

كامل ، عبد العزيز/ القمع سببا للتطرف وليس علاجاً له .ـــ **العربي** . ع ٢٧٨ ( ١٩٨٢/١ ) ص ص ٤٨ ـــ ٥١ ( ٢٦ )

## جماعة المسلمين

أبو الخير ، عبد الرحمن/ ذكرياتي مع جماعة المسلمين ( التكفير والهجرة ) .ـــ الكويت : دار البحوث العلمية ، ١٩٨٠ م .ـــ ٢٠٨ ص ؛ ١٩ سم . ( ٢٧ )

## حب الله ، محمود

عوف ، أحمد محمد/ الدكتور محمود حب الله سفير الإسلام .ـــ **الأزهر** . س ٥٥ : جـ ٤ ( ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ) ص ص ٨٤ ـــ ٩٥ ( ٢٨ )

## الحركة الإسلامية

حماد ، جمعة/ إشارات على طريق العمل الإسلامي .ـــ عمان : دار اللواء ، ١٩٨٢ م .ـــ ٢٧٢ ص ؛ ٢٠ سم ( ٢٩ )

السمان ، محمد عبد الله/ الحركة الإسلامية بين المد والجزر .ـــ المحرق ( البحرين ) : مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .ـــ ٣٢ ص ؛ ١٩,٥ سم . ( الشباب المسلم في مفترق الطرق ـــ ٤ ) ( ٣٠ )

صديقي ، كليم/ الحركة الإسلامية ، قضايا وأهداف ، ترجمة ظفر الإسلام خان .ـــ لندن : المعهد الإسلامي ، ١٩٨١ م .ـــ ١٠٣ ص ؛ ٢١ سم ( ٣١ )

## الحركة الإسلامية

عثمان ، محمد فتحي/ الوسيط الغائب بين الشباب والسلطان .ـــ **العربي** . ع ٢٧٨ ( ١٩٨٢/١ ) ص ص ٥٦ ـــ ٥٧ ( ٣٢ )

لطفي ، سهير/ رؤية لأيديولوجية الحركات الإسلامية المعاصرة ـــ الحلقة الأولى ـــ **مجلة ١٥ * ٢١** .ـــ ع ٤ ( ١٤٠٣/٦ هـ = ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ٤٤ ـــ ٣٩ ( ٣٣ )

لطفي ، سهير/ رؤية لأيديولوجية الحركات الإسلامية المعاصرة ـــ الحلقة الثانية .ـــ **مجلة ١٥ * ٢١** .ـــ ع ٥ ( ١٤٠٣/٧ هـ = ١٩٨٣/٥ م ) ص ص ٥٠ ـــ ٥٣ ( ٣٤ )

يكن ، فتحي/ أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي .ـــ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢ م .ـــ ١٩٧ ص ؛ ١٩ سم . ( ٣٥ )

## الحركة الإسلامية ـــ تقييم

أمين ، حسين أحمد/ اعتبارات غائبة في تقييم الحركات الإسلامية . **العربي** . ع ٢٨٤ ( ١٩٨٢/٧ م ) ص ٨٨ ( ٣٦ )

## الحركة الإسلامية في الغرب

مراد ، خورام/ الحركة الإسلامية في الغرب .ـــ **المسلم المعاصر** .ـــ س ٩ : ع ٣٤ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٢٩ ـــ ٥٤ ( ٣٧ )

## الحركة الإسلامية والتصوف

العجمي ، أبو اليزيد/ الزهاد المسلمون ومجالات العمل الإسلامي . **المسلم المعاصر**

س ٩ : ع ٣٣ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢/١١ م ) ص ص ٧١ ـ ٩٨
( ٣٨ )

## الحركة الإسلامية والجهاد

عمارة ، محمد/ حوار مع كتاب الفريضة الغائبة : الإسلام والسيف . **العربي** . ع ٢٨٣ ( ١٩٨٢/٦ م ) ص ٢٠
( ٣٩ )

عمارة ، محمد/ حوار مع كتاب الفريضة الغائبة : حكام العصر تتار أم مماليك ؟ **العربي** . ع ٢٨٤ ( ١٩٨٢/٧ م ) ص ٢٥
( ٤٠ )

## الحركة الإسلامية والمحن

جلبي ، خالص/ ظاهرة المحنة ، محاولة لدراسة سننية .ـ الكويت : دار القلم ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .ـ ١٢٠ ص ؛ ١٩ سم
( ٤١ )

## الحركة الإسلامية واليهود

علي ، زياد محمود/ عداء اليهود للحركة الإسلامية .ـ عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٢ م .ـ ١٦٨ ص ؛ ١٧ سم ( دراسات إسلامية هادفة ـ ١ )
( ٤٢ )

## الحسبة

ابن منصور ، عبد الوهاب/ الحسبة .ـ الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٨٣م
( ٤٣ )

صالحية ، محمد عيسى/ المحتسب وقانون الدفاع الإجتماعي . **العربي** . ع ٢٩٠ ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م ) ص ص ١٦٦ ـ ١٦٩
( ٤٤ )

الصيفي ، عبد الفتاح مصطفى/ شروط « الظهور » في المنكر الموجب للحسبة . **هذه سبيلي** . س ٣ : ع ٣ ( ١٤٠٠ ـ ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م ) ص ص ٢٥٤ ـ ٢٩٦
( ٤٥ )

عبد الله ، أحمد أحمد/ الاحتساب على مرتكبي الرشوة/ أحمد أحمد عبد الله .ـ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .ـ ماجستير .
( ٤٦ )

عمر ، محمود/ ضرورة الحسبة للمجتمع الإسلامي . الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣ هـ .ـ ماجستير .
( ٤٧ )

معاز ، عبد المجيد بكري/ الحسبة ومكانتها في الإسلام . **هذه سبيلي** . س ٣ : ع ٣ ( ١٤٠٠ ـ ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ م ) ص ص ١٦ ـ ٣٥
( ٤٨ )

## الحسبة ـ تاريخ

ستون ، كارولين/ المحتسب في العصر العباسي .ـ **تاريخ العرب والعالم** .ـ س ٥

: ٥٤ ١٤٠٣ هـ = ٥/١٩٨٣ م ) ص ص ٤٤ ـــ ٤٧ ( ٤٩ )

معتوق ، رشاد عباس/ نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون ، نشأته وتطوره .ـــ جدة : تهامة ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .ـــ ١٩٠ ص ( رسائل جامعية ـــ ٨ ) ( ٥٠ )

### الخطابة

شلبي ، عبد الجليل عبده/ الخطابة وإعداد الخطيب .ـــ القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .ـــ ٤٠٠ ص ؛ ٢٣ سم . ( ٥١ )

### الدعــاة إعداد

الجهني ، عاطي/ كلمات للداعية . **هذه سبيلي** . س ٣ : ع ٣ ( ١٤٠٠ ـــ ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ ـــ ١٩٨١ م ) ص ص ٢٠٤ ـــ ٢١٨ ( ٥٢ )

الصباغ ، يوسف عزت مرسي/ دور المدرسة الابتدائية في إعداد الداعية .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .ـــ ماجستير ( ٥٣ )

علي ، محمد إبراهيم أحمد/ إعداد الدعاة . **في الدورة الحادية عشرة للندوة الإسلامية العالمية** . مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٢/١٤٠٢ هـ . ( ٥٤ )

### الدعوة الإسلامية

البشر ، سعود بن محمد/ الدعوة الإسلامية عقيدة وعلم وسلوك . **هذه سبيلي** . س ٣ : ع ٣ ( ١٤٠٠ ـــ ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ ـــ ١٩٨١ م ) ص ص ١١ ـــ ١٥ ( ٥٥ )

جسوس ، عبد اللطيف بن عبد الغني/ أزمة أمانة .ـــ طنجة : المؤلف ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .ـــ ١٦٨ ص ؛ ٢٢ سم . ( ٥٦ )

حسن ، سيد دسوقي وسفر ، محمود محمد/ ثغرة في الطريق المسدود ، دراسة في البعث الحضاري .ـــ القاهرة : آفاق الغد ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .ـــ ١٠٠ ص ؛ ١٩ سم . ( ٥٧ )

الخطيب ، عبد الكريم/ الدعوة إلى الإسلام : مضامينها وميادينها .ـــ بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٢ م .ـــ ١٦٨ ص ؛ ٢٤ سم ( سلسلة من قضايا القرآن ) ( ٥٨ )

الغزالي ، محمد/ الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر .ـــ الكويت : ذات السلاسل ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م .ـــ ٢٣٨ ص ؛ ٢٤ سم . ( ٥٩ )

### الدعــوة

القطان ، مناع خليل/ عوامل النهضة

الإسلامية :ـــ الرياض : كلية الشريعة جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٤٠٢ هـ .ـــ محاضرة ( ٦٠ )

يكن ، فتحي/ الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية .ـــ بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ـــ ١١٦ ص ؛ ١٩ سم ( ٦١ )

## الدعوة الإسلامية ـــ تاريخ

شلبي ، رؤوف/ الدعوة الإسلامية في عهدها المدني .ـــ الكويت : دار القلم ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ـــ ٥٧٠ ص ؛ ٢٤ سم .ـــ ٦ د . ك . ( ٦٢ )

## الدعوة الإسلامية ـــ جمعيات

العبودي ، محمد ناصر/ الهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية . **في الدورة الحادية عشرة للندوة الإسلامية العالمية** . مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٢/١٢ هـ . ( ٦٣ )

## الدعوة الإسلامية ـــ شعر

الجدع ، أحمد وحسني جرار/ أناشيد الدعوة الإسلامية .ـــ عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٢ م .ـــ ١٤٨ ص ؛ ٢٠ سم .ـــ ٧٠٠ر ـــ دينار ( ٦٤ )

## الدعوة الإسلامية ـــ مشكلات

الغزالي ، محمد/ مشكلات في طريق الحياة الإسلامية .ـــ الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، ١٤٠٢ هـ .ـــ ١٥١ ص ؛ ٥ر٢٠ سم ( كتاب الأمة ـــ ١ ) ( ٦٥ )

## الدعوة الإسلامية ـــ وسائل

كنون ، عبد الله/ تطوير أساليب الدعوة . **في الدورة الحادية عشرة للندوة الإسلامية العالمية** . مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، ١٤٠٢/١٢ هـ ( ٦٦ )

## الدعوة الإسلامية في أفريقيا

عبد الظاهر ، حسن عيسى/ الدعوة الإسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي .ـــ الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .ـــ ٣٦٢ ص .ـــ ( المجلس العلمي ـــ ١٦ ) ( ٦٧ )

## الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي

الطويلي ، أحمد/ نزعات الإصلاح في العالم الإسلامي . الهداية التونسية . س ١٠ : ع ٢ ( ١ ـــ ١٤٠٣/٢ هـ = ١١ ـــ ١٩٨٢/١٢ م ) ص ص ٨٧ ـــ ٩٠ ( ٦٨ )

## الدعوة الإسلامية في يوغسلافيا

سعيد ، عبد الفتاح/ في يوغسلافيا مركز جديد للإشعاع الإسلامي . **منار الإسلام** . س ٨ : ع ٥ ( ١٤٠٣/٥ هـ =

٢ ــ ١٩٨٣/٣ م ) ص ص ٥٠ ــ ٥٤
( ٦٩ )

## الدعوة الإسلامية لغير العرب

الدروبي ، عبد الوكيل/ ترجمة القرآن وكيف ندعو غير العرب إلى الإسلام .ــ حمص : مكتبة الإرشاد ، ١٩٨٢ م .ــ ١٤٠ ص ؛ ١٩ سم . ( ٧٠ )

## الدعوة الإسلامية والأدب

الميداني ، عبد الرحمن حسن جنكة/ مبادىء في الأدب والدعوة ــ **البعث الإسلامي** . س ٢٧ : ع ٤ ( ١٤٠٣/١ هـ ) ص ص ٧٥ ــ ٧٩ ( ٧١ )

## الدعوة الإسلامية والثقافة

شلبي ، رؤوف/ تصورات في الدعوة والثقافة الإسلامية .ــ الكويت : دار القلم ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .ــ ٥٣٤ ص ؛ ٢٤ سم .ــ ٦ د . ك . ( ٧٢ )

## الدعوة الإسلامية والحكم

هويدي ، فهمي/ القرآن والسلطان ، هموم إسلامية معاصرة .ــ بيروت : دار الشروق ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .ــ ٢٤٦ ص ؛ ٢٤ سم ( ٧٣ )

## الدعوة الإسلامية والصبر

دويدار ، بركات/ الصبر والدعوة ــ ١ ــ **التضامن الإسلامي** . س ٣٧ : جـ ١٠ ( ١٤٠٣/٤ هـ = ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٢٤ ــ ٣٠ ( ٧٤ )

دويدار ، بركات/ الصبر والدعوة ــ ٢ ــ **التضامن الإسلامي** .ــ س ٣٧ : جـ ١٢ ( ١٤٠٣/٦ هـ = ١٩٨٣/٣ م ) ص ص ١٢ ــ ١٩ ( ٧٥ )

## الدعوة الإسلامية والغزو الفكري

إدريس ، جعفر شيخ/ دراسة جديدة حول الدعوة الإسلامية والغزو الفكري ( ٣ ) . **الهداية البحرينية** س ٥ = ع ٥٠ ( ١٤٠٢/٤ هـ ) ص ص ٥٤ ــ ٥٧ .
( ٧٦ )

## الدعوة الإسلامية والفكر

الأعظمي ، سعيد/ أيديولوجية البعث الإسلامي . **البعث الإسلامي** . مج ٢٧ : ع ٦ ( ١٤٠٣/٣ هـ = ١٩٨٣/١٢ م ) ص ص ٣ ــ ٨ ( ٧٧ )

النجار ، عبد المجيد/ أثر الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية . **الأمل** . ع ١٠٩/ ١١٠ ( ١٤٠٣/٥ ــ ٤ هـ = ١ ــ ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٤٢ ــ ٤٨
( ٧٨ )

## الدعوة الإسلامية والمرأة

بريغش ، محمد حسن/ المرأة المسلمة الداعية : أحاديث ونماذج .ــ الزرقاء ( الأردن ) : مكتبة المنار ، ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .ــ ١٥١ ص ؛ ٢٤ سم ( ٧٩ )

الغضبان ، منير محمد/ الأخوات المؤمنات .ـــ الزرقاء ( الأردن ) : مكتبة المنار ، ط ٢ .ـــ ١٩٨٢ م .ـــ ١٤٠ ص ؛ ٢٤ سم .ـــ ٧٠٠ر دينار ( ٨٠ )

## زكي علي

الجندي ، أنور/ الدكتور زكي علي : خمسون عاما في الدعوة إلى الإسلام في الغرب . **التضامن الإسلامي** . س ٣٧ : ج ١١ ( ١٤٠٣/٥ هـ = ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٧٤ ـــ ٧٨ ( ٨١ )

## الصحافة الإسلامية ـــ الهند

خان ، سليم الرحمن/ الصحافة الإسلامية في الهند : تاريخها وتطورها .ـــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .ـــ ماجستير ( ٨٢ )

## الصحوة الإسلامية

أبو المجد ، أحمد كمال/ بشائر نهضة إسلامية جديدة .ـــ **العربي** ـــ ع ٢٩٥ ( ١٤٠٣/٨ هـ = ١٩٨٣/٦ م ) ص ص ١٥ ـــ ١٩ ( ٨٣ )

خان ، وحيد الدين/ نحو بعث إسلامي .ـــ ط ٢ .ـــ بيروت : دار النفائس ، ١٩٨١ م .ـــ ٢٤ ص ؛ ١٧ سم ( ٨٤ )

عمارة ، محمد/ تيارات اليقظة الإسلامية الحديثة .ـــ القاهرة : دار الهلال ، ١٩٨٢ م .ـــ ٢٣٤ ص .ـــ ٤٠٠ مليم . ( كتاب الهلال ) ( ٨٥ )

المهدي ، صادق / الصحوة الإسلامية ومستقبل الدعوة ـــ ١ ـــ **الهداية البحرينية** . س ٦ : ع ٦٣ ( ١٤٠٣/٥ هـ = ١٩٨٣/٣ م ) ص ص ٦ ـــ ١٣ ( ٨٦ )

المهدي ، صادق/ الصحوة الإسلامية ومستقبل الدعوة ـــ ٢ ـــ من مداخل كبوة المسلمين .ـــ **الهداية البحرينية** . س ٦ : ع ٦٤ ( ١٤٠٣/٦ هـ = ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ٦٠ ـــ ٧٠ ( ٨٧ )

هويدي ، فهمي/ الصحوة الإسلامية .. ملاحظات وتحفظات . **العربي** . ع ٢٨٦ ( ١٩٨٢/٩ م ) ص ٣٧ ( ٨٨ )

هويدي ، فهمي/ المشروع الإسلامي ـــ عن الجنين الأكيد والميلاد المنتظر ـــ **العربي** .ـــ ع ٢٩٥ ( ١٤٠٣/٨ هـ = ١٩٨٣/٦ م ) ص ص ٤٠ ـــ ٤٣ ( ٨٩ )

## الصحوة الإسلامية والتطرف

القرضاوي ، يوسف/ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف .ـــ الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .ـــ ٢٢٨ ص ؛ ٢٠ سم .ـــ ( كتاب الأمة ـــ ٢ ) ( ٩٠ )

## الصحوة الإسلامية واللغة العربية

السنجرجي ، مصطفى عبد العزيز/

الصحوة الإسلامية وأثرها في حياتنا اللغوية . **الوعي الإسلامي** . ع ٢٢٠ ( ١٤٠٣/٤ هـ = ١ ــ ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٥٨ ــ ٦٣ ( ٩١ )

### عبد الحليم محمود ــ ترجمة

إمام ، محمد عبد الهادي/ جهود الإمام عبد الحليم محمود في الدعوة الإسلامية .ــ القاهرة : كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، ١٩٨٢ م .ــ ماجستير ( ٩٢ )

### القرآن والإعلام

أبات ، محمد أحمد سيد/ الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم .ــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٣ هـ ــ ماجستير . ( ٩٣ )

### محمد بن عبد الوهاب ــ ببليوجرافيا

الضبيب ، أحمد محمد/ آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب سجل ببليوجرافي لما نشر من مؤلفاته ولبعض ما كتب عنه .ــ ط ٢ .ــ الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م .ــ ٢٣٩ ص ( ٩٤ )

### محمد عبده

الأنصاري ، محمد جابر/ الإمام محمد عبده . **العربي** . ع ٢٨٦ ( ١٩٨٢/٩ م ) ص ٨٠ ( ٩٥ )

### المهدية

الأنصاري ، محمد جابر/ الحركة المهدية دروس التجربة بعد مضي مائة عام . **العربي** . ع ٢٨٩ ( ١٩٨٢/١٢ م ) ص ص ٢٤ ــ ٢٨ ( ٩٦ )

### المودودي ، أبو الأعلى

أحمد ، خورشيد . نموذج المودودي للبعث الإسلامي . **المسلم المعاصر** . س ٨ : ٣١ ( ١٤٠٢/٧ هـ ) ص ص ٧ ــ ١٨ ( ٩٧ )

الحامدي ، خليل/ الإمام أبو علاأعلى المودودي . **الإيمان** . س ٢ : ع ١١٥ ( ٥ ــ ١٤٠٢/٦ هـ ) ص ص ٤٩ ــ ٦٣ ( ٩٨ )

### النورس ، بديع الزمان

كورتر ، سليمان وأبيرج/ نموذج بديع الزمان النورس للنهضة الإسلامية . **المسلم المعاصر** . س ٨ : ع ٣٠ ( ١٤٠٢/٥ هـ ) ص ص ٢٧ ــ ٣٨ ( ٩٩ )

### الوحدة الإسلامية

الثلث ، السيد الصاوي/ الوحدة الإسلامية في البناء والحركة . **منار الإسلام** . س ٨ : ع ٤ ( ٤ ( ١٤٠٣/٤ هـ = ١ ، ١٩٨٣/٢ م ) ص ص ٦ ــ ١٥ ( ١٠٠ )

الغزالي ، محمد/ دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين .ــ القاهرة : دار الأنصار ،

١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م .ـــ ٢٥٦ ص ؛ ٢٤ سم . ( ١٠١ )

### وسائل الإعلام

أحمد ، أحمد حسن محمد/ البرامج الإسلامية في تلفاز المملكة العربية السعودية .ـــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .ـــ ماجستير ( ١٠٢ )

الديري ، مصطفى إبراهيم مصطفى/ العلمانية وأثرها في وسائل الإعلام .ـــ القاهرة كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، ١٩٨٣ م .ـــ ماجستير . إشراف عمارة نجيب محمد . ( ١٠٣ )

عبد الوهاب ، عبد الخالق محمد/ الدعوة الإسلامية في مجال الإذاعة والتلفزيون .ـــ القاهرة كلية أصول الدين جامعة الأزهر ، ١٩٨٢ م .ـــ دكتوراه ( ١٠٤ )

عزيز ، عبد الغفار محمد/ كيف يصبح الوعظ والتعليم من أهم وسائل الدعوة للإسلام ؟ **هذه سبيلي** . س ٣ : ع ٣ ( ١٤٠٠ ـــ ١٤٠١ هـ = ١٩٨٠ ـــ ١٩٨١ م ) ص ص ٧٢ ـــ ٩٩ ( ١٠٥ )

### الوهابية

عبد الظاهر ، حسن عيسى/ بين الدعوة السلفية ( دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب ) وبين الدعوة الفولانية ( دعوة الشيخ عثمان دان فوديو ) دراسات إسلامية مقارنة . **التربية القطرية** . ع ٥٦ ( ١٤٠٣/٣ هـ ـــ ١٩٨٢/١٢ م ) ص ص ٨٤ ـــ ٩٣ ( ١٠٦ )

### يوسف ( عليه السلام )

بشير ، نزار رفيق/ يوسف عليه السلام النبي الداعية .ـــ الرياض : المعهد العالي للدعوة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .ـــ ماجستير . ( ١٠٧ )

## الفهرس القاموسي

**يضم المؤلفين والكتّاب والباحثين ( باللون الأسود ) مع العناوين في ترتيب هجائي واحد . ( الأرقام المبينة أمام الاسم أو العنوان هي أرقام المداخل وليست أرقام الصفحات**

## قائمة
## الناشرين والدوريات والكليات والجامعات

- تهامة للاعلان والعلاقات العامة وأبحاث التسويق
ص ب ( ٥٤٥٥ ) جده
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية — ص ب ( ٥٧٠١ ) الرياض
- دار آفاق الغد — ٢ شارع شريف — شقة ٧٢ — القاهرة
- دار الأنصار — ٨١ شارع البستان — القاهرة
- دار البحوث العلمية — ص ب ( ٢٨٥٧ ) الكويت
- دار الدعوة للنشر والطباعة والتوزيع —

١ شارع منشا ــ محرم بك ــ الاسكندرية
○ دار الشروق ــ ص ب ( ٨٠٦٤ ــ ١١ ) بيروت
○ دار الشروق ــ ص ب ( ٤١٤٦ ) جدة
○ دار الشروق ــ ١٦ شارع جواد حسني ــ القاهرة
○ دار الفرقان ــ ص ب ( ٩٢١٥٢٦ ) عمان
○ دار القلم ــ ص ب ( ٢٠١٤٦ ) الكويت
○ دار الكتاب العربي ــ ص ب ( ٥٧٦٩ ــ ١١ ) بيروت
○ دار اللواء ــ ص ب (      ) عمان
○ دار المريخ ــ ص ب ( ١٠٧٢٠ ) الرياض
○ دار النشر الأمريكية :

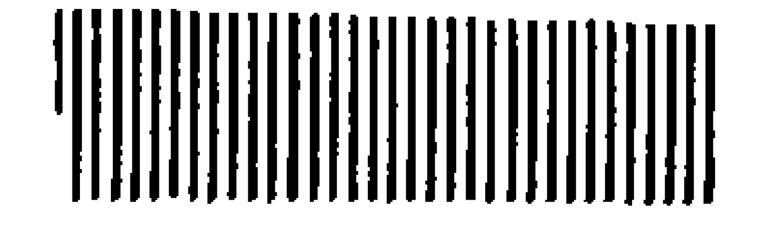
AMERICAN TRUST PUBLICATIONS 10900 W. Washington St.,
Indianapolis, IN 46231
U. S. A.

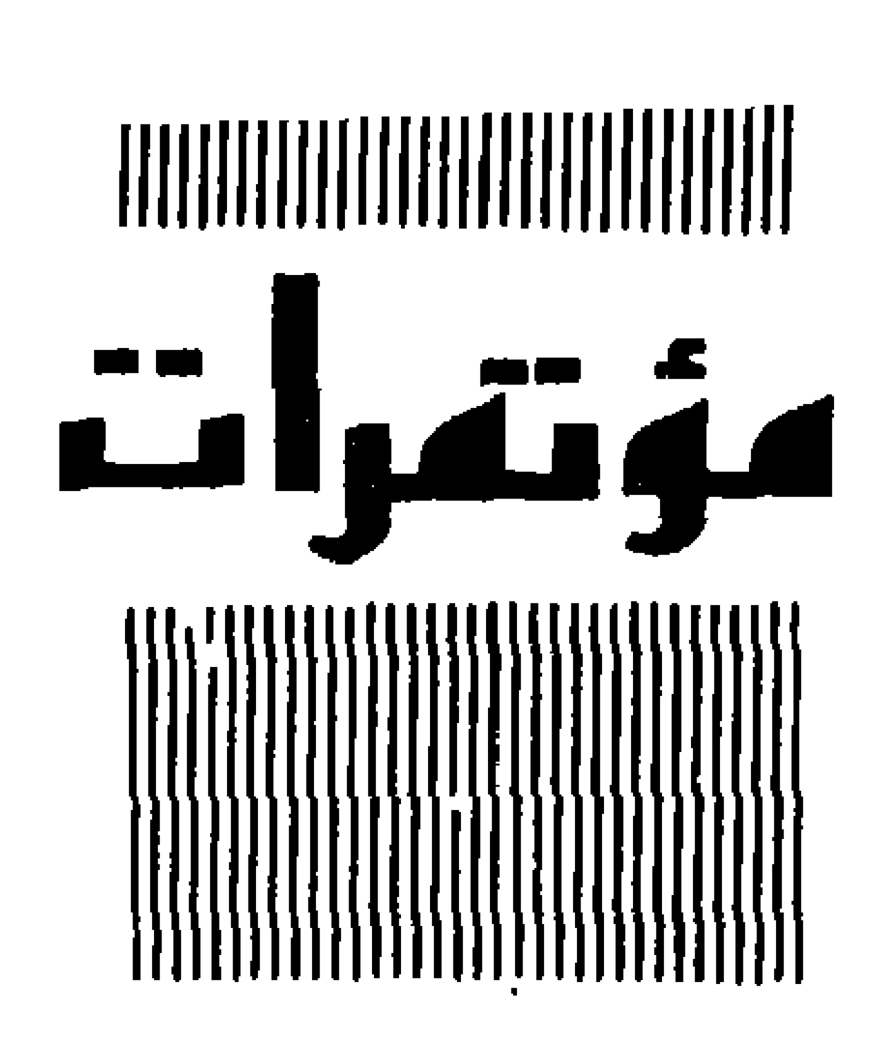
○ دار عكاظ ــ ص ب ( ١٩٣٤ ) الرياض
○ دار النفائس ــ ص ب ( ٦٣٤٧ ــ ١١ ) بيروت
○ دار الهلال ــ ١٦ شارع محمد عز العرب ــ السيدة زينب القاهرة
○ ذات السلاسل ــ ص ب ( ١٢٠٤١ ) السالمية ــ الكويت
○ رابطة العالم الإسلامي ــ ص ب ( ٥٣٧ ) مكة المكرمة
○ رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ــ الدوحة ــ قطر
○ شركة الشروق للنشر ــ الكويت
○ شركة الشعاع للنشر ــ ص ب ( ٢٤٥٥ ) الكويت
○ كلية أصول الدين جامعة الأزهر ــ الأزهر ــ القاهرة
○ كلية الآداب جامعة الاسكندرية ــ الشاطبي ــ الاسكندرية
○ كلية الشريعة ــ ص ب ( ٥٧٠١ ) الرياض
○ مجلة الأزهر ــ ادارة الأزهر ــ القاهرة
○ مجلة الأمل
○ مجلة الايمان ــ ص ب ( ٣٥٦ ) الرباط
○ مجلة البعث الإسلامي ــ ص ب ( ١١٩ ) لكنهؤ ــ الهند
○ مجلة تاريخ العرب والعالم ــ ص ب ( ٥٩٠٥ ) بيروت
○ مجلة التربية ــ ص ب ( ٨٠ ) قطر
○ مجلة التضامن الإسلامي ــ ص ب ( ٢٤٧٥ ) مكة المكرمة
○ مجلة العربي ــ ص ب ( ٧٤٨ ) الكويت
○ مجلة المسلم المعاصر ــ ص ب ( ٢٨٥٧ ) الكويت

○ مجلة الهداية ـــ ص ب ( ٤٥٠ ) المنامة ـــ البحرين
○ مجلة الهداية ـــ ٢٠٤ ـــ ٢٠٨ نهج القصبة ـــ تونس
○ مجلة الوعي الإسلامي ـــ ص ب ( ٢٣٦٦٧ ) الكويت
○ مجلة ١٥ * ٢١ ـــ ص ب ( ١٠٢٤ ) تونس
○ مجلة منار الإسلام ـــ ص ب ( ٢٩٢٢ ) أبو ظبي
○ مجلة هذه سبيلي ـــ انظر : المعهد العالي للدعوة الإسلامية ـــ الرياض
○ المعهد الإسلامية بلندن :

THE MUSLIM INSTITUTE FOR RESEARCH AND PLANNING,
6 Endsleigh Street LONDON WCIH ODS
U. K.

○ المعهد العالي للدعوة الإسلامية ـــ ص ب ( ٤٨٤٧ ) الرياض
○ مكتبة الإرشاد ـــ حمص ـــ سوريا .
○ مكتبة الاعتصام ـــ ١٠ شارع السبكي ـــ الخيامية ـــ القاهرة
○ مكتبة المنار ـــ الزرقاء ـــ الأردن
○ مؤسسة الرسالة ـــ ص ب ( ٧٤٦٠ ـــ ١١ ) بيروت






# الحوار حول الأدب الاسلامي ومناهج دراسته

**التوصيات التي اقرها الحوار الذي عقدته كلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية المدينة المنورة: ٥ ــ ٨ رجب ١٤٠٢ هـ**

## أولا : تبني الادب الاسلامي والعناية به :

١ ــ دعوة الوزارات المختصة والجامعات الى تبني هذا الادب ، والعناية به وتدريسه في المراحل الثانوية ، والجامعية ليعبر عن الاسلام وتعاليمه وينشر دعوته في الارض وذلك عن طريق الكلمة الطيبة المؤثرة .

٢ ــ ادخال مادة الادب الاسلامي بصفة عامة وأدب الدعوة بصفة خاصة في أقسام الدعوة والاعلام وفي السنوات التمهيدية من الدراسات العليا واعداد الرسائل الجامعية التي تبرز هذا الادب وتقعّد له وتخرج الباحثين المختصين فيه .

٣ ــ دعوة الباحثين من علماء المسلمين عامة وادبائهم ونقادهم خاصة الى اعداد البحوث في هذا الادب ووضع قواعده في النقد . وحض الجامعات على تبني ما يكتب في هذا المجال وطباعته ونشره وبذل المكافآت السخية لكتابه .

٤ ــ دعوة الجامعات في الاقطار الاسلامية لانشاء فروع في مكتباتها للاثار الادبية الاسلامية القديمة والحديثة المكتوبة باللغة العربية ولغات الشعوب الاسلامية وما كتبه المستشرقون في هذا الموضوع لتكون مراجع لدارسي هذا الادب .

٥ ــ والعمل على ترجمة هذه الآثار من العربية واليها وذلك للافادة من الطاقات الادبية في العالم الاسلامي ، وتفاعل هذه الطاقات ورفد بعضها لبعض والسعي لطباعتها ونشرها بالوسائل المختلفة .

٦ ــ حض الجامعات وغيرها من

المؤسسات العلمية والنوادي الادبية على تشجيع ذوي الطاقات الادبية المبدعة، واعداد المسابقات لكتابة القصص والمسرحيات والمسلسلات النابعة من الاسلام وتعاليمه وتوجيهاته ومنح الجوائز السخية لاصحاب الاثار الفائزة والعمل على نشرها والكتابة عنها، وعن أصحابها في الصحف والمجلات.

٧ ــ وضع منهج متكامل للادب الاسلامي تتفق الجامعات المتناظرة في العالم العربي على تبنيه وتدريسه في المرحلتين العالية والعليا.

٨ ــ انشاء مجلة متخصصة بالادب الاسلامي عامة وأدب الاطفال واليافعين والشباب خاصة.

٩ ــ أن تعمل المعاهد والكليات التي تدرس المذاهب الادبيةمن كلاسيكية ورومنسية وواقعية وغيرها على عرض هذه المذاهب وبيان انها كانت نتيجة لفلسفات واتجاهات اجنبية ثم الاهتمام البالغ بتفنيد وجوه مخالفة هذه المذاهب للاسلام، وتناقضها الشديد مع قيمه وتعاليمه وأن يعهد بتدريس هذه المادة الى ناقد اسلامي بصير.

١٠ ــ أن تكون الموضوعات والنصوص الادبية التي تدرس في المعاهد والكليات خالية من كل ما يخالف الاسلام وأن تختار من الاثار الادبية المفعمة بالحض على المثل التي تنبع من الفطر السليمة، وتتفق مع دين الله.

١١ ــ ان تهتم الجامعات اهتماما كبيرا بالادب الاسلامي للاطفال وذلك بتدريس هذا الادب في المرحلتين العالية والعليا، واعداد البحوث المتعمقة فيه لنيل درجتي الماجستير والدكتوراة.

١٢ ــ أن تشتمل كتب الادب والمحفوظات في المراحل الدراسية كلها على نصوص مختارة مؤثرة للشعراء المبدعين من القدماء والمحدثين الذين صوروا نكبة المسلمين في أولى القبلتين وثالث الحرمين، وبكوا ما حل بفلسطين على ايدي الصليبيين، واليهود ودعوا الى تحريرها كما تشتمل على نصوص تصور فرحة المسلمين باستعادة الديار المقدسة على يدي صلاح الدين.

١٣ ــ ان يكون الادب الاسلامي الذي نقدمه للطلاب في مراحل الدراسة جميعها وثيق الصلة ــ مادة ومعنى ــ بكتاب الله، وحديث رسول الله وآثار الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان لما في ذلك من روعة بيانية، وعمق ايماني وروح نابعة بالخير والبر وتغذية مستمرة لادبنا الاسلامي المعاصر.

١٤ ــ التنديد بالاعمال الادبية المكتوبة باللهجات العامية ومناهضة الدعوات للمحافظة على التراث الشعبي (الفولكلور) وبيان ما فيهما من خطر على لغة القرآن، وقطع لاواصر القربى بين

المسلمين عامة ، والعرب منهم خاصة .

١٥ ــ دعوة الجامعات الى اقامة مراكز للادب الاسلامي تعني بجمع مصادر هذا الادب ومراجعة الموضوعات التي كتبت فيه والمقالات التي حضت عليه والرسائل الجامعية التي أعدت فيه .

١٦ ــ دعوة القائمين على الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة الى انشاء فرع للدراسات العليا في الادب الاسلامي وقواعده في النقد وذلك لتكوين فئة من المختصين بهذا الادب الداعين اليه عن دراية وتعمق وخبرة .

١٧ ــ تخصيص منح دراسية للادباء الاسلاميين من غير العرب في المعاهد والمراكز التي أنشأتها الدول العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، وذلك لتوسيع رقعة الادب الاسلامي وتبادل الخبرات الادبية عن طريق الترجمة من العربية واليها .

١٨ ــ اهتمام العاملين في مجالات الادب الاسلامي بتأصيل علم الجمال وتوجيهه وجهة اسلامية والافادة منه في الاعمال الادبية الاسلامية ليتآزر الشكل مع المضمون.

١٩ ــ يتوجه اعضاء الندوة بجزيل الشكر الى الجامعات التي انشأت معاهد ومراكز لتعليم لغة القرآن للمسلين من غير العرب ، ويأملون منها ان تضاعف جهودها في هذا المجال الخير ، وان توجه التعليم في هذه المعاهد والمراكز وجهة تعتمد على قراءة القرآن الكريم والتحلي من الحديث الشريف ، ومعرفة اداء الشعائر على اكمل وجه .

كما يأملون من هذه الجامعات ان تعمل على افتتاح المدارس في تلك البلاد الاسلامية لتعليم الاطفال والناشئين لغة القرآن ودين الاسلام وتثقيفهم بالثقافة التي تربطهم باخوانهم العرب وان تؤلف لهم الكتب الاسلامية التي تلائم مستوياتهم .

**ثانيا : رسم بعض الخطوط العريضة للادب الاسلامي الذي ننشده : ــ**

تقترح الندوة لتأصيل هذا الادب واغنائه ما يلي : ــ

١ ) تعميق النظرة في مفهوم هذا الادب القائم على التصور الاسلامي الصحيح ، والربط المحكم المتوازن بين قيمه الشعورية والمعنوية وبين قيمه التعبيرية .

٢ ) دراسة النظريات والمذاهب النقدية عند القدماء والمحدثين من نقادنا الاسلاميين وذلك لاستخلاص السمات التي يجب ان تتوفر في الادب الاسلامي والوصول الى مذهب اصيل في الادب الاسلامي ونقده .

٣ ) العناية بدارسة طائفة من النصوص المختارة من القرآن الكريم والسنة المطهرة وخطب الراشدين دراسة متعمقة وذلك

لاستجلاء مكامن الروعة الفنية فيها ، وجعلها موجها ومقوما لانتاج الادباء الاسلاميين .

٤ ) الاهتمام بوضع القواعد والضوابط للفنون الأدبية الحديثة من قصة وأقصوصة ومسرحية ومقال وخاطرة وترجمة وغيرها لتكون هادية للادباء في انتاج أدب إسلامي سليم.

٥ ) دراسة منهج القرآن الكريم والحديث لشريف في القصة والحوار والتصوير الفني بالتملي من خصائص هذا المنهج ومزاياه للافادة منهما في النتاج الادبي الاسلامي .

٦ ) دارسة فنون الادب الاسلامي في عهودها الاولى وذلك كأدب الدعوة الى الله ، وأدب الغزوات والفتوحات ورصد تطورها في الخطابة وأدب المواعظ وشعر الجهاد والحماسة الاسلامية .

٧ ) دراسة الشعراء والادباء الاسلاميين المغمورين من القدماء والمحدثين لتغذية الادب الاسلامي وتقويته وتنويعه .

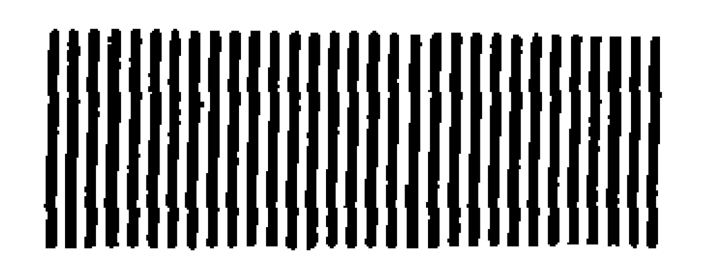
٨ ) العمل الجاد على جمع الادب الاسلامي الحديث ونقده وذلك لتقييمه وتوجيهه ولفت الانظار اليه .

**ثالثا : توصيات عامة :ـ**

١ ) طباعة البحوث التي اعدت لهذه الندوة وتعميم توصياتها وارسالها الى سائر الجامعات في البلاد الاسلامية عامة ، والعربية منها خاصة مع الدعوة الى تبني الادب الاسلامي الذي تبنته جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، وجامعة دار العلوم الاسلامية في الهند ، والجامعة الاسلامية في المدينة المنوره ، وغيرها من الجامعات .

٢ ) ان تعقد هذه الندوة المباركة في بلد من البلدان الاسلامية مرة كل عامين .

هذا وإن أعضاء الندوة ليهيبون بجميع المسئولين في وزارات المعارف والتربية والثقافة والاعلام وبالمجامع العلمية والنوادي الادبية والمؤسسات الاسلامية ذات العلاقة أن يبذلوا كل ما في وسعهم لتأييد هذه التوصيات ، وتهيئة جميع السبل الممكنة لتنفيذها والله من وراء القصد ومنه يستلهم العون والسداد .



# مقررات الحلقة الدولية عن الفنون في البلدان الإسلامية★

## التي عقدتها « منظمة الفنون الإسلامية » في فارنهام كاستل ، المملكة المتحدة

## ٢٦ — ٢٨ مارس ١٩٨٢

### الفن كتعبير رئيسي عن الحضارة الإسلامية

شعر المشتركون في هذه الحلقة بأن فنون الإسلام يجب النظر إليها نظرة موسعة وعلى مستوى دولي ، يضم في هيكل علمي واحد دول الإسلام ، وأي أجزاء أخرى في العالم يمكن أن تُوجد فيها تعبيرات مختلفة عن الحضارة الإسلامية .

كما شعروا بأن الفنون في عالم الإسلام كانت تعنى تنوعا كبيرا في التعبيرات الثقافية ؛ من تخطيط للمدن والهندسة المعمارية إلى الخط اليدوي والأدوات البدائية ، وأشياء أخرى في الحياة اليومية ، بما فيها الموسيقى بنوعيها الشعبي والتقليدي .

وعلى ذلك فإن فنون الإسلام تجب دراستها ليس كمجرد زخرفة مثيرة للإعجاب — مع أنها قد تكون كذلك — ولكن كتعبير رئيسي عن الحضارة الإسلامية ، وكمكوِّن حيوي لهويتها الثقافية وإيمانها الروحي وقيمها الإنسانية ونظامها الاجتماعي والاقتصادي وبنيتها وقوانينها المدنية .

### الفن الإسلامي كجزء متمم للتراث الثقافي العالمي

من المسلم به أن فنون البلدان الإسلامية ليست تعبيرات عن إنجازات الماضي فحسب ، وإنما باعتبارها عاملاً قويا من عوامل الوحدة والهوية الثقافية ، فهي تلعب كذلك دوراً في تشكيل مستقبل هذه البلدان . إنهما — على حد سواء — تعتبر جزءاً متمما للميراث الثقافي العالمي . فهي مؤشر للأحوال السائدة وجزء لا يتجزأ من كافة الأنشطة الإنسانية ؛ الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

إن مثل هذه الخصائص تستدعي تناولاً علمياً منضبطاً ، حيث أن كل الأعمال المنفذة بالأسلوب الإسلامي بأيدي مسلمة أو غير مسلمة ، تعد مساهمة قيمة في مجال المحاولات الفنية .

---

★ مترجم عن الانجليزية عن مجلة « الفنون والعالم الإسلامي » العدد الأول ، شتاء ١٩٨٢/١٩٨٣ .
التحرير

ولا بد لمنظمة الفنون الإسلامية — كمؤسسة مهنية غير رسمية — أن تكون في وضع تتعهد فيه مشروعات حماية وحفظ الفنون الإسلامية في العالم الإسلامي وغير الإسلامي . لقد كانت الروح الجياشة وراء إنشاء المنظمة بمثابة إنذار مادي لما يتعرض له التراث الإسلامي في الوقت الحاضر . إن المخاطر الداخلية والخارجية متنوعة ، وتستدعي إجراءاً عاجلاً .

### إعداد موسوعة للفنون الإسلامية

لاحظت الحلقة أن أحد الأعمال العلمية العاجلة التي يجب على منظمة الفنون الإسلامية أن تقوم بها هو إعداد موسوعة شاملة للفنون الإسلامية تستهدف إنشاء وتطوير ببليوجرافيا نقدية للتراث الإسلامي . وأن يكون تركيزها على عناصر كالأشغال اليدوية والأدوات البدائية ، وتعتمد على المجموعات المتاحة في الدول الإسلامية نفسها وكذلك في أجزاء أخرى من العالم بما فيها أوربا وأمريكا . وبجانب ذلك إنتاج طبعات علمية معتمدة على مثل هذا التوثيق ، كما أن هناك أيضا حاجة لإعداد طبعات شعبية تستهدف جمهور القراء وخاصة الطلاب والشباب في الدول الإسلامية . ومن الطبيعي في مثل هذا العمل أن تتجنب المنظمة الإزدواج والتداخل وذلك بالتعاون والتنسيق مع الهيئات والمنظمات الأخرى التي تعمل في مثل هذه المجالات .

### إقامة متاحف للفن والتراث الإسلامي

تعجلت الحلقة المنظمة في الاتصال بالسلطات في الدول الإسلامية لتعبئة الخدمات الفنية المتخصصة لتشجيع وحفظ الفنون بإقامة متاحف للفن والتراث الإسلامي .

### اقتراح « عام التراث الثقافي الإسلامي »

ضمن هيكل التعاون الدولي ، أولت الحلقة اهتماماً بالغاً بمشروع « عام التراث الثقافي الإسلامي » المقدم من مدير مركز أبحاث التاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول . وعلى المنظمة أن تعطي أولوية لمتابعة هذا المشروع .

### مهراجانات للفنون والحرف الحالية بالعالم الإسلامي

أوحت الحلقة بتنظيم « مهرجانات للفنون والحرف الحالية بالعالم الإسلامي » وذلك على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية مع مساهمة أصحاب وصاحبات الحرف ، كما يمكن أيضا أن يتم هذا مع أنشطة ترويجية تقوم بها المراكز الحرفية والمتاجر ذات الأقسام وغيرها . هذه المهرجانات يجب أن تمثل ليس فقط ما يسمى بالفنون الصغيرة ولكن أيضا الحرف الفنية المعمارية ؛ الهيكلية والزخرفية ، لكي تكون العروض مكونة من عناصر حيوية في تقنيات العمارة الإسلامية التقليدية .

### تسجيل مركزي للفنون والحرف الإسلامية

أوصت الحلقة بتأسيس « سجل مركزي للفنون والحرف الإسلامية » ، وبأعداد دليل للحرفيين والفنانين والمشروعات والمصادر الفنية المتاحة في العالم الإسلامي وذلك بهدف تسهيل الدراسات والأبحاث وتبادل الحرفيين بين الدول وتنفيذ مشروعات فنية مشتركة في الدول الإسلامية وأنشطة تحسينية أخرى .

### مواد تعليمية وترويجية عن الفنون الإسلامية

أوصت الحلقة بإنشاء مجموعات عمل لصياغة وإنجاز وتنظيم خطط لرفع قيمة الفنون الإسلامية من خلال نظم التعليم الوطنية والخدمات الإذاعية ووسائل النشر وإنتاج الأفلام التعليمية والمقالات وغير ذلك مما يتصل بالعناصر المتنوعة للفنون الإسلامية .

**تشجيع دراسة فن العمارة بالدول الإسلامية**

لاحظت الحلقة انتشار مطالبة الدول الإسلامية بإحياء تقاليد فن العمارة الإسلامي حتى يمكنها أن تعكس القيم الإسلامية . وبالنظر إلى حقيقة أن الفنانين المعماريين الذين يعملون في معظم الدول الإسلامية قد تدربوا في الغرب ، فقد أوصت الحلقة بأن الشباب المعماري المؤهل في العالم الإسلامي يجب أن يُعطىٰ الفرصة لزيادة معلوماته عن فن العمارة الإسلامي . كما أن الحلقة حثت حكومات الدول الإسلامية لإعطاء الدول منح دراسية تمكيناً للمعماريين من زيارة الدول الإسلامية ودراسة فنها المعماري وإرسال تقارير وتوصيات للسلطات صانعة القرارات لوضعها موضع الاعتبار .

**عودة أو استعادة الممتلكات الثقافية الإسلامية**

لاحظت الحلقة أن عناصر هامة وقيمة من التراث الإسلامي موجوده الآن في دول غير إسلامية معظمها نتيجة حركة استعمارية غير مشروعة حدثت في الملكية الثقافية وما زالت مستمرة حتى يومنا هذا .

وتذكر الحلقة السلطات الوطنية المعنية وكذلك المنظمات الدولية والإقليمية بالحاجة إلى بذل الجهود لإعادة أو استبدال هذا التراث المشتت ليستقر في موطنه الأصلي . والحلقة تحث الدول الإسلامية الأعضاء في اليونسكو لمساندة اللجنة الحكومية الدولية لإعادة الممتلكات الثقافية إلى مواطنها الأصلية ، وتلفت انتباه اللجنة — إذا كان ذلك ضروريا — إلى الحالات المتعلقة بعملية الاستعادة أو إثبات الملكية الثقافية .

والحلقة تطالب الدول الإسلامية التي سوف تساهم في المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي تنظمه اليونسكو في المكسيك من ٢٦ يوليو إلى ٥ أغسطس ١٩٨٢ م أن يلفت انتباه المؤتمر العالمي إلى المشكلة المتعلقة باستعادة الممتلكات الثقافية الإسلامية إلى مواطنها الأصلية .

وفي هذا الصدد تركز الحلقة أيضا على لفت انتباه الدول الإسلامية إلى الضرورة العاجلة لتحسين أو لإنشاء متاحف ودور للمحفوظات ومراكز ثقافية أخرى كبنية أساسية ، ليس هذا فقط ، ولكن أيضا تدريب الهيئة اللازمة لحماية وحفظ وتقويم وعرض المجموعات الهامة .

**إنشاء صندوق للفنون الإسلامية**

حثت الحلقة المنظمات الإسلامية الدولية والاقليمية وكذلك الهيئات الوطنية العامة والخاصة في العالم الإسلامي والتي يسمح وضعها بذلك ، أن تشغل نفسها باستعادة الممتلكات الإسلامية الثقافية إلى أوطانها الأصلية ، تلك الممتلكات المعروضة للبيع في بيوت المزادات العلنية . كما أوصت بدراسة إمكانية إنشاء صندوق للفنون الإسلامية لشراء واستعادة الأشياء ذات الأهمية الأساسية والتي قد تعرض للبيع في تلك البيوت .

**تهديد التراث الإسلامي في فلسطين**

أكدت الحلقة اهتمامها البالغ بالأحوال في القدس وفي فلسطين والتي تهدد وجود الآثار وأماكن العبادة وممتلكات الأوقاف الحيوية للإسلام ولحضارة العالم . وذلك من خلال العدوان الوحشي والحفر غير المشروع الذي يتم غالباً بدوافع سياسية .

كما لاحظت بفزع شديد الوضع الخاص بالتراث الإسلامي في فلسطين الواقعة تحت الاحتلال الاسرائيلي بناء على تقرير صاحب السعادة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الأردني ، وعقدت العزم على أن تقوم بكل ما هو ممكن لحماية وحفظ هذا التراث . كما ضمّت صوتها إلى الأصوات الأخرى

التي تدعو الرأي العام العالمي للاعتراض على مثل هذه الأنشطة غير المشروعة والهدامة .

كما علمت الحلقة واستنكرت ذلك العجز من حكومة الدولة الصهيونية التي تحتل فلسطين عن أن تغير موقفها وسلوكها الذي يعادل الاغتيال الثقافي في فلسطين . وتدعو الأمم المتحدة ووكالاتها لاتخاذ إجراءات من شأنها الاصرار على إثبات سلطتها في فلسطين طبقا للإعلان العالمي لحقوق الانسان .

### دراسات عن المدن الإسلامية

دعت الحلقة منظمة الفنون الإسلامية إلى إعداد ونشر دراسات مقارنة ـــ تقوم في دول مختلفة ـــ عن المدن الإسلامية ، لادراك مكوناتها المعمارية والاجتماعية ، ولعرض وحدتها في عمق يماثل الدراسات التي يقوم بها مركز بحوث الحج في جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وقدرت الحلقة وحيَّت عمل مركز بحوث الحج وصادقت على جهوده في ميدان صيانة البيئة في مدينتيْ مكة والمدينة المقدستين ، وكذلك في الأماكن المقدسة الأخرى . واعترفت بصفة خاصة بالمساهمة التي قدمها هذا العمل لتشجيع المساعي المماثلة في بلدان إسلامية أخرى .

### الملكية الثقافية الحيوية

اعتبرت الحلقة أن الفنون في دول الإسلام تشكل قوة حيوية متمثلة في الرجال والنساء الذين يطلق عليهم فنانون أو حرفيون أو عمال . ولذلك اقترحت القيام ـــ بالتشارو مع السلطات المختصة في الدول الإسلامية ـــ بتكوين فئة من الحرفيين البارزين كملكية ثقافية حيوية مع وجوب إيجاد وسائل دعمهم ومساندتهم رجالاً ونساءً .

### إصدار مجلة فصلية

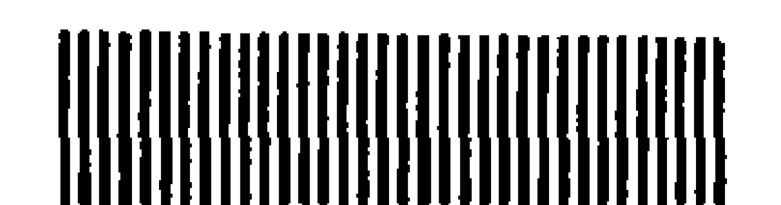
أوصت الحلقة بأن تصدر منظمة الفنون الإسلامية مجلة فصلية بعنوان « الفنون والعالم الإسلامي » .

### إنشاء سكرتارية دائمة

أوصت الحلقة بإنشاء سكرتارية دائمة عندما تتاح المصادر المالية لذلك ، لكي تتابع التوصيات السابقة .

### الاتصال مع منظمات أخرى

دعت منظمة الفنون الإسلامية لإقامة اتصالات ومجالات تعاون في مشروعات تتعلق بالمجالات المتصلة بالفن والثقافة الإسلامية والتي تتعهد بها المنظمات الوطنية والاقليمية والدولية القائمة بما فيها الممثلة في هذه الحلقة . وعلى المنظمة أن تطور علاقتها مع مثل هذه المنظمات والمؤسسات ليس تجنباً للازدواج فحسب ، ولكن ـــ بالإضافة إلى ذلك ـــ لتأكيد التعاون المستقبلي الوطيد .



# فهرس المجلد التاسع من المسلم المعاصر
## ١٤٠٣ هـ ـــ ١٩٨٣ م

فيما يلي الفهرس العام للسنة التاسعة للمجلة ، مصنفا ، ومرتبا ترتيبا هجائيا على رؤوس الموضوعات الرئيسية ، ومتبوعا بفهرس للكتاب والمشاركين وآخر للعناوين ، وبكشاف تحليلي للموضوعات الفرعية التي تضمنتها مقالات السنة التاسعة . ويشير كل من فهرس الكتاب والعنوان والكشاف التحليلي إلى الأرقام المسلسلة للمقالات لا إلى أرقام الصفحات . وتضم السنة التاسعة الأعداد أرقام : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .

٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٤٥ ــ ١٥١ .

**٦ ــ الإسلام والمدنية**

الفاروقي ، إسماعيل راجي/ الإسلام والمدنية ، قضية العلم ترجمة صلاح الدين حفني ــ س ٩ : ع ٣٦ ( ١٠ ــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ــ ١٩٨٣/١٠ ) ص ص ٥ ــ ٢١

**٧ ــ بيت التمويل الكويتي ــ تقارير**

تقرير بيت التمويل الكويتي عن عام ١٩٨٢ م .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٦١ ــ ١٩٨ .

**٨ ــ التخلف**

عطية ، جمال الدين/ صناعة . ع ٣٣ ( ١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٥ ــ ٦ .

**٩ ــ التربية الإسلامية ــ ببليوجرافيا**

عطية : محيي الدين/ دليل الباحث في التربية الإسلامية ــ ٢ ــ ع ٤/٣٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ١٧٣ ــ ١٩١ .

**١٠ ــ التصوف الإسلامي**

إمام ، محمد كمال الدين/ المسئولية والحرية عند المتصوفة . ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ١٣٥ ــ ١٤٠ .

**١١ ــ التعليم الجامعي**

الفاروقي ، اسماعيل راجي/ نحو جامعة إسلامية ، ترجمة محمد رفقي محمد عيسى . ع ٣٣ ( ١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٤٧ ــ ٥٦

**١٢ ــ الحركة الإسلامية**

محرم ، محمد رضا/ الحركات الإسلامية والعنف .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ٩/ ١٤٠٣ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ٩ ــ ١٨ .

**١٣ ــ الحركة الإسلامية**

مراد ، خورام/ الحركة الإسلامية في الغرب ، تأملات حول بعض النتائج . ع ٣٤ ( ٤ ــ ٦/ ١٤٠٣ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ٢٩ ــ ٥٤

### ١٤ ــ الحضارة

ابو المجد ، احمد كمال/ الحضارة على طريق النمو .ــ ع ٣٤ ( ٤ ــ ٦/ ١٤٠٣ هـ = ٢ ــ ٤/ ١٩٨٣ م ) ص ص ١٥٧ ــ ١٦٠
الحركة الإسلامية الحضارة الدعوة الإسلامية

### ١٥ ــ الحضارة

إمام ، محمد كمال الدين/ العزلة والحضارة ــ ملاحظات وتساؤلات .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١١٧ ــ ١٢٢

### ١٦ ــ الحضارة

شريعتي ، علي/ المدينة والحضارة . ع ٣٣ (١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٣٣ ــ ٤٦ .

### ١٧ ــ حقوق الانسان

كامل ، عبدالعزيز/ حقوق الانسان في الإسلام . ع٣٣/ ( ١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٥٧ ــ ٦٩

### ١٨ ــ حقوق الانسان

المجلس الإسلامي العالمي/ الاعلان العالمي لحقوق الانسان في الاسلام . ع ٣٤ (٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ١٦١ ــ ١٧٢

### ١٩ ــ الدعوة الإسلامية ــ ببليوجرافيا

عطية ، محيي الدين/دليل الباحث في الدعوة الإسلامية .ــ س ٩ : ع ٣٦ ( ١٠ ــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ــ ١٩٨٣/١٠ م ) ص ص ١٦٩ ــ ١٨٨

### ٢٠ ــ الزهد

العجمي ، ابو اليزيد/ الزهاد المسلمون ومجالات العمل الإسلامي . ع ٣٣ ( ١ ــ ٣/ ١٤٠٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٧١ ــ ٩٧ .

### ٢١ ــ الشباب

كامل ز عبدالعزيز/ الشباب من الاغتراب إلى البناء .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ٧/ ١٩٨٣ م ) ص ص ١٩ ــ ٣٤

**٢٢ ــ شبهات ابليس**

الدسوقي ، فاروق أحمد/ كشف مواضع التلبيس في شبهات إبليس .ع ٣٣ ( ١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٧ ــ ٣١

**٢٣ ــ شركات الائتمان ــ تاريخ إسلامي**

يودوفيتش ، إبراهام/حول مؤسسات الائتمان والأعمال المصرفية في الشرق الأدنى الإسلامي في القرون الوسطى . ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ١٤١ ــ ١٥٥

**٢٤ ــ الشريعة الإسلامية والحقوق المدنية**

فياض ، طه جابر/ حقوق المتهم في الإسلام خلال مرحلة التحقيق .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ٩/ ١٤٠٣ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ٤٥ ــ ٦٨

**٢٥ ــ الشريعة الإسلامية والحقوق المدنية ــ مؤتمرات**

ندوة المتهم وحقوقه في الشريعة الإسلامية .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٥٣ ــ ١٥٥

**٢٦ ــ الشريعة الإسلامية والطب**

ابو غدة ، عبدالستار/ المبادىء الشرعية للتطبيب والعلاج .ــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٠٥ ــ ١١٥

**٢٧ ــ شريعتي ، على**

أليجار ، على/الإسلام كأيديولوجية ــ فكر على شريعتي . ع ٣٤ (٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ٩ ــ ٢٧ .

**٢٨ ــ الطلبة المسلمون ــ الولايات المتحدة**

القعيّد ، إبراهيم حمد/ التكيّف النفسي والاجتماعي للطلبة المسلمين في المؤسسات التعليمية الغربية . ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ١٠١ ــ ١١٠

**٢٩ ــ العاقلة**

عوض ، عوض محمد/نظرية العاقلة .

ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤م ) ص ص ٥٥ ــ ٧٤

**٣٠ ــ العالم الإسلامي ــ التنمية الاجتماعية**

بدر ، عبدالمنعم محمد/ اللاتطوعية وأزمة التنمية في العالم العربي والإسلامي . ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ ه = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ١٢١ ــ ١٣٤ .

**٣١ ــ العمارة الإسلامية**

الفاروقي ، إسماعيل راجي/الإسلام وفن العمارة . ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ٨٧ ــ ٩٩

**٣٢ ــ الفقه الإسلامي**

عطية ، جمال الدين/ الفقه المعاصر وفقه المرحلة الانتقالية . ع ٣٤ ( ٤ ــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ــ ١٩٨٣/٤ م ) ص ص ٥ ــ ٧

**٣٣ ــ الفن الإسلامي ــ مؤتمرات**

الحلقة الدولية للفنون في البلدان الإسلامية .ــ س ٩ : ع ٣٦ ( ١٠ ــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ــ ١٩٨٣/١٠ م ) ص ص ١٨٧ ــ ١٩٠

**٣٤ ــ الفوائد ( بنوك )**

البيت الاستشاري العربي الدولي بالقاهرة/ الفوائد والبنوك ( ندوة ) . ع ٣٣ ( ١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) صص ١٣١ ــ ١٤٥ .

**٣٥ ــ القرآن ــ إعجاز**

العفيفي ، محمد/الاعجاز القرآني والتقدم العلمي ، رؤية معاصرة (١) .ــ س ٩ : ع ٣٦ ( ١٠ ــ ١٢/ ١٤٠٣ هـ = ٨ ــ ١٠/ ١٩٨٣ م ) ص ص ٩١ ــ ١٤٤

**٣٦ ــ القرآن ــ معاجم**

عطية ، محيي الدين/دعوة إلى تكشيف القرآن الكريم مع نموذج كشاف موضوعي للجزء الثلاثين . ع ٣٣ ( ١ ــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ١٤٧ ــ ٢٢٣ .

٣٧ ــ القرآن والعلم

غنيم ، كارم السيد/التحقيق العلمي للآيات الكونية في القرآن الكريم .ــ س ٩ : ع ٣٦ (١٠ ــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ــ ١٩٨٣/١٠م ) ص ص ٢٣ ــ ٦٢

٣٨ ــ الكتاب الإسلامي

شرف الدين ، عبدالتواب/ملاحظات حول الكتاب الإسلامي ــ دليل ببليوجرافي ١٩٨٢ إعداد محيي الدين عطية .ــ س ٩ : ع ٣٥ (٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٢٣ ــ ١٢٥ .

٣٩ ــ المرابحة

الأمين ، حسن عبدالله/الاستثمار اللاربوي في نطاق عقد المرابحة .ــ س ٩ : ع ٣٥ (٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ٦٩ ــ ٩٢

٤٠ ــ المرابحة

حمود ، سامي حسن/رد على نقد حول بيع المرابحة للآمر بالشراء للدكتور رفيق المصري .ــ س ٩ : ع ٣٦ (١٠ ــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ــ ١٩٨٣/١٠ م ) ص ص ١٤٥ ــ ١٥٢ .

٤١ ــ المرأة في الإسلام

الفاروقي ، لويس لمياء/النساء المسلمات وتغير البيئات ، ترجمة محيي الدين عطية ــ س ٩ : ع ٣٦ (١٠ ــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ــ ١٩٨٣/١٠ م ) ص ص ٨٥ ــ ٨٩

٤٢ ــ المرأة في الإسلام ــ ببليوجرافيا

عطية ، محيي الدين/دليل الباحث في المرأة في الإسلام .ــ س ٩ : ع ٣٥ (٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٢٧ ــ ١٤٤

٤٣ ــ المسلمون

عطية ، جمال الدين/تلسكوب أم نفق .ــ س ٩ : ع ٣٥ (٧ ــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ٥ ــ ٧

٤٤ ــ المصارف الإسلامية

حمدي ، عبدالرحيم/تجربة البنوك الإسلامية . مع تركيز خاص على تجربة

بنك فيصل الإسلامي السوداني ـــ س ٩ : ع ٣٦ ( ١٠ ـــ ١٤٠٣/١٢ هـ = ٨ ـــ ١٩٨٣/١٠ م ) ص ص ٦٣ ـــ ٨٤

**٤٥ ـــ المصارف الإسلامية ـــ مؤتمرات**

المؤتمر الثاني للمصرف الإسلامي .ـــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ـــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ـــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ١٥٧ ـــ ١٥٩

**٤٦ ـــ المعرفة**

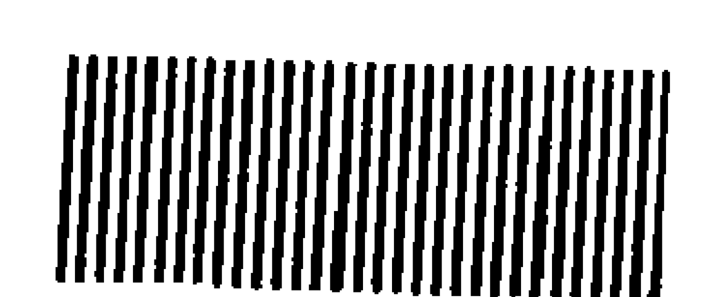
قاضي ، م .أ ./ أسلمة المعارف العلمية الحديثة ، ترجمة محيي الدين عطية .ـــ س ٩ : ع ٣٥ ( ٧ ـــ ١٤٠٣/٩ هـ = ٥ ـــ ١٩٨٣/٧ م ) ص ص ٣٥ ـــ ٤٤

**٤٧ ـــ المعوقون ـــ رعاية وعلاج**

أبوغدة ، عبدالستار/ رعاية المعوقين في الإسلام . ع ٣٤ ( ٤ ـــ ١٤٠٣/٦ هـ = ٢ ـــ ١٩٨٣/٤م ) ص ص ١١١ ـــ ١٢٠

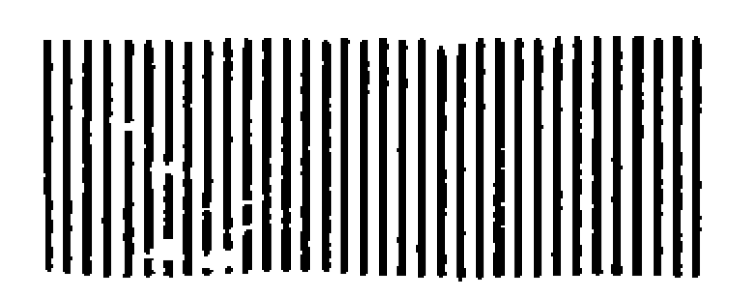
**٤٨ ـــ النقود ـــ نظريات**

بورنشويج ، روبرت/مفاهيم النقود عند فقهاء المسلمين من القرن الثامن إلى القرن الثالث عشر . ع ٣٣ ( ١ ـــ ١٤٠٣/٣ هـ = ١١ ـــ ١٩٨٣/١ م ) ص ص ٩٩ ـــ ١٢٢

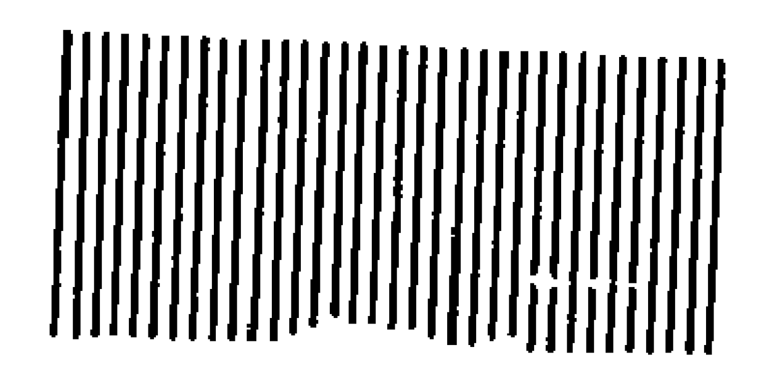


## فهرس الكتّاب والمشاركين

## فهرس العنوان



# كشاف تحليلي



بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

# مجلــة ابحــاث الاقتصــاد الإســلامي

# JOURNAL OF RESEARCH IN ISLAMIC ECONOMICS

**يصدرها المركــز العالمــي لابحــاث الاقتــصاد**

**الإســلامي ــ جامعــة الملــك عبدالعزيــز**

**ص . ب ١٦٧١١ جدة ٢١٤٧٤ المملكة العربية السعودية**

مجلة متخصصة نصف سنوية تصدر باللغتين العربية والانجليزية ، وتعني بالابحاث النظرية وبالدراسات التطبيقية ذات المدلول الهام ، وكذلك بالابحاث التي تقدم من منظور إسلامي تحليلا أو نقداً للنظريات الاقتصادية المعروفة .

**تحتوي المجلة على أبواب ثابتة منها :**

أبحاث ومذكرات ، مقالات للمناقشة ، حوار وتعليقات ومراجعات الكتب والابحاث .

## بعض محتويات العدد الأول

### القسم العربي

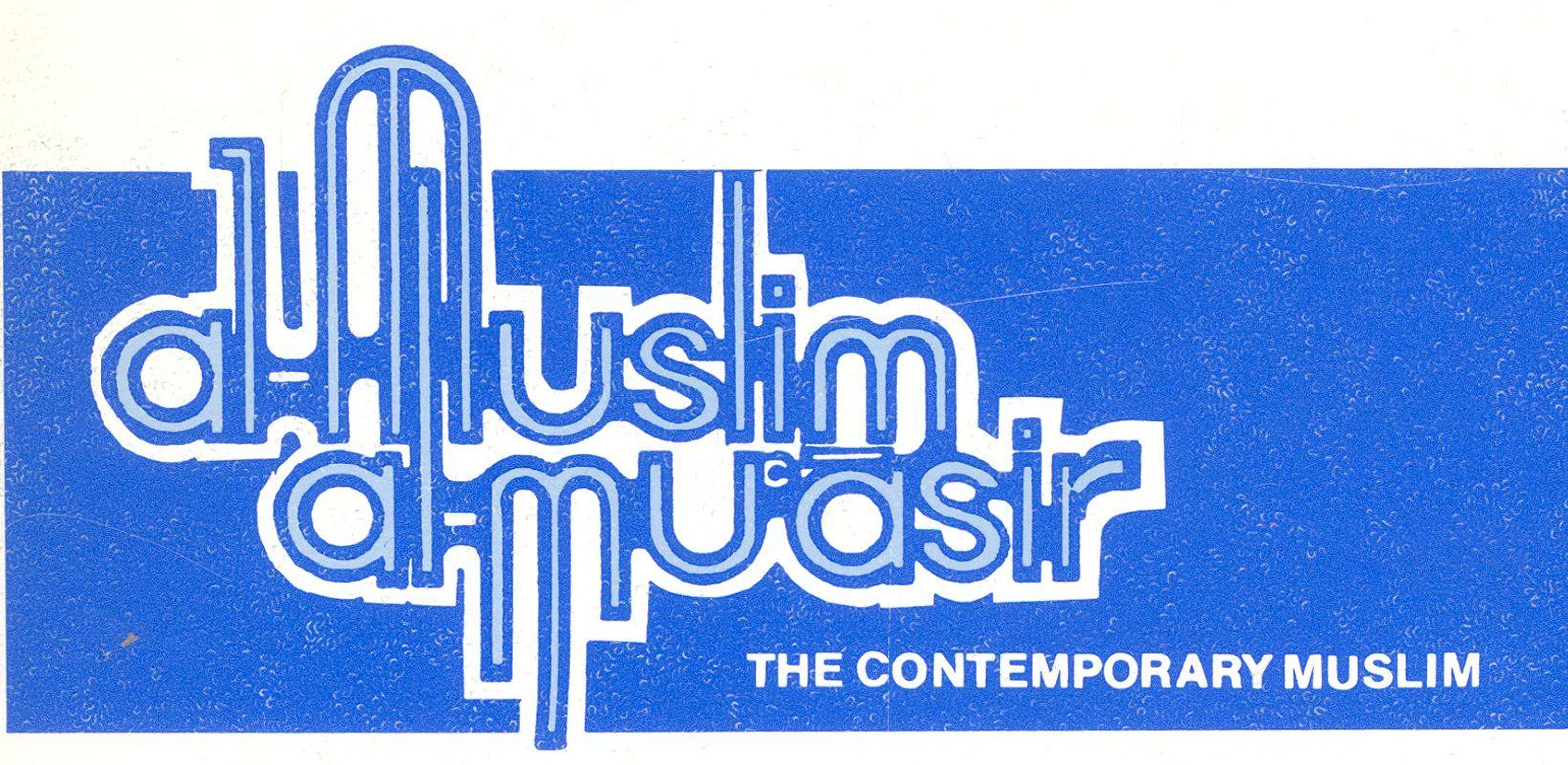
* ( التوازن العام والسياسات الاقتصادية الكلية في اقتصاد إسلامي ) مختار محمد متولي
* ( نموذج تحليلي كلي لنظام الزكاة الضريبي في الإسلام ) بادال موكرجي

### القسم الانجليزي

* Theory of profit : The Islamic Viewpoint ..... Zubair Hasan
* Theory of Fiscal policy in an Islamic state .. F.R. Faridi

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان اعلاه .

طبعت بمطابع الأنباء ــ الكويت




Vol 9
No 36

Shawwal 1403
Dhul - Qa,dah
Dhul - Hijjah

August 1983
September
October